سلسلة الذاكرة الصحفية (٢)

كربلاء في مجلة العرفان

الجزء الأوّل

تأليف

مركز تراث كربلاء
قسم شؤون المعارف الإسلامية الأنسنية

Web : www.alkafeel.net
E-Mail:turath.karbala@gmail.com

العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث كربلاء، مؤلف. كربلاء في مجلة العرفان. الجزء الأول/ تأليف مركز تراث كربلاء، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق: العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، 1440هـ. = 2019.
3 مجلد؛ 24سم.-(سلسلة الذاكرة الصحفية؛ 2)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية وكشافات.
1 . كربلاء (العراق) — تاريخ — خطب ومقالات. أ. العنوان.
LCC : DS79.9.K3 .A8375 2019
DDC : 305.80095674
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

اسم الكتاب: كربلاء في مجلة العرفان الجزء الأول.
تأليف: مركز تراث كربلاء- قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.
الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.
الطبعة : الأولى
المطبعة : دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م
عدد النسخ : ١٠٠ نسخة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٩٤٥ لسنة ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمةُ مركزِ تُراثِ كَربَلاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين نَحمِدُه ونستعينُ به، ونُصلّي ونُسلّمُ على سيِّدِنا ومولانا رسولِ ربِّ العالمين نبيِّنا محمّدٍ وعلى آلِ بيتِه الغرِّ الميامين الَّذين أذهبَ اللهُ عنهم الرّجسَ وطهّرهُم تطهيرا.

أمَّا بعد فتُعدُّ المَجلّاتُ القديمة رافدًا علميًّا مهمًّا لا يمكنُ الاستغناءُ عنهُ في البحثِ العلميّ والثقافيّ، لأنَّها توفّرُ للباحثين والدَّارسين معلوماتٍ تاريخيَّةً، وتمنحُهُم فرصةً لدراسةِ نمطِ الثّقافةِ القديمة، وأساليبِها الأدبيّةِ أو الفكريَّةِ واهتماماتِ المجتمعِ آنذاك، فضلًا عن فوائدَ أخرى في مجالاتٍ بحثيَّةٍ متعدّدة، ومِن هذهِ المجلّاتِ: مجلّةُ العرفانِ الشّهريّةِ ذات المواضيع المُتنوّعةِ العلميّةِ والأدبيّةِ والسياسيّةِ والاجتماعيّةِ، والَّتي مضى على تأسيسها قرنٌ وثلاث عشرة سنة. فمؤسّسُ هذهِ المَجلّة هو الأديبُ والمفكّرُ الشيخُ أحمد عارف الزين (١٨٨٤-١٩٦٠م) الذي قال عن تأسيسِها بمقالٍ نُشِرَ في شهرِ تشرينِ

الأوّل سنة ١٩١١م: «قبلَ ثلاثِ سنينَ خطرت لي فكرةُ تأسيسِ مَجلّةِ العرفان؛ لأنّي كنتُ أرى الحاجةَ الماسّةَ للبلادِ لذلك، وخاصّةً المجتمع الشيعيّ الّذي كانَ لا يملكُ أيّةَ نشرةٍ تُعرضُ فيها العقائدُ الصّحيحةُ للشيعةِ، إضافةً إلى نشرِ النظرةِ الصحيحةِ للعلماءِ والكتّاب الشيعةِ، وكذلكَ الكتابةُ عن الشخصيّاتِ المتميّزةِ فيهم، وتعريفهم للرّد على أقوالِ الجهلةِ عنّا».

صدرَ العددُ الأوّلُ من مجلّةِ العرفانِ في المحرّم ١٣٢٧هـ/ ٥ شباط ١٩٠٩م، في دولةِ لبنان بمنطقةِ صيدا إحدى مدنِ جبلِ عامل، واستمرّت حتى سنة ١٩١٥م، وكأيّةِ مجلّةٍ تتعرّضُ لظروفٍ مختلفةٍ قد تؤثّرُ على إصدارِها، تعرّضت مجلّةُ العرفانِ إلى مجموعةٍ من التقلّباتِ منها التقلّباتُ الماليّةُ والظرفُ السّياسيّ للمنطقةِ، ففي السّنةِ السّادسةِ لصدورِها (١٩١٥م) توقّفت عن الإصدارِ حتّى سنة ١٩٢٠م؛ بسببِ نشوبِ الحربِ العالميّةِ الأولى، ثمّ عاودت واستؤنفت من جديدٍ في الانتدابِ الفرنسيّ على لبنان وما بعدَه في عهدِ الاستقلالِ، وبذلكَ يمكُن القولُ إنّ مجلّةَ العرفانِ عاصرت أقسى الظروفِ التي مرّت بها الدولةُ اللبنانيّةُ هما عهدُ السيطرةِ العثمانيّةِ، وعهدُ الانتدابِ الفرنسيّ لذلكَ تعرّضت لكثيرٍ من المشاكلِ والمصاعبِ في إصدارِها.

وبعد وفاة المؤسّس أحمد عارف الزين سنة ١٩٦٠م الّذي تولّى مسؤوليّتَها منذ سنةِ ١٩٠٩م صدر خلالها ٤٧ مجلّدًا تعاقَب على رئاستِها العديد؛ أوّلهم: الأديب نزار أحمد عارف الزين بصفةِ صاحب الامتياز ومديرها المسؤول حتّى وفاتِه سنة ١٩٨١م، وبعد وفاته استلمَ حفيدُه أحمد عارف زين الدين الذي كان يعمل فيها مدير شؤون المراسلات، وفي أوائل سنة ١٩٨٢م بدأت مرحلةٌ جديدةٌ أخرى من صدورِ مَجلّةِ العرفان، إذ بدأ فؤاد الزين بإمكاناتٍ متواضعةٍ وجهودٍ كبيرةٍ للحفاظِ على صدورِ هذهِ المجلّةِ حتّى آخر عددٍ

لصدورِها في سنة ١٩٩٦م لتنقضي مسيرةٌ علميّةٌ مكلّلةٌ بالعطاء عن عمرٍ بلغ ٧٨ عامًا.

شاركَ في أعدادِها نُخبةٌ كبيرةٌ من الباحثينَ والكتّابِ من دولٍ عربيّةٍ وأجنبيّةٍ، حتّى أصبحت مصدرًا مهمًّا حولَ تاريخ لبنان وسوريا والعراق. وكانت من المجلّاتِ العربيّةِ المهمّةِ في القرنِ العشرين لما تتميّزُ بهِ من مقالاتٍ خطتها أناملُ مجموعةٍ من الأسماءِ اللّامعةِ في مختلفِ العناوينَ لاسيّما العقيدةُ الشيعيّة، ومدينةُ كربلاءَ؛ منهم المفكّر هبةُ الدين الشهرستانيّ، وصدرُ الدين الصدر، والأديب صدرُ الدّين الشهرستانيّ، والسيّد سلمان هادي آل طعمة، والكاتب موسى إبراهيم الكرباسيّ، والمفكّر السيّد حسن الأمين، والكاتب حامد محمود إسماعيل، وغيرهم كثير...

ولأهمّيّةِ المقالاتِ التّي نشرتها تلك المجلّةُ المهمّةُ تبنّى مركزُ تراثِ كربلاء التابع إلى قسمِ شؤونِ المعارفِ الإسلاميّة والإنسانيّة في العَتَبةِ العبّاسيّةِ المقدّسةِ جمعَ وتبويبَ ما كُتِب فيها عن كربلاءَ بجميعِ أعدادِها في كتابٍ خاص ليكونَ مرجعًا مهمًّا للباحثينَ في التراثِ الإنسانيّ الكربلائيّ، والحصول على ما كُتِب عنها دون عناءِ البحثِ في جميعِ أعدادِها التّي تناولت مواضيعَ مهمّةً في الشّأنِ الكربلائيّ. تَضمَّنَ العملُ في تلك الفصولِ الجمعَ بين الترتيبِ الموضوعيّ والزمنيّ، وذلكَ بتقسيمنا الكتابَ على ثلاثة أجزاء، وخمسة فصول، الجزء الأول فيه فصلان؛ الفَصْلُ الأَوّلُ: التاريخُ والسياسةُ، الفصلُ الثّاني: الأدبُ والتراثُ الشعريّ، والجزء الثاني فيه الفصلُ الثّالث: سِير وتراجم، والجزء الثالث فيه الفصلُ الرّابع: القضيّةُ الحسينيّةُ والفصلُ الخامس: مواضيعُ متفرّقةٌ: أوّلًا- الآثارُ المخطوطةُ في كربلاء. ثانيًا- أخبارٌ متنوّعةٌ. ثالثًا-الصحافةُ في كربلاء. رابعًا: لواءُ كربلاء. وذلك بحسب نوعِ المواضيعِ المنشورة في المجلّةِ عن كلِّ ما يخصُّ كربلاء، وتوزيع المواضيع داخل تلك الفصول وفقًا لتلك العناوين وما موجودٌ فيها من مادّةٍ بحسب

التسلسلِ الزمنيّ لأعدادِ المجلّةِ، يتمُّ ذكرُ تفاصيل كلّ عددٍ لكلّ موضوعٍ في الهامشِ، مع ملاحظةِ الأخذ بنظرِ الاعتبارِ طبيعة كلّ موضوع داخل كلّ مجلّد، فالمجلّةُ قُسّمت على مجلّدات داخلها أجزاء دون ذكر رقم العدد، وبعض تلك المجلّدات داخلها أعدادٌ وليس أجزاء، كما أنّ بعضَ المواضيعِ كُتِبت لأشخاصٍ متوفّين قبلَ صدورِ المجلّةِ ونُشرت لهم مقالات لكنّنا في الإحالةِ إلى الهامشِ أشرنا إلى صاحبِ المقالةِ، وهناك مواضيعُ داخل المجلّةِ كُتبت دون ذكرِ اسمِ صاحبِ المقالةِ ذكرناها كما هي في الهامشِ، وكذلك بالنّسبةِ لبعض الكلماتِ غيرِ الواضحةِ حاولنا فيها الرجوعَ إلى المصادرِ للحصولِ على أصلِها للتأكّدِ من سلامتِها ونُضيفُ تلك المصادرَ في الهوامش مع الإشارة إلى أنّها من تخريج المركز، وقمنا بتصحيح بعض العبارات لغويًّا، وتخريج الآيات القرآنيّة، أمّا الأحاديث الشريفة والأبيات الشعرية فلم نُخرّجها وتركت كما جاءت في المجلة؛ لأنَّ عملنا في هذا الكتاب هو عمل جمعي وليس تحقيقيًّا، الغرض منه جمع المقالات المتعلقة بمدينة كربلاء المقدسة فقط.

والهوامشُ الموجودةُ في المقالاتِ أصلًا لم يتم التلاعبُ فيها ونُقِلت كما هي في النسخةِ الأصليّةِ.

وجدير بالذكر إن المقالات المذكورة في هذا الكتاب تعبّر عن وجهة نظر كُتّابها ولا تعكس رؤية مركز تراث كربلاء الذي يتحفّظُ على بعض ما ذُكر فيها من أفكار وآراء، إلّا أن المركز لم يقم بمناقشتها وحاول جهد الإمكان إبقاءها كما هي عليه في المجلة.

أخيرًا نتقدم بالشكرِ لكلّ من الأستاذ فؤاد زيد الزين الراعي الأخير لمجلّةِ العرفان حتى صدور آخر عددٍ لها في سنة ١٩٩٦م، والدكتور مجيد حميد الحدراوي لجهودهما في الحصول على الأعداد المتبقية من مجلّةِ العرفان، ورفدهما بما يملكانه من معلوماتٍ قيّمة

حول المجلّة، كذلك نشكرُ سماحة المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدَّسة السيد أحمد الصافي -دام عزّه- على تشجيعه ودعمه المتواصل بمختلف الوسائل لإحياء التراث الإسلامي، ونشكر سماحةَ الشيخ عمار الهلالي رئيس قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة على دعمه المتواصل والـدؤوب للمركز بمختلف الوسائل والطرائق، والشكرُ موصولٌ إلى الإخوة العاملين في مركزِ تراثِ كربلاء على جهودهم في تأليف هذا الكتاب، وهم كلّ من الدكتور علي طاهر تركي الحلي الذي تابع سير العمل، والدكتور أحمد فاضل حسون المسعوديّ الذي قام بترتيبِ ما بداخل الفصول بحسب التسلسلِ الزمنيّ، والشيخ أمجد البرقعاوي، وكذلك الأستاذ مرتضى رضا حريج الكريطي الَّذي قام بالتدقيق اللغوي، والتأكد من التسلسل الزمني للمقالات في كلِّ فصلٍ، والأخ إيلاف ناصر مع الأخ مهدي عباس لقيامهما بمقابلة المنضّد مع الأصل، والأخ منتظر محمد جاسم الذي قام بالتنضيد، والأخ محمد فاضل حسن الأسدي الذي قام بالإخراج الطباعي والتصميم.

وختامًا نسألُ اللهَ تعالى أن يتقبّل منّا هذا الجهد، ويجعله نافعًا لإخوانِنا الدارسين والباحثين.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

د. إحْسَانْ عَلِي الغُرَيْفِيّ
مُدِيْرُ مَرْكَزِ تُرَاثِ كَرْبَلَاء
قِسْمُ شُؤُوْنِ المَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّة
١٤رجب ١٤٤٣هـ/ ١٦شباط ٢٠٢٢م

الفَصْلُ الأَوَّلُ:

التَّارِيخُ وَالسِّيَاسَةُ

صفحة من تاريخ كربلاء[1]

ليس من يجهل خطورة كربلاء، ومقامها الرفيع عند أبناء الشيعة الذين يعدونها في عداد المدن المقدّسة ففيها قبر ريحانة الرسول ﷺ وأصحابه من جاهدوا في سبيل تأييد حقه في الخلافة فاستقتلوا أمامه متهالكين متفانين في الدفاع عن حرمه المقدّس، ولهذا فهي اليوم مطمح أنظار ٥٠ مليونًا من الفرقة الجعفرية منتشرين في أصقاع الكرة الأرضية كالعراق وفارس والهند وبخارى وتركستان، وإليها يحج كل سنة مئات الألوف أكثرهم من بلاد العجم، ولا يبالون بالمشاق وغير ملتفتين إلى تجشم متاعب الطرق ومصاعبها كل ذلك أملًا بنيل الرحمة والرضوان، وتبركًا بآثار آل البيت عليهم السلام، ومع ما لهذه المدينة العظيمة من رفعة شأن، وبعد الشهرة لم نرَ أحدًا أنشأ لها تاريخًا يعول عليه، ويركن إليه حتى أصبحت الكتابة عن تاريخ كربلاء من أصعب الأمور، ولو لا بعض الحكايات ينقلها السلف إلى الخلف فتتداولها الناس لما أمكنا أن نعرف أكثر من أنها بلدة قتل فيها الحسين وآل بيته عليهم السلام على أنني قد وقفت على نبذ يسيرة من تاريخها الغامض أحببت أن أدونه في هذه المجلة عسى أن تستفز أولي الغيرة وأهل النشاط لكشف الستار عن أحوالها الماضية، ووقائعها فيضعون لها تاريخًا مفيدًا جمع أشتات الفوائد، وحوى من الأبحاث ما يصح أن نعده في عداد تواريخ حواضر الغرب، وإليك ما وصل إليه علمنا من حالة هذه المدينة.

---

(١) إبراهيم حلمي، صفحة من تاريخ كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الخامس، الجزء السابع، تموز ١٩١٤م، ص٢٥٧-٢٦١.

لا يعرف على التحقيق الزمن الذي أسست فيه كربلاء ولم يكن لها في العهد العهيد قبل الفتح الإسلامي شيء يستحق الذكر والتدوين[١]، ولم يرد ذكرها في التاريخ إلّا نادرًا في عرض الكلام على الحيرة، وما يقع فيها وفي قرى الطف من الحوادث والوقائع، وكانت قبل أن يفتتحها المسلمون قرية عليها مزارع وضياع لدهاقين العجم[٢]، واشتهر سكانها بالميل إلى الزراعة والحراثة، وبقيت كذلك إلى أن استولى عليها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب سنة ١٦هـ، وكان الفاتح لها ابن عرفطة[٣] بأمر ابن أبي الوقاص، وذلك زمن إقامته في الحيرة وكان في عزم العرب أن يتخذوها مقر الجيوش ومركزًا لإدارة ما فتحوه من ديار الحيرة والطف فجعلوها أوّلًا معسكرًا لهم ثمّ عدلوا عن ذلك ورحلوا منها حين أنكروا وخامة هوائها، وكثرة ذبابها فنزلوا الكوفة، وجعلوها مركز أعمالهم، وعاصمة ملكهم في العراق. وإلى ذباب كربلاء أشار رجل من أشجع في قصيدة مشهورة[٤]:

لقد حبست عن كربلاء مطيتي وفي العين حتى عاد غثًا سمينها
إذا رحلت من منزل رحبت له لعمري وأيها إنني لأهينها

---

(١) [مركز تراث كربلاء] اختلف المؤرخون مع ما ذكرته المجلة في هذا الصدد، حيث بينت المصادر والمراجع ان لكربلاء قبل الفتح دور واثر تاريخي ملحوظ . ينظر على سبيل المثال : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٩م)، ج٤ ، ص ١٨٣ .

(٢) [مركز تراث كربلاء] والمقصود بهم طبقة التجار الفرس . ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، (بيروت: دار صادر ، ٢٠١٠)، ج٣، ص١٦٣ .

(٣) [مركز تراث كربلاء] هو خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان العذري، صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وروى عنه، كان برفقة سعد بن ابي وقاص في فتح العراق، واستخلف على الكوفة مده من الومن. للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ج٤، ص٢٦٣ .

(٤) [مركز تراث كربلاء] ينظر نص القصيدة وتكملتها : محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩م) ، ج٣، ص٣٧٣.

ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذبان زرق عيونها

ولما ارتحل عنها المسلمون قلّ شأنها وكادت أن تذهب معالمها ويخفى ذكرها، وقد ورد ذكرها بعد ذلك في كلام علي عليه السلام أبان ذهابه إلى صفّين ومروره بها، وكانت قرية قليلة السكان فقال: كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات[1] بين نواويس وكربلاء[2] وأشار بهذا إلى ما سيقع فيها من الحوادث الخطيرة.

وظلت خاملة الذكر قليلة الشأن إلى أن قتل بالقرب منها أبو عبد الله الحسين عليه السلام ونفر قليل من أنصاره عليهم السلام سنة ٦١هـ، ومن ذلك الحين ذاع صيتها وشاع اسمها في الأقطار إلّا أنها لم تكن عامرة، ومع ما في نفوس الشيعة من الحب لمجاورة قبر الحسين عليه السلام والتبرك به لم يستطع أحد أن يتخذ دورًا أو أن يقيم بنايات حول القبر خوفًا من سلطان بني أمية وبطشهم بأنصار العلويين، ومن يجاهر بالإخلاص لهم، إلّا أن بعض عظماء الشيعة كانوا يترددون من حين إلى آخر لزيارة القبر سرًّا، وبعد انقراض الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية استطاع الشيعة إعمار قرية كربلاء، وتشييد الأبنية الشامخة حول القبر، وإنشاء الدور، وإقامة الأسواق الجميلة الحافلة بأنواع الأقمشة، ولكن أمد ذلك لم يطل كثيرًا فقد قلب لهم خلفاء الدولة العباسية ظهر المجن، وصار بعضهم أشد وطأة عليهم من الخلفاء الأمويين، ومن أمثلة ذلك أن المتوكل العباسي هدم قبر الحسين عليه السلام وحرثه، وأجرى الماء عليه وكذلك أمر بهدم ما حوله من الدور والمنازل وأقام هناك جنودًا يقبضون على كل

---

(١) والمقصود بها اصطلاحاً ذئاب الصحراء . ينظر: ابن سيدة، المخصص، (بيروت: دار احياء البتراث العربي، د. ت)، ج٣، ص١١٣؛ الفراهيدي، العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي)

(٢) يروى مثل هذا الكلام الحسين عليه السلام حين عزم التوجه إلى العراق قام خطيباً فجاء في خطابه كما في الملهوف لابن طاووس وغيره«كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء»، العرفان.

من زار القبر أو اهتدى إلى موضعه، وقد حصل للشيعة من ذلك كرب عظيم، ولما أدبر دور المتوكل أخذ الشيعة يفدون إلى كربلاء أفواجًا أفواجًا ويعمرونها وقام المستنصر من خلفاء العباسيين فشيد قبر الحسين عليه السلام واتخذ عليه بناءً شامخًا ثم جاءت خلافة المسترشد بالله فأخذ جميع ما اجتمع في خزانة الروضة من الآت ومجوهرات وأنفقه على جيوشه، وأركان دولته قائلًا إن القبر لا يحتاج إلى خزانة إلّا أنه لم يتعرض لمجاوري الضريح بسوء، وأطلق لهم الحرية في إقامة المآتم، وكانت كربلاء لذلك العهد مدينة عامرة آهلة بالسكان كثيرة الأسواق يقطنها آلاف من النفوس.

وفي سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م زار القبر عضد الدولة بن بويه الديلمي، وكان في كربلاء من العلويين خاصة ما يفوق على ألفي ومائتي ساكن فأغدق عليهم الهدايا، وأنعم عليهم بأموال وفيرة، وقد وصفها ابن بطوطة الرحالة العربي في أوائل القرن الثامن فقال: «هي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات، والروضة المقدّسة داخلها، وعليها مدرسة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والخارج، وعلى أبوابها الحجاب والقومة لا يدخلها أحد إلّا بإذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من فضّة، وعلى الضريح المقدّس قناديل الذهب والفضة، وعلى الأبواب أستار الحرير، وأهل هذه المدينة طائفتان: أولاد زحيك وأولاد فائز وبينهم القتال أبدًا وهم جميعًا إمامية ...».

ولم تزل كربلاء بين صعود وهبوط تارة تنحط خاضعة لدول الطوائف وطورًا تعمر تحت ظل الأمراء حتى دخلت في حوزة الدولة العثمانية سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م على عهد السلطان سليمان القانوني ثمّ استخلصها الفرس بعد ذلك وبقيت بأيديهم إلى أن جاء العراق السلطان مراد خان الرابع فاسترجعها وبقية بلدان العراق العربي من الدولة الفارسية سنة١٠٤٥هـ/ ١٦٣٦م ومن ذلك الوقت بزغت شمس طالعها، وتبدل

نحسها بالسعود، واستأمن الشيعة على حياتهم فعادوا إليها، وعمروا ما أخربته الحروب والفتن حتى بلغت ذروة عمرانها، وقمة تقدمها، ودخلت في حياة جديدة فأنشئت فيها الجوامع والمساجد والمدارس والرباطات والزاويات والعمارات، فكانت من أشهر مدن العرب وأضخمها وأفخمها، وبقيت مطمئنة البال، مرتاحة الخاطر، وأهلها في دعة من العيش حتى فاجأها سنة١٢١٦هـ/ ١٨٠١م سعود الوهابي بجيش عرمرم مؤلف من ٢٠ ألف مقاتل فهجم على المدينة[١]، وكانت على غاية من الشهرة والفخامة مطروقة بزوار الفرس والهنود والترك والعرب فحاصرها حصارًا شديدًا، ودخل بعد قتال عنيف فاتحًا فارتكب من الفظائع مالا يوصف حيث قتل الشيوخ والشبان والنساء والأطفال، ولم يرحم صغيرًا لصغره ولا كبيرًا لكبره، وقيل إنه قتل في ليلة واحدة عشرة آلاف نسمة ثمّ التفت سعود الوهابي نحو خزائن القبر، وكانت مشحونة بالأموال، ونفائس المجوهرات، وثمين العقود التي أهداها ملوك فارس والهند فنهبها عن آخرها، وفتح كنزًا فيه أموال كثيرة جمعت من الزوار، وكان من جملة ما نهبه الوهابيون لؤلؤة كبيرة وعشرين سيفًا مرصعة بالأحجار الكريمة، وأوان ذهبية وفضية، وفيروز والماس وغيرها من الذخائر الجليلة القدر، ومن جملة ما أخذه الوهابيون أثاثات الروضة وفرشها منها أربعة آلاف شال كشميري وألفا سيف وكثير من البنادق والأسلحة، وكان سعود قائد الحملة استباح المدينة ستّة أيّام حتّى إذا انتهت المدّة أصبحت البلدة أثرًا بعد عين.

وقد زارها أحد ملوك الهند في أوائل القرن التاسع عشر الهجري فأشفق على حالتها وبنى فيها أسواقًا حسناء وبيوتًا أسكنها بعض الفقراء وابتنى للبلدة سورًا منيعًا يصد

(١) [مركز تراث كربلاء] عانت مدينة كربلاء من الهجمات الوحشية المتكررة من قبل الوهابيين الذين اغاروا عليها غير مرة . للتفاصيل ينظر: سماح عباس جندي، الغزوات الوهابية على العراق ١٧٨٦- ١٨١٢ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠١٨).

هجمات الطامعين الطامحين فأقام حول الأبراج، ونصب له آلات الدفاع على الطرز القديم فأمنت على نفسها، وعاد إليها بعض التقدم والرقي.

وفي سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م ثار أهل كربلاء على الدولة، ورفعوا راية العصيان وكان والي العراق الحاج داود باشا فسيّر عليها جيشًا ضخمًا بقيادة أحد أتباعه، وأرسل إليها على أثر ذلك عشيرة عقيل فحاصرها القائد ثمانية عشر شهرًا ولم يقو على افتتاحها وإخضاعها لمنعة أبراجها وحصانة أسوارها، فرحل عنها خائبًا ثمّ أعاد الكرة وأحاط بها من جميع جهاتها، ومنع عنها الميرة، وبعد حصار دام أربع سنوات من ١٢٤١هـ إلى ١٢٤٥هـ استطاع الدخول إليها ظافرًا فقبضت الجنود على نقيب كربلاء وأرسلوه مقيدًا بالسلاسل إلى بغداد، وهناك سجن حتّى مات، وفي سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م ثار الأهلون في وجه الجباة وأبوا أداء الضرائب فأرادت الحكومة إخضاعهم والتنكيل بهم فأوعزت إلى والي بغداد نجيب باشا أن يبعث عليهم حملة عسكرية كبيرة[1] فامتثل للأمر وجهّز جيشًا كامل العدة ألقى بمقاليد قيادته إلى سعد الله باشا وكان بطلًا مغوارًا قاسيًا فلما أشرف على المدينة، وشاهد استعداد أهلها لمقاتلته، وامتناع قلاعها التجأ إلى الخداع فنشر منشورًا بأنه ضمن للأهلين عفو الحكومة، ففرح القوم بذلك وتركوا القلاع وأخلوها من معدات القتال، وفتحوا أبواب المدينة وعند ذلك أمر القائد الجيش بالهجوم فهجمت

(١) [مركز تراث كربلاء] كانت تلك الحملة من أبشع جرائم العثمانيين التي ارتكبوها ضد اهالي كربلاء حينما انتفضت هذه المدينة على السياسة العثمانية الجائرة المستبدة فحاصرها نجيب باشا الذي عرف بحبه لسفك الدماء لإخضاعها فقصفها بالمدافع وقطع النخيل وأغار المياه حتى استطاع دخولها بجيشه فاستباحها قتلاً ونهباً وتدميراً حتى اصطبغت أرضها بالدماء . ديلك قايا، كربلاء في الارشيف العثماني دراسة وثائقية ١٨٤٠-١٨٧٦، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨).

الجنود على الكربلائيين وسلطت المدافع على جهة السور الشرقية فهدمها بالقنابل وأصلى المدينة وسكانها وابلًا من القذائف والرصاص حتى إنه على ما قيل دخل بجيشه إلى صحن العباس عليه السلام وقتل كل من لاذ بالقبر فوطد سطوة الحكومة بمثل هذه الفظائع.

وفي سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٥م ظهرت بعض الفتن في كربلاء وتمرّد السكان على الحكومة بقيادة -علي هدلة[1]- وقتلوا كثيرًا من جنودها الرابضة هناك فرنّ صدى هذه الحادثة في الاستانة، وقام لها عبد الحميد وقعد وأصدر إرادة سنية بتسيير جيش عظيم إلى كربلاء لهدمها، وكان حينئذ عاكف باشا واليًا على العراق وحسين فوزي باشا قائدًا للجيش فيه فجاء الاثنان بقوة عظيمة إلى كربلاء يصحبهما أحد نقباء بغداد فضربوا المضارب خارج البلد، وبعد البحث رأى الوالي أن الأهلين أطوع للحكومة من بنانها فكتب إلى الاستانة يحثها على استرجاع الأمر، فصادف لحسن الحظ آذانًا واعية فرحل عنها الجيش بعد أن قبضت على بعض مثيري الفتن وزجتهم في سجن بغداد، ولم يحدث بعد ذلك ما هو جدير بالتدوين.

(١) [مركز تراث كربلاء] للتفاصيل حول هذه الحادثة ينظر على سبيل المثال: عبد الجواد الكليدار، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، (بغداد: مطبعة الارشاد، د.ت)، ص٤٥.

الخطبة الإصلاحيّة للعلّامة المصلح الشهير حجّة الإسلام الشّيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء في كربلاء[1]

على أثر النفرة التي حصلت في زيارة الأربعين بين النجفيين والكاظميين، ثمّ بين النجفيين والكربلائيين عام الثمانية والأربعين والألف والثلاثمائة، وامتناع مواكب النجف عن الحضور في كربلاء كسيرتها الأولى، الأمر الذي أحدث فتقًا واسعًا، وانشقاقًا لا يستهان به بين الأخوين المتجاورين والعتبتين المقدّستين، أمّا الروحانيون فحيث إنّهم في مقام هو أرفع من أن تؤثر عليهم تلك الحوادث الموهنة، والحزازات الشائنة؛ لذلك قيامًا بمراسمهم الدينيّة حضروا زيارة الأربعين في كربلاء هذا العام، وكان في مقدّمتهم الشّيخ العلّامة المصلح الأكبر حجّة الإسلام الشّيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، واتفق حضوره قبل زيارة الأربعين بيومين عند بعض الزعماء من رؤساء القبائل في دار له في كربلاء يقام فيها مأتم لعزاء الإمام الحسين عليه السلام، والمجلس غاص بأهله، فالتمس بعض وجهاء كربلاء وأشرافها من حضرته أن يرقى المنبر، ويلقي بعض النصائح والكلمات التي تبعث على تقارب الفئتين، وإصلاح ذات البين، وبعد الحاح الراغبين أجاب التماسهم ورقي المنبر، وألقى هذه الخطبة ارتجالًا من دون إعداد فكر ولا سابق رؤية فقال: بعد الحمد والصلاة: خير ما يفتتح به الكلام كلام الله المجيد قال سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي**

(١) الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، في زيارة الأربعين، الخطبة الإصلاحيّة للعلاّمة المصلح الشّهير حجّة الإسلام في كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الثّاني والعشرون، الجزء الرابع، تشرين الأوّل ١٩٣١م، ص٤٤٣-٤٥٠.

﴿الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[1] نحن بما أنّنا إسلام نعتقد أنّ هذا هو كلام الله ووحيه المبين، ونحن عرب أيضًا، ونفهم ظواهر الكلام أيضًا على الأقل، فنقول: «إنّ هذه الآية الشريفة تدلّ صراحة على أنّ البلاد التي أهلها مصلحون أو فيهم مصلحون لا تهلك، والبلاد الخالية من المصلحين لا محالة هالكة، ومعاذ الله ولا سمح الله نخشى أن تكون هذه الآية قد انطبقت علينا. وبما أنّ النجاة بوجود المصلح والهلاك بعدمه».

فيا ترى هل عندنا مصلحون حتى نأمل النجاة أو البلاد خالية من المصلح فتسحق الهلكة. أمّا كلمة العذاب والهلكة فقد حقّت علينا- فإنّ الحال الذي نحن فيه هو عين الهلاك والبوار، ليست الهلكة هي الموت، بل(ربّ عيش أخفّ منه الحمام)[2]، أفليس الموت أطيب من هذه الحياة التي نحن فيها؟ أسرّاء أذلّاء مشتتين فقراء لا نملك من أمرنا شيئًا، ولا نستطيع لأنفسنا نفعًا، ولا ندفع عنها ضرًّا. فقر مدقع. ذلّ مهلك، عجز مفرط. شقاء وتعاسة- هذا لعمرك هو الهلاك بعينه، والموت المخزي بذاته، وما سبب كلّ ذلك إلّا تشتت الكلمة، واختلاف الآراء، والتنابذ والتقاطع فيما بيننا، وما كلّ ذلك إلّا بسبب عدم وجود المصلح، نعم يوجد الصالح فينا، ولكن ماذا ينفع الصالح- الصالح ينفع نفسه، والمصلح ينفع أمّته ينفع بلاده، ومن هنا تضافرت الأحاديث الشريفة التي مضمونها: (إنّ فضل العالم على العابد كفضل الشمس والقمر على سائر النجوم)، وكان النبيّ ﷺ لا يزال يقول: «إنّ فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[3]، نعم، ولا

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة القصص، آية: ٥٩.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هذا المقطع عجز لبيت شعري ضمن قصيدة المتنبي المعنونه (لا افتخار الا لمن لا يضام)،ينظر: ج١، ص١٢٤.

(٣) [مركز تراث كربلاء] ينظر: الطبراني، المعجم الكبير،(بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٥)، ج٨، ص٢٣٤.

ريب في ذلك العالم هو المصلح، وقد عرفت أنّ به حياة الأمّة ونجاتها، والعابد هو العبد الصالح وليس فيه إلّا حياة الفرد العالم الصالح يوحّد الكلمة، ويجمع شمل الأمّة، وبهذا يحفظ نواميس الإسلام ودعائم الحقّ، ولقد حدّدت الإسلام بكلمتين ما حدّه بها أحد قبلي – إنّ الإسلام قائم على دعامتين تعتمد إحداهما على الأخرى(كلمة التوحيد)، و(توحيد الكلمة)، ولولا توحيد الكلمة بوجود خاتم الأنبياء في بدء الإسلام لما انتشرت كلمة التوحيد–.

النبيّ وحّد كلمة العرب فقاموا بكلمة التوحيد، وتغلّبوا على الملك كسرى وقيصر، وأخذوا بناصية المشرق والمغرب.أمّا اليوم وقد تشتت كلمة العرب حتى لا تجد بلدًا واحدًا قد اتفقت كلمة أهاليها فيما بينهم فضلًا عن اتفاقها مع بلد أخرى، ويوشك مع هذا التشتت والتفرقة أن تذهب كلمة التوحيد بتاتًا من رقعة الأرض لا سمح الله، أفيرجى الفوز والظفر والنجاة والحياة لنا، ونحن على الحال الذي ترونه كلّ يوم خراب وحراب وفتنة بين الأخوين يوم في الكاظميّة، ويوم في النجف، ويوم في كربلاء، فلو كان ثمّة رجال مصلحون أكان يقع مثل هذا، وإذا وقع فهل كان من الحقّ أن يبقى برهة حتى يؤثر أثره السيء، ويأخذ مفعوله الوخيم.

زيارة الأربعين التي كانت من أعظم المواسم التي يجتمع فيها العراقيون في مجتمع واحد، وهم يزيدون على مئات الألوف هذا العام بصورتها الضئيلة، وروحها العليلة قد أوشكت أن تنتهي وتزول؛ وهب أنّ النجفيين ومن ينضوي إليهم من نواحيها وأرباضها لم يحضروا كربلاء، ولكن كيف الحالة بعد هذا في الزيارات الأخرى، هل يترك النجفيون سائر الزيارات كنصف شعبان وعرفة وغيرهما؟ فوا سوأتاه أبوك وأخوك وجارك يقطعك فكيف يصلك البعيد، أمّا لو حضروا كربلاء، وذهب أهالي كربلاء إلى النجف،

فكيف إذن والقلوب موغورة والعقول قاصرة.

والجهال من الطرفين كثيرة، فهنالك البلاء الذي يأتي على الأخضر واليابس، المسألة اليوم، وبالأمس شرارة أهون شيء أطفاؤها، ولكن بعد اليوم سوف تتأجّج نارها، ويعظم شنارها، ويكبر عارها، نعم البعيد النظر، وعميق الغور والمتدبّر في العلل والأسباب، يعرف أنّ هناك شيئًا لا علاقة له بالنجف وكربلاء والكاظميّة، الرعاع والسواد يتحرّكون ولا يعلمون من المحرّك ولماذا يتحرّكون ويتضاربون، ولا يدرون على أيّ حساب يتضاربون (قال الجدار للوتد: لم تشقّني؟ قال: انظر إلى من يدقّني)[1] ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[2].

مرّ رجل في طريق فرأى شخصًا قد أحاط به جماعة يضربونه ويصفعونه على رأسه، وكلّما مرّ رجل شاركهم في ضربه، وبالطبع تعجّب الرجل من هذه الحادثة الغريبة، فأخذ يسأل من كلّ واحد عن سبب ضربه؟ فيقول: لا أدري، فازداد عجبًا! إلّا أنّ المضروب المسكين دعاه إليه، وقال له: لا تسألهم فإنّهم كما قالوا لا يعلمون السبب وأنا الخبير به، انظر إلى ذلك الخيط المتدلّي من هذا السطح، فإنّه خيط ساحر في أعلى الدار إذا أراد أن يهزأ ويضحك على عقول الناس يلقي خيطه هذا، فعلى رأس أيّ رجل صادف وقوع الخيط انهال الضرب عليه من كلّ أحد يمرّ به، فإن كنت تريد خلاصي فارفع هذا الخيط عن رأسي إن كنت قادرًا عليه، فالمسألة مسألة الخيط أيها الإخوان فهل تقدرون على رفعه؟

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هذا النوع من المجاز والاستعارة من القول كان متعارفاً عند قدماء العرب للدلالة على عظم ابتلاء البعض ولسان حالهم في تبرير ما يعانون منه . ابن حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١)، ج٧، ص٤٦٦.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

نعم، تقدرون ولكنكم تساعدون الساحر على سحره، وهناك قصّة أخرى وقضيّة واقعة.

كان في بلد(الحلّة) في العصر القريب الذي أدركناه قبل ثلاثة عقود أو أربعة رجلان مهمّان وزعيمان عظيمان هما: (نور الدين، ومحمّد الشبيب)[1] وهما من الفحول الطواغيت، وحكومة الحلّة أيّام الترك تهابهما وترعى جانبها، ولم يكن لهم بدّ من مصانعتهما، فجاء في بعض تلك الأزمنة(بيكباشي) عسكري، كان موظفًا في الحلّة، وكان فيه شيء من الغرور والحماقة، فلم يعتنِ بالرجلين، وبنى سيرته على احتقارهما، فكانا ذات يوم جالسين على كرسيين في صدر مخزن في بعض الأسواق، وكان لذلك العسكري صديق خيّاط في ذلك السوق فاتفق إن جاء العسكري ومرّ عليهما، فأمر أن يوضع له كرسي فجلس عليه بحيث جعلهما وراء ظهره يقصد تحقيرهما، فقال أحدهما للآخر: إلى كم نتحمل من هذا الجاهل الأحمق، وما التدبير؟ فقال له محمّد الشبيب: «الرأي عندي ولك عليّ أن لا يبقى أكثر من هذا اليوم في الحلّة»، وفي الأثناء مرّ سيد فقير قد خرّبه الإفلاس حتى أذهب شعوره وبغض إليه الحياة، فدعاه محمّد الشبيب وقال له: «كيف حالك»؟ فقال: «صرت في حال أبيع حياتي في(مجيدي) لو يحصل لها مشتري»، فقال: «أنا المشتري بأكثر من مجيدي، خذ هذه الليرة واذهب إلى البيكباشي واصفعه على رقبته من قفاه صفعة قوية»، فجاء السيّد وضربه على غرّة صفعة قويّة تسمّى باللسان العام(عجل) كاد أن يندفق منها دم أوداجه، فنهض العسكري وقبض عليه وأراد أن يبطش به فاستغاث السيّد بصاحب المخزن الخيّاط، فوقع على يد العسكري ورجليه يقبلهما ويتوسّل إليه في إطلاقه، وإنّه رجل معتوه مفلس لا شعور له، ولم يزل يتشفّع إليه حتى أطلقه ورجع

(١) [مركز تراث كربلاء] وهما من اعيان ووجهاء مدينة الحلة في تلك المدة التاريخية ، وما نعتهم بالطواغيت الا لتزعمهما وقوة شكيمتهما . ينظر: مصطفى الواعظ، الروض الازهر في ترجمة ال جعفر، (الموصل: د. ك، ١٩٤٨) ، ص ٢٠٣.

إلى صاحبه فأعطاه الليرة، وقال له: هذه ليرتان واضربه الضربة الثانية، فجاء السيّد إلى أهل الحوانيت وأهل السوق راجيًا أن يخلّصوه هذه الدفعة فأجابوه إلى ذلك، فذهب إلى ذلك الأحمق من خلفه وصفعه بثانية أقوى من الأولى أسقط طربوشه من رأسه، فقبض عليه قبض ضنين فتهاوى أهل السوق عليه وخلّصوه أيضًا من يده، وجاء إلى ابن شبيب فأعطاه الليرتين وتشكّر منه وقال له: ما تقول هذه ثلاث ليرات أخرى وتضربه الثالثة فقال: هاتها فدفعها له فاجتمع عنده ببركة الصفعات ستّ ليرات، فأودعها عند صاحب المخزن الذي كان الزعيمان جالسين عنده، وقال له: أنا ذاهب أضربه الصفعة الثالثة فإن هلكت بقتل أو حبس مؤبد فادفع الدراهم إلى أهلي، وإن عدت سالمًا أخذتها بنفسي منك، ووطّن المسكين نفسه على أن يضرب هذه المرة ويفرّ فإن قبض عليه فالموت وإلّا فالنجاة، ولما ضربه الثالثة وأخذ في الفرار ناداه العسكري الذي صبّ الله عليه ذلك العذاب وقال له: أيها السيّد بحقّ جدّك قف ولا تخف فأنت آمن بالحظ والبخت، فلما وقف جاء إليه وقال: يا هذا أقسم عليك برسول الله ﷺ إن كنت سيّدًا ما هو سبب هذا العمل؟ وما الباعث عليه؟ فإنّ المسألة ليست مسألة معتوه ومفلس، ولا بدّ أن يكون هناك سبب وراء الستار، فقال له السيّد الفقير أنا أخبرك بالحقيقة وهي: أنّه مادام كيس محمّد الشبيب مملوءًا بالليرات، وما دام هو قد فتحه لي يلزم أن توطّن نفسك يا(بيك) على أن تأكل(عجول وسطرات) حتى تشبع، فلما عرف المسألة رجع إلى منزله وحمل أسبابه، وخرج من الحلّة إلى حيث ألقت.

فالقضيّة يا إخوان أخشى أن تكون قضيّة(عجول) وكيس محمّد الشبيب لا قضيّة نجف وكربلاء وكاظميّة -هذا باب وراءه أبواب وفروع لها أصول، وبعد هذا كلّ يوم وكلّ سنة في حادثة غريبة، وقضيّة جديدة، وخيط الساحر يلعب على الرؤوس، ولو

أنّنا أخذنا بآداب الله سبحانه لما كان للسحر علينا تأثير، لقد أدّبنا الله والإسلام بأحسن الآداب، ولكنّنا أضعناه، ولم يبقَ إلّا حبر على ورق وألفاظ على لسان- إنّ الله سبحانه يقول وما أعظمه من قول يقول: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[1] فما يضرّكم أو يضرّهم لو تفاهمتم بذهابكم أو مجيئهم؟ أخوك يضربك خير من عدوك يهجم على بيتك، ألا تفكرون في هذه الرزايا وأمهات المنايا أين الرجال وأين المصلحون القوم رجال أمثالكم، فكيف أصبحت لهم القوّة والقدرة، والمال والثروة، والحول والعزّ، ولم يبقَ عندنا شيء منها، نعم عندنا عوضها اللطمات والمشاحنات والمطاحنات بعضنا على بعض الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويصلون ما أمر الله أن يقطع.

نحن أشبه ببحيرة ماء إذا تبدّدت وتقطّعت تجيف وتنتن، وإذا اتصل بعضها ببعض يصلح ماؤها، ويعذب هواؤها، وتقوى على مقاومة المغيرات والطوارئ. أنا رجل دين بحت، وروحانيّ محض، قد ذرف عمري على الستين قضيته في خدمة الشريعة المحمّديّة، ولا أعرف من السياسة شيئًا، ولذا أحسّها ولا المسها. ولكن بما أنّني روحانيّ وصاحب قرآن وحديث؛ وجدت الله سبحانه في كتابه، والنبيّ في حديثه يحذّرنا من الشيطان الرجيم ومكره وسحره وخدعه وحبائله وغروره، فأنا أحذّركم منه كما حذّركم الله، وأقول لكم كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[2]. ويقول: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾[3]. وقال

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة فصلت، آية: ٣٤، ٣٥.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة فاطر، آية: ٦.

(٣) [مركز تراث كربلاء] سورة الكهف، آية: ٥٠.

عزّ من قائل: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[1]. أيها الإخوان هل تؤثر فيكم هذه الآيات الباهرة أم على قلوب أقفالها، قبل هذا لو كنّا نتناطح أو نتذابح لم يكن بالأمر المهم، ولكن اليوم الشيطان يحرّك الخيط فيضرب بعضنا بعضًا، ويتفرّج علينا، ويستغلّ ذلك منا.(أورد لكم حكاية ثالثة):

كان إمام جماعة ولكنّه كثير النسيان سريع التذكرّ، فكان يصلّي بجماعته، ويغلط كثيرًا وكان له ابن ذكي فربط إمام الجماعة بيده خيطًا وأعطى طرفه الآخر لولده، وأوقفه وراء المحراب، وقال له: استمع لقراءتي فإذا غلطت حرّك الخيط كي أتذكر، فمرّ ذات يوم أحد الشياطين ورأى تلك الحالة المستغربة خيط في يد طفل، وطرفه الآخر في يد إمام يصلّي بالناس، فسأل الولد عن سبب تلك الهيئة؟ فحكى له القصّة، وأنبأه عن الغاية، فعزم الشيطان أن يجعل القصّة مهزلة، فأخذ الخيط من يد الولد؛ ليساعده على القيام بتلك الوظيفة فقرأ الإمام«إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ»، فحرّك الشيطان الخيط فأبدلها إنّما بعثنا نوحًا إلى قومه، فحرّك الخيط فأبدلها إنّا سيّرنا نوحًا، وهكذا يبدلها، والشيطان يحرّك حتى أتى الإمام على المرادفات جميعها تلك اللفظة والحركة لا تنقطع، ولما أعياه الأمر قفز الإمام من المحراب إلى خلفه وهو لا يعلم القصّة، ولكن قال لجماعته: يا جماعة الخيط اليوم بيد ابن حرام فلا نستطيع الصلاة مع هذه الحال. فيا أيها الناس الخيط هذه بيد ابن حرام، يريد أن يجعلنا مهزلة ويضحك وله فيها مآرب أخرى، وأنا أحذّركم من الشيطان وسحره ومكره كلّ يوم يحرّك الخيط فنرقص له، ويضرب بعضنا بعضًا من دون أن يشعر كلّ منا بما وراء الأكمة -الله يعلم- كيف ساءني هذا الخبر -خبر مقاطعة النجفيين لكربلاء- وقيام هذه الفتنة وما بتّ ليلة إلّا وأنا أفكر في الطريق إلى إصلاح هذه المفسدة،

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الإسراء، آية: ٥٣.

أنا نجفي والنجف وطني وأغار على سمعتها، ولكن الحقّ والطائفة فوق كلّ عاطفة، أنا لا أقول الذنب من الكربلائيين أو من النجفيين أو الكاظميين، ولكن الشيطان هو العدو المبين، الشيطان هو الذي بلغ بنا إلى ما ترون، حال مؤلم، ومستقبل مظلم، ألا تفكرون في هذا البلاء قبل أن يتفاقم، إنّ مقامي هذا فيكم، وكلامي في إصلاح ذات بينكم أجدر وأسمى من إقامة المآتم، وهو أحبّ وأطيب على الحسين وأصحابه الشّهداء(سلام الله عليهم) من تلك المناحات مع احترامي لها، ولكنّ هذا الذي نحن فيه هو التأسيس لحفظ جميع النواميس، فهل تشعرون أيها القوم بمغزى ما أقول.

أكثرنا لا يصل أقصر مدّ نظره إلى خطوتين أو ثلاث، ويوجد من يصل مد نظره إلى ألف خطوة.

نحن تعودنا على التسامح والتساهل في كلّ شيء حتى يقضى الأمر علينا ونحن لا نشعر، فإذا مرّت قضيّة نتغاضى عنها، وتأتي الثّانية ونتسامح فيها، وهكذا حتى يفلت زمام أمورنا من أيدينا، ويصير بيد الوحش الكاسر الذي لا يريد إلّا أن يفترسنا وقد فعل.

جاء سارق إلى دار رجل ليلًا، فاستيقظ صاحب الدار ورأى السارق يتناول حاجة بعد أخرى، وصاحب البيت ينظر ولا يبدي حراكًا، وكلّما تناول السارق شيئًا، قال ربّ البيت في نفسه: انظر ما يصنع بعد هذه، وقدر في نفسه أنّه عند فراغ السارق من تمام عمله يقوم ويقبض عليه، ولكن في أثناء هذه الأفكار غلب النوم عليه وانتبه فرأى الدار بحمد الله خالية من كلّ شيء(النظافة من الإيمان)[1].

(١) [مركز تراث كربلاء] وهو بالاصل حديث مروي عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، فقال: (النظافة من الإيمان والإيمان وصاحبه في الجنة). ينظر: محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط٢،(بيروت: مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣م)، ج٥٩، ص٢٩١.

أنا اختبرت وسرت فوجدت في العراق فضلًا عن سائر الأقطار العربيّة والممالك الإسلاميّة، عقولًا غالية، وأفكارًا سامية، وهممًا رفيعة وثقافة منيعة، لكن يعوزنا النشاط إلى العمل نحن أناس خياليون، نحن نريد العمل ولا نعمل، ونعرف الداء ولا نستعمل الدواء، نحن كما ترى رجال أقوال لا رجال أفعال(إذا نصبوا للقول قالوا فاحسنوا) نحن لا نعرف التفاهم مع غيرنا، المسألة مسألة تفاهم، ورفع الأوهام، وكانت تلزم عليّ المبادرة كي لا يكون موسم الأربعين كهذا، فإنّ الأزمة وإن كانت عظيمة وبالغة أشدّها ولكنّها لا تعوق. ثمّ ذكر حكاية أبي دلامة مع بعض الأمراء في المبارزة إلى الحرب، ثمّ قال: «نحن نتشاجر على أيّ شيء ونحن فارغون من كلّ شيء، نحن نتضارب على حساب غيرنا الغرامة علينا، والغنيمة لغيرنا، وإلى جنبنا أناس عقلاء اتفقوا ففازوا وظفروا، ظفروا بنا وقسّمونا نصفًا لهم ونصفًا للشيطان، فأصبحنا الغنيمة الباردة ونحن هذه دنيانا، وأسوء منها بغير شكّ أخرانا، أليست هذه العداوة فيما بيننا هي نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة؟ أليست المحبّة والصفاء هي(روح وريحان وجنّة نعيم)[1]؟ أليست شريعة الإسلام هي شريعة السلم والأخوة؟ ولكن تبدّلت كلّ هذه الشرائع بمساعي الشياطين. نعم، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالسوء والفحشاء. نعم، الشيطان وعدكم الفقر ووفى لكم بما وعد، انظروا إلى شعيركم وحنطتكم وتموركم، وكان قبل أن يتسلط عليكم يعدكم إذا استولى على بلادكم يجعلها جنّة من جنان الفردوس...».

يحكى في الأساطير الأوليّة -عن آدم الأوّل- آدم الذي هو قبل آدمنا. نعم، ورد في الأخبار(في الصافي) وغيره عن الإمام الباقر عليه السلام(أن قبل آدمكم ألف ألف آدم)[2].

---

(١) [مركز تراث كربلاء] وفي هذا الموضع اراد الشيخ كاشف الغطاء ان يستدل بالاية الكريمة (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيم) كنتيجة حتمية للوئام والصفاء بين الناس . سورة الواقعة ، اية ٨٩.

(٢) [مركز تراث كربلاء] ينظر نص الحديث المروي عن الامام الباقر عليه السلام . محمد باقر المجلسي، بحار الانوار،، ط٢،(بيروت: مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣م)، ج٨، ص٣٧٤ .

آدم الأوّل الذي قبل أبينا آدم عليه السلام كان عنده إبليس مسلّط عليه وعلى ذريته، وكان لإبليس ابن عم، وله مملكة شيطانيّة، وكان يحاول الاستيلاء على آدم وذريته وطرد إبليسهم، وكان يبثّ دعاته فيهم ينفرونهم من إبليسهم ويبغضونه إليهم، ويحببون سلطة ابن عمه الإبليس الثّاني(عزرائيل) ويسمّون دولته(الدولة العادلة) حتى أشبعوا أفكارهم بأنّه إذا استولى عليهم عزرائيل يجعل بلادهم من جنان الخلد، ويملؤها قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا، ونظرًا إلى تلك الأماني الطيّبة، والأحلام الحلوة أعانوا عزرائيل على محاربة ابن عمه وطردوه من بلادهم فلما استولى عليهم وتمكّن منهم، وكسح سلطان ذلك الشيطان جعل أراضيهم يبابًا، وبيوتهم خرابًا، ولم يقنع منهم بذلك حتى جعل يمتصّ الدم، ويقطع اللحم، ويذيب الشحم، ولم يبقَ منهم سوى جلود على عظام نخرة، ويوشك يومًا أن يسلخ الجلد، ويهشّم العظام.

وإلى هنا فليقطع الكلام فقد دللنا على مواضع المرض، وشرحنا الأسباب والعلل، وشخصّنا العلاج الحاسم، والدواء الناجع، وأنا أختم كلامي بكتاب الله كما بدأت به فأقول: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1]

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة هود، آية: ٨٨.

الشيعة في العراق[1]

قلنا إن نصيب الأكثرية من أبناء العراق في وظائف الدولة الحرمان بدرجة لا تستطيع أن تقارن ذلك مع أصغر الطوائف عددًا، فمثلًا كان لليهود وزير قبل أن يكون للأكثرية وزير، وكان للمسيحيين مدراء عموميون، في حين لا يوجد للأكثرية مدير عام حتى الآن، وكان لأبناء الشمال متصرفون قبل أن يكون للأكثريّة متصرف واحد، وكان للمسيحيين موظفون إداريون قبل أن يكون للأكثرية من أبناء البلاد شيء من هذا القبيل، وكان للأقليات مدراء للشرطة في حين لا يوجد لأبناء الأكثرية شيء من ذلك، وهكذا كان نصيب أبناء الدجلة والفرات الحرمان من حقوقهم المشروعة كافة لأن أركان الوزارات المتتابعة التي تشكلت في أرض الرافدين بعد الثورة العراقية إلى يومنا هذا كانوا من الرجال الذين يديرون دفة الحكم من زمن الحكومة العثمانية البائدة التي كانت سياستها اضطهاد العراقيين الذين يأبون الخنوع لأوامر رجال الحكومة الغابرة غير القانونية، وسوء معاملاتهم وأخلاقهم مع أبناء الشعب، وبالأخص مع رؤساء العشائر الذين هم زعماء العراق ورجاله البررة، وكان أكبر عضو في الدولة يومذاك يقبل أقل مبلغ رشوة لتمشية أكبر معاملة. خذ مثلًا صغيرًا على ذلك: حدثني صديق صادق إنه اشترى دارًا في أحد الأقضية التابعة يومئذ إلى بغداد، وبعد أن أكمل المعاملة اللازمة من دوائر القضاء أخذ المشتري أوراق المعاملة (وهو من رعايا الحكومة البريطانية مع الدلال الحاج.... الذي لايزال في قيد الحياة، وذهبا سوية إلى بغداد، وأخذا يجريان المعاملات اللازمة لشراء الدار المذكورة إلى أن تقدمت الأوراق إلى الولاية لأجل

(١) ابن الرافدين، الشيعة في العراق، مجلة العرفان، المجلّد الثاني والعشرون، الجزء الرابع، تشرين الأوّل ١٩٣١م، ص٤٣٤-٤٤٢.

المصادقة عليها فالدلال خاطب المشتري بقوله: إن أوراق المعاملة تقدمت إلى معاون الوالي، وهذا لا يصادق على المعاملة ما لم يستلم شيئًا؛ ولضعف حالة المشتري طلب الدلال منه(قرش صاغ) أي آنتان ليقدمها هدية إلى المعاون فلم يصدق المشتري ذلك، وسأل من الدلال: «كيف تقدم هذا المبلغ إلى البيك»؟ فأجابه الدلال بقوله: «ما عليك». فأخرج المشتري قرشًا صحيحًا من جيبه وسلمه إلى الدلال فأخذه ودخل على البيك وأخذ أوّلًا يلتمس منه تمشية المعاملة، وأخيرًا سلّم إليه المبلغ المعلوم قائلًا: «يا حضرة البيك هذه هدية صغيرة لشراء السكائر لأن صاحب المعاملة رجل فقير الحال لا يملك شيئًا». فخاطبه البيك بقوله: «إنك دائمًا تأتيني بالضعاف ولماذا لا تأتيني بالسمان»؟ وصدّق المعاملة وانتهى كل شيء، هؤلاء هم خيرة رجال الحكم في زمن الحكومة التركية الغابرة الذين تشكلت من بعضهم الحكومة العراقية الحاضرة.

ومن الأسباب الموجبة لصدور هذه المعاملات السيئة من قبل رجال الحكومة مع أبناء البلاد الحقيقيين(كقضيتي الشيخ أبو ريشة والشيخ علوان الجنديل في لواء العمارة) كون رجال الحكومة المذكورين من العناصر غير العربية المتأججة بينهم وبين العرب منذ القديم نار العداء والبغضاء، ومن ديدنهم أن يأخذوا الثأر من العرب الذين لا يخنعون لأوامر رجال بعيدين عنهم بعد الشمس عن الأرض بعاداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، والذين كانوا يسلمون الجزية لهم لأن الأكثرية في أرض الرافدين من أبناء العشائر الذين ما زالوا متمسكين بعادات العرب القدماء من حيث العفة والشرف والوجدان، وبالطبع لا تتفق هذه العادات وطباع رجال الحكومة الذين يدعون التمدن، وتمدنهم هذا باللفظ فقط دون العمل فلهذه الأسباب وغيرها تجد أن رجال الحكومة يكرهون أبناء الأكثرية كل الكره لأنهم يرفضون تقديم ما يطلبونه منهم من الهدايا عن كل صغيرة وكبيرة كما

أنك تجد الآن أن أكثر الأراضي تسلب من أصحابها القدماء الذين كانوا يرثونها من الآباء أوالأجداد، وتعطى لأناس هم في الحقيقة بعيدون عن الزراعة، ولكن هل تصدقني إذا قلت لك أنَّ كلّ فدان من الأراضي يعطى بـ(٣٠) رُبِّيَّة، وهذا المبلغ يعطى إلى الموظف المختص لمساعدة المهدي لإعطائه الأراضي، والغريب من أصحاب المعالي والفخامة أنهم لم يقنعوا براتب الكرسي والمخصصات بل طمعوا حتى بالأراضي التي كانت ولاتزال مورد معيشة الفلاح العراقي المسكين، والشيوخ والسراكيل فأخذوا بكل وسيلة ينزعون تلك الأراضي من أصحابها، وكل من الباشوات والبيكات يأخذ له مئات من الأفدنة ويزرعها، وفي نهاية الحاصل عندما يطالب بتأدية الرسوم الأميرية يتماهل عن التسليم، ومن المتجاسر بالمطالبة يا ترى لأنه من أصحاب الفخامة والمعالي أمّا إذا كان السركال من أبناء البلاد البعيدين عن المراتب والمناصب والكراسي فيطالب بكل شدة تأدية الرسوم وإن كانت ربية واحدة، وعند عجزه عن الدفع تحجز أمواله ومواشيه، وعند فقدانها يحكم عليه بالحبس جزاء له ولإخوانه العرب الخلص الذين كانوا سببًا في وجود هذه الحكومة هذه المعاملات وغيرها تكررت في زمن الحكومة العراقية الوطنية، وذلك بعد أن أدى عاهل البلاد اليمين المغلظة يوم مجيئه من الحجاز في الحفلات التي أقيمت إلى جلالته في حرم الكاظمية وكربلاء والنجف الأشرف بحضور العلماء الأعلام والرؤساء حيث أقسم جلالته اليمين بأنه لا يفرق بين أبناء البلاد، وكل طبقة من طبقات الشعب في الحالة سواء، ولا ننسى معاملات الحكومة الاحتلالية، والمساعدات التي أبديت من قبلها إلى الشيوخ والسراكيل تشجيعًا لهم وللزراعة التي هي منبع خيرات البلاد.

نحن لا نستغرب من حكومة أركانها من الرجال المعلومين بماضيهم المجيد(كما يدعون) أن تضطهد أبناء الأكثرية بكل حقوقهم بدعوى أنهم غير قادرين على إدارة

الوظائف، ونكون من الشاكرين لرجال العمل(الوزارة) إذا بيّنت لنا اسم موظف شيعي لم يتمكن من القيام بأعباء الوظيفة التي أنيطت به أم أن الموظف الشيعي غير متعود على قبول الهدايا كإخوانه الآخرين من الموظفين المتدربين على ذلك من الآباء والأجداد.

نجد كثيرًا من الموظفين يعينون لوظائف لا يتمكنون من إدارة أعمالها، ولكن داء المحسوبية والتزلف والقربى ترشدنا إلى كيفية هذا التعيين الذي يشمله بين آونة وأخرى زيادة الراتب، وترفيع الدرجة إلى أن يصبح من الدرجة الأولى الذي يتقاضى راتبًا كبيرًا، ولا نغالي إذا قلنا إن ذلك الموظف الذي يتقاضى هذا الراتب الضخم لا يتمكن من أن يكتب كتابًا بسيطًا لعدم مقدرته الكتابية، ونود أن نبيّن للقارئ الكريم دليلًا صغيرًا على صحّة قولنا حول الفرق الموجود بين الفريقين في الوظائف، وزيادة الراتب، وترفيع الدرجة لفريق دون آخر حيث عيّن شاب شيعي سنة ١٩٢٢م في أحد دواوين الوزرات بوظيفة من الدرجة الرابعة، وأخذ يقوم بواجبات وظيفته بكل استقامة وذمة وشرف، وكان رئيس ديوانه راضيًا عنه وعن أعماله، وشاكرًا حسن اشغاله، وأخذ ينتهز الفرص لترفيعه(مع العلم أن رئيس ديوانه لم يكن عراقيًا) حتى سنة ١٩٢٤م إذ جيء بشاب شقيق لأحد أصحاب السعادة، وطلب رئيس الديوان من الشاب الشيعي أن يعلمه الأشغال، وبقي هذا الموظف الجديد تحت يد الشيعي مدة أسبوع، وعلى قدر معلوماته تمكن من أن يفهم شيئًا من الأشغال فصدر الأمر بتحويل الشاب الشيعي من ديوان الوزارة إلى إحدى الدوائر الملحقة لها بعين راتبه ودرجته وعيّن في محلّه الشاب الجديد مع أن الشيعي كان يتأمل في تلك الأيام زيادة راتبه نظرًا لما سعى له بذلك رئيس ديوانه، ولكن المسكين أخذ يشتغل في تلك الدائرة التي حول إليها من الوزارة سنين عديدة براتبه السابق، والذين عينوا بعد تحويله إلى تلك الدائرة رفعوا بعد مدة قليلة، وهو ينظر

إلى ذلك دون أن ينبس ببنت شفة إلى سنة ١٩٢٩ حيث رفع إلى الدرجة الثالثة، وبقي إلى يومنا في هذه الدرجة، هذا مع أن الكل يشهدون بمقدرته في تمشية أعمال وظيفته، وحسن سلوكه مع المراجعين، وعفته المشهورة لدى الجميع، ولكن تعلم أيها القارئ الكريم ما وصل إليه ذلك الشاب الذي تعلم الأشغال من صاحبنا الشيعي أنه يتقاضى الآن راتبًا قدره(٢٤٥) ربية أي من الدرجة الأولى، ومعلوماته كما كان في سنة ١٩٢٤م هذه هي سياسة الطائفية والمحسوبية، وهذا هو الفرق بين الموظف الشيعي وأخيه السنّي. أمّا أسباب هذا التمييز بين الشابين فهي كون الثاني ممن ينتسب إلى أحد أصحاب الماضي المجيد، أمّا الأوّل فلا ينتسب إلى أحد سوى الله وسوى كفاءته وقيامه بالواجب، أمّا الثاني فيعيّن دون النظر إلى معلوماته ومقدرته بل لكونه ينتسب لأحد أصحاب المعالي أو أصحاب الماضي المجيد.

يعينون مدراء للنواحي فنعم هذا التعيين، ويعينون ممثلين للإدارة في القرى والنواحي فما أحسن هذا التمثيل يعيّن.... أفندي الذي كان كاتبًا بسيطًا، وألغيت وظيفته في وظيفة مديرية ناحية من نواحي العراق براتب قدره(٢٠٠) ربية طبعًا ليمثل الحكومة العراقية الوطنية أحسن تمثيل، ولكن الذي يعرف حقيقية هذا الشاب، ومقدرته العلمية، وأخلاقه السامية يتعجب من وزارة الداخلية(وعلى رأسها الشاب الوطني؟!) لتعيين مثل هذا مدير ناحية، وهو ذلك الموظف الذي لم يتكمن من أن يقدم تقريرًا بسيطًا عن كيفية تدوير الأمور الكتابية عند إلغاء وظيفته فكيف يعيّن لإدارة إعمال ناحية جسيمة، وتمشية أمور ومعاملات خمسة الآلف نسمة على أقل تقدير فإذا كان هذا وأمثاله من مدراء النواحي الجدد الذين تم تعيينهم حديثًا بالصورة المعلومة فعلى العراق السلام.

يقولون بكل صلف لا يوجد في أبناء الأكثرية من هو كفؤ للتوظيف مع أن هناك كثيرًا من أبناء الأكثرية بأيديهم شهادات الحقوق، ويشتغلون في المحاماة، ويشهد الجميع

بمقدرتهم، ولكن إذا طلبوا وظيفة من الحكومة التي بنيت على جماجم إخوانهم قالوا إنهم لا يتمكنون من إدارة الوظائف، ولكن المحسوبية هي التي تشهد بالمقدرة، وأنى للشيعي أن ينتسب لأحد أصحاب المعالي ليكون قديرًا وأهلًا للتوظيف مع أنه لا يجد وزيرًا كفؤًا في أغلب الأحيان من أبناء طائفته ليلوذ به كي يحافظ على حقوقه، ويسعى لمساواته مع بقية أبناء البلاد، ولا تتصور أن الوزير الجلبي الكاظمي الذي يمثل الأكثرية(كما يدعي) في أكثر الوزرات أنه لايستطيع توظيف أحد من أبناء طائفته حتى الكاظميين أنفسهم اللهم ما عدا أفراد عائلته وأقربائه الذي عيّن الصغير والكبير منهم، وتلميذ الصائغ في وظيفة تناسبه أو لا تناسبه هذا مقصد من مقاصد الوزير الجلبي المعلومة التي تجبره على الاشتراك في أية وزارة تشكلت من الأحزاب السياسية على اختلاف مبادئها فمن الوزارات الائتلافية إلى وزارات حزب التقدم إلى وزارة حزب العهد الحاضرة فهو وزير تحت الطلب، ولا نظلم معاليه إذا قلنا إنه لا يعرف شيئًا عن أمور السياسية أبدًا أمّا إذا سألتني عن حالة معاليه حينما وقع نظره على مقال نشر لنا فحدّث عنها ولا حرج حيث أزبد وعربد وأخذ يفتش عن(ابن الرافدين) ليرضيه ويسد حلقه أو يكسر قلمه، ويحرق قرطاسه حتى عثر على شاب أخرج من وظيفته وأخذ يجتهد للحصول على وظيفة فظن معاليه أن هذا الشاب هو الكاتب فاستبقاه في قصره المشيّد بين بغداد والكاظمية – اللهم ارحم نواب آغا محمد – ووعده بمديرية ناحية، وأخذ يسعى(ظاهرًا) إلى تعيينيه ولكن(من هذا الزاغور لا يطلع عصفور) بمعنى إنّا لم نشاهد معاليه يسعى لغير أفراد أسرته للتعيين بالوظائف، ومعنى السعي هو التعيين لا أن يبقى الشاب صفر اليدين كصاحبنا الذي وعده معاليه بمديرية ناحية، وهل يتصور معالي الجلبي أن(ابن الرافدين) جالس على الجانب الأيمن من أوسط نهر الفرات وينظر بنظره الحاد إلى ما يجري في أرض الرافدين حتى في قصر معاليه، وإن كنا بعيدين عنه، ولا نستغرب من معاليه إذا رفع عقيرته علينا لما كتبناه عن

الأعمال التي تجري خلافًا للقوانين والدستور؛ وذلك إظهارًا للحقيقة، وتبيانًا للواقع، ولا يهمنا من إبراق معاليه وإرعاده شيء كما لا يهمه من أمر أبناء طائفته شيء.

تسنم معالي الجلبي كرسي وزارة الموصلات والأشغال فيما مضى، وبقي يشغل ذلك الكرسي مدة طويلة، ولا ندري ماذا تم على يد معاليه من الإصلاحات في تلك الوزارة وخصوصًا مديرية السكك الحديدية التي يعترف الجميع بأن أشغالها كافة مرتبطة بأبناء الأكثرية، وكل ربحها من الشيعي إن كان عراقيًا أو إيرانيًا أو هنديًّا، وأكبر شاهد على صحّة قولنا هذا مقدار ما تربحه تلك الدائرة من محطات(الجوادين- الكاظمية- وبغداد والمحمودية والمسيب وكربلاء والحلة والسماوة والديوانية والناصرية الخ) في كل مواسم الزيارات التي يتشرف أبناء الأكثرية بها بزيارة الأئمة عليهم السلام وقد أحصيت في أحد المواسم قبل سنتين(حينما كنت في العاصمة) وذلك في زيارة الأربعين فقد بلغ واردات كل من محطتي الحلة والجوادين أكثر من عشرين ألف ربية، ومحطة بغداد ما يقارب ثلاثين ألف ربية، ومحطة كربلاء ما يقارب خمسًا وعشرين ألف ربية، وهلم جرا هذا ربح تلك المديرية في أحد مواسم زيارات الشيعة التي تزيد على العشر عدًا في كل عام عدا زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء في فصل الخريف من كل سنة، وهناك الإيرانيون الذين يؤمون المشاهد المحترمة في كل سنة للتشرف بزيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام لأنهم عندما يصلون(خانقين) يركبون القطار إلى بغداد، وكذلك من الكاظمية إلى سامراء، ومنها إلى كربلاء، والرجوع مثلها، ولا ننسى زوار الهند والبحرين ومسقط والسواحل حيث يركبون القطار من البصرة إلى كربلاء ومنها إلى الكاظمية وسامراء والرجوع كذلك هذا المقدار ما تربحه تلك الدائرة من أجور النقل فقط ولكن هل تعلم أيها القارئ الكريم ماهي مقدار حصة أبناء الأكثرية من الوظائف الكثيرة في إدارة السكك الحديدية على اختلاف

أنواعها من عامل إلى حارس، وبائع البطاقات ومفتشها وحارس القطار ومراقبها وجامع البطاقات وكاتب التحميل ومديري المحطات ومعاوينهم، وكتاب الدوائر ورؤسائها، ومفتش الحسابات والتجارة والنقليات الخ حيث إذا قلت إنك لا تجد بين مائة موظف موظفًا واحدًا من المسلمين، وعلى الأخص الشيعة لا تصدق، ولكن إذا وقفت صباحًا على جسر مود، وشاهدت الجيوش الجرارة من موظفي السكك الحديدية بين إسرائيلي ومسيحي وأرمني وآثوري فتقول الحق(ابن الرافدين) ولكن هل تسأل معالي الجلبي الذي يمثل الأكثرية(كما يدعي) عن سبب توظيف هؤلاء العناصر دون أبناء الأكثرية، وهل شعر معاليه بالواجب الملقى على عاتقه بحسب تمثليه الأكثرية(إن كان صحيحًا) أو أن معاليه لا يشعر شيئًا سوى إدخال أقاربه وأفراد عائلته كافة ومنسوبيه إلى الوظائف ولو كانت تلك الوظيفة في إدارة(ترامواي بغداد- كاظمية) هذا ما نود أن يسأله القارئ الكريم من معالي الجلبي إذا كان ما يدعيه من أنه يمثل الأكثرية صحيحًا وإلّا فإن التاريخ سوف يسجل لمعاليه صفحة لا تشرّفه، ولا تمحوها القرون ولله في خلقه شؤون هذا وفي الختام نقول لا يخفى على القارئ الكريم الصدى العظيم الذي أحدثته هذه المقالات التي شرعت مجلة(العرفان) الغراء بنشرها لعدة كتّاب مختلفين، وكان أثرها عظيمًا جدًا على فريق من رؤساء الدولة العراقيّة، وممن كان لهم اليد الطولى في هذه التشكيلات المجحفة، ولما اطلع الملك فيصل على هذه المقالات أو على ما تركته من الصدى البعيد، وعلى ما اشتملت عليه من الحقائق المرة قلق قلقًا عظيمًا، وأوعز إلى وزرائه باتخاذ بعض التدابير التي تقلل استياء الأكثرية من العراقيين؛ ولذلك عيّنوا هذه السنة متصرفًا واحدًا من أبناء الشيعة في بغداد لأحد الألوية، وكذلك عيّنوا قائممقامين أحدهما في النجف، والآخر في بدره من المنسوبين إلى الأكثرية أيضًا، وربما عيّنوا غيرهم في المستقبل إلّا إننا يجب علينا أن نحيط جمهور القرّاء علمًا بأن غرضنا وكذلك كل ما حام ويحوم من الكتّاب والأستاذة

والزعماء حول هذا الموضوع لم يكن عبارة عن تعيين أشخاص معدودة لوظائف محدودة بل كان غرضنا أسمى من ذلك، وأشرف ألا وهو تدارك ما أحدثته سياسة التفرقة الطائفية من صدع عظيم، وذلك باتخاذ التدابير للمحافظة على كيان الشيعة الاجتماعي وثروتهم وشؤونهم الحيوية كما هو حقهم المنصوص عليه في القوانين كافة لأن سياسة الحكومة العراقية كما يشهد بذلك كل أحد مرماها الوحيد انقراض المذهب الشيعي، وإبادة كل قوة مادية ومعنوية من قوى الشيعة من طريق فرض الضرائب المجحفة الفادحة، ومن طريق الدعايات في الصحف والمدارس وغير ذلك، وهذا الأمر لا يتم بمجرد تعيين أفراد معدودين من الشبان – مع أننا يسرنا أنصافهم وترقيتهم كل السرور –يمكن أن ينقلوا غدًا إلى جهات أخرى والخلاصة من أن غرض السواد الأعظم أو الأكثرية في العراق تطمينها على حياتها، ودفع الأخطار المحيطة بها من كل جانب وبذلك وحده يرفع استياء الجمهور، وتذمره العظيم لا بالوسائل المحدودة.

هذا ما سنح لنا الوقت به، وسوف نعود إلى الموضوع ونبيّن ما يجب علينا تبيانه إظهارًا للحقيقة والواقع وكل آت قريب.

خلاصة الأنباء

متصرف لواء كربلاء أحمد زكي بك الخياط [1]

المتصرف النشيط – هذا هو المتصرف الشيعي أحمد زكي بك الخياط بين ١٤ متصرفًا وهو شاب إداري نشيط كان متصرفًا على الكوت ثم نقل للعمارة ونقل بعد ذلك لكربلاء وأينما حلّ أوجد آثارًا جديرة بالثناء.

(١) خلاصة الأنباء_ متصرف لواء كربلاء أحمد زكي بك الخياط، مجلة العرفان، المجلّد الرابع والعشرون، الجزء الثالث، تشرين الأوّل ١٩٣٣م، ص٣٣٧.

المراسلة والمناظرة

افتراءات (المس بيل)[1] على التاريخ[2]

لا ينكر أحد ما للتاريخ من الفضل على البشر إذ هو ينقل حوادث الأوائل للأواخر، فإذا سرَّح أحد طرفه في حادثة ما يكون كمن قد رآها وحضر واقعها وسمع أقوال رجالها.. وكان هيرودوتس[3]، أبو التاريخ، أول مؤرخ يوناني ساح في إيتاليا ومصر وبابل وغيرها ووصف - كشاهد عيان - عجائب البلدان التي زارها وصفًا شائقًا، فاقتدى به سائر المؤرخين من جميع الملل والنحل حتى عصرنا الراهن.

ومن يأخذ على عاتقه مهمة تأليف الوقائع القديمة يلزمه أن يتصف بصفات أهمها المحايدة وعدم الانحياز إلى جهة دون أخرى متخذًا شعاره الحق الأبلج، فيدوّن الحقائق الناصعة التي لا غبار عليها من العاطفة القومية أو الشخصية غير منقاد إلى

---

(١) [مركز تراث كربلاء] واسمها الكامل جيرترود بيل وهي باحثة ومستكشفة وعالمة آثار بريطانية ولدت عام ١٨٦٨، عملت في العراق مستشارة للمندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس في عقد العشرينيات من القرن العشرين، توفيت ببغداد عام ١٩٢٦. للتفاصيل ينظر: محمد يوسف ابراهيم، المس بل واثرها في السياسة العراقية، (بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ٢٠٠٠).

(٢) فتى الثورة، افتراءات(المس بيل) على التاريخ، مجلة العرفان، المجلّد الرابع والعشرون، الجزء الثالث، تشرين الأول١٩٣٣م، ص٣٠٥-٣١٤.

(٣) [مركز تراث كربلاء] مؤرخ اغريقي، ولد عام ٤٨٤ ق.م، عرف بفضل كتابه تاريخ هيرودوتس الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض البحر المتوسط.، توفي عام ٤٢٥ ق.م. للتفاصيل ينظر: ايفانز أ.ج، هيرودوت، ترجمة امين سلامة، (القاهرة: الدار القومية، د.ت).

الأهواء والأميال، إلّا أن(الخاتون المس غر ترود بل – السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني في العراق سابقًا المتوفاة) قد زاغت عن هذا الطريق الواضح وضلّت عن هذا الصراط المستقيم فاتخذت لها خطة معلومة في تحرير مذكراتها وبلباقة وظرافة خاصتين بها تتحامل على رجال الدين وزعماء المسلمين وتتهمهم بما هم بعيدون عنه وتصفهم بما يشين سمعتهم ويسيء إلى رجال الثورة العراقية مع أن الحوادث التي جرت بالأمس والتي دوّنتها في مذكراتها لم تمضِ عليها سنون وأعصر، ولم تطمرها الليالي والأيام بل إنها بمرأى ومسمع من عامة العراقيين وقد شهد حوادثها من اشتغل في القضية العراقية من عرب وإنكليز علماء وزعماء. وقد غاظني وطلّاب الحقيقة ما نقلته جريدة العالم العربي في عددها ٢٢٧٠ من تعريب المذكرة التي قدّمتها المس بل عن العراق إلى السلطات البريطانية في شباط ١٩١٩م وبها ما لا يطيق كل عراقي التغاضي عنه والسكوت من غمر قناة قادة الثورة فابتدأت باتهام حجة الإسلام المرحوم(السيّد محمّد كاظم اليزدي)[1] بقولها: (ويجب أن نلاحظ أن كبير المجتهدين السيّد محمّد كاظم اليزدي يرى عين ما يراه نقيب بغداد فقد أبى بالرغم من كثرة التشديد عليه أن يظهر استياءه من التدخل الأجنبي في العراق وقد بالغ في الأمر ومكّن الناس ان يتصوّروا أنه يميل إلى الجهة الأخرى، وهذا آخر ما ينتظر من رجل انصرف إلى الدين أن يعلمه إذ لو تعدّى هذا الحد لأصيبة نفوذه كزعيم ديني، ولقلّت قيمة مساعدته المكتوبة لنا».

فمن يطالع – بإمعان – هذه الجملة الكبيرة المغزى يتضح لديه ما أرادت الكاتبة، وقد يؤولها إلى معان كثيرة يطول شرحها. ولو أردنا أن نسهب في الرد عليها لاحتجنا إلى وقت طويل قد تذهب فيه هذه الفرصة. إلّا أني الآن أدلي ببيان وجيز يثبت انحياز

(١) [مركز تراث كربلاء] هو السيد محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي اليزدي، ولد في يزد عام ١٨٣١م، تولّى القيادة الدينية والسياسية والمرجعية في النجف K وكان له دور كبير في توجيه الحياة السياسية في العراق، توفي عام ١٩١٩. للتفاصيل ينظر: كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي :سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ..، (قم: ذوي القربى، ٢٠٠٦) .

الكاتبة عن الحق الصريح والجادة القويمة.. متى كان سواد العراقيين راغبين في تدخلكم يا خاتون في شؤون العراق حتى إن كبير مجتهديهم يميل إليكم؟! وما هي مساعدته المكتومة لكم؟! ألم يفتي بوجوب الدفاع عن العراق في أوائل الحرب العظمى ويخطب في يوم الغدير سنة ١٣٣٢هـ، في النجف الأشرف حاثًا العرب على الدفاع عن ثغور العراق وتأييدًا لخطبته وفتواه أرسل نجله الأكبر«السيّد محمّد» إلى الأهواز فتتبعه عشائر العراق ويناضل جيوشكم برفقة المرحوم«محمّد فاضل باشا الداغستاني»[1]؟ ألم يرسل نجله هذا إلى حرب الكوت فيرجع مريضًا ويتوفاه الله عند رجوعه في الكاظمية وبعد ذلك يقول بمسمع من عامة المسلمين«ابتهجت بموت ابني هذا إذ سوف يكون وسيلة لشفاعتي يوم القيامة»؟ أفبعد كل هذا يا حضرة الخاتون يكون السيّد محمّد كاظم راغبًا في وجودكم في العراق! أمّا تقاعسه عن القيام بوجه المحتلين بعد الاحتلال البريطاني للعراق فكان ناشئًا عن كياسته وتريثه في الأمور حيث كان يعتقد بصعوبة المطالبة بالحق مع وجود الجيوش الكثيرة العَدد والعُدد من مدافع ضخمة وطيارات وافرة وغيرها ولكن الأجل قد قضى عليه في رجب سنة ١٣٣٧هـ، ولم يمهله حتى انتهاء الحرب العامة ليقف وزميله (آية الله الشيرازي)[2] متكاتفين متآزرين لطلب ومناجزة المحتلين.. هذا ولم تكتفِ الخاتون

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني ولد في داغستان عين الفريق محمد فاضل قائداً لجيش العشائر العرب المتطوعين لقتال الجيش البريطاني في جبهة الكوت، وأبلى الفريق الداغستاني بلاءً حسناً في قتال الأنكليز حتى أستشهد في المعركة في ١٢ مارس ١٩١٦م. للتفاصيل ينظر: ابراهيم عبد الغني الدروبي، البغداديون اخبارهم زمجالسهم ، (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٨)، ص ١٨٦.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو الميرزا محمد تقي الشيرازي، ولد في شيراز عام ١٨٤٢م، وتدرج في الدراسة والانتقال لطلب العلم حتى قاد المرجعية بمسؤولية متميزة وأطرتها مواقفه السياسية التي أضحت بصمات واضحة في تأريخ العراق المعاصر، توفي بكربلاء عام ١٩٢٠م للتفاصيل

بما ألصقته باليزدي بل تعدت فوق ذلك على كرامة زعيم الثورة العراقية وقطب رحاها المرحوم«آية الله الميرزا محمّد تقي الشيرازي» بقولها«ولكنه أصبح في خوف دائم»(كذا) ثم قالت عنه«وهو إلى هذا الحين على أحسن ولاء معنا».. فمع التناقض الظاهر بين هاتين الكلمتين لا يسعنا تجاه هذه الأقوال المخالفة للحقيقة والواقع إلّا بيان موجز الأعمال التي قام بها المرحوم الشيرازي في أيّام مكثه في كربلاء ليتسنى للقرّاء الكرام الحكم على أقوال الخاتون هذه.

إن المرحوم الميرزا محمّد تقي الشيرازي كان أكبر تلامذة المرحوم«الميرزا حسن الشيرازي الكبير»[1] المشهور علمًا وعملًا، وقد حلّ في سامراء بعد خلوها من مرجع روحاني تجتمع إليه الكلمة، وينقاد إليه العموم فبقي محترمًا حتى احتلها الجيش البريطاني فلم يرقَ له السكنى فيها فهاجر منها إلى كربلاء وحلّ فيها يوم ١٣ صفر سنة ١٣٣٦هـ، فتشكل«الحزب الوطني الإسلامي»[2] وأخذ يعمل - في الخفاء- طبقًا للمبدأ الذي تشكل من أجله منتظرًا إعلان الهدنة لكي يجاهر بالمطالبة بما وعد به الحلفاء لساكن الجنان منقذ العرب وطبقًا لمنشور القائد«الجنرال مود»[3] وبعد إعلان الهدنة لم يبقَ ثمّة داع

ينظر: الصافي علاء: الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري، ص١٦، ط١، دار الكفيل، ٢٠١٨م.

(١) [مركز تراث كربلاء] هو الميرزا محمد حسن الملقب بالشيرازي الأول، وبالمجدد الشيرازي والشيرازي الكبير، ولد في شيراز عام ١٨١٥م، وتدرج بدراسة العلوم الدينية حتى نال الاجتهاد، نال درجة الأجتهاد، و بعد وفاة المرجع الأنصاري توجهت الأنظار إلى تلميذه الشيرازي الذي أختير للمرجعية عام ١٢٨١ هـ.، أرتبط اسمه بـ (حوزة سامراء) و ثورة التنباك (التبغ) في إيران. للتفاصيل ينظر: اغا بزرك الطهراني، هدية الرازي إلى الإمام المجدّد الشيرازي،(قم: د.م، ١٣٨٨هـ).

(٢) تاريخ مقررات العراق السياسية ج٣ ص٣٣٣.

(٣) [مركز تراث كربلاء] هو فردريك ستانلي مود، ولد عام ١٨٦٤م جنرال بريطاني أشتهر بقيادته

لإخفاء دعوتهم فأخذ الكربلائيون – وعلى رأسهم المرحوم الشيرازي- يشتغلون ضد السلطة المحتلة بتهييج رؤساء العشائر الفراتية باجتماعهم معهم عند قدومهم كربلاء في أيّام الزيارات المخصوصة، وكانت تلك الاجتماعات بعلم من المرحوم الشيرازي وتحت إشرافه، ولا يقرر فيها قرارًا ما لم تؤخذ فيها موافقته في ذلك حتى أعلنت الصحف قرار الحكومتين الإنكليزية والفرنسية في منح العراقيين والسوريين استقلالهم وأعقبهم مجيء«الميجر تيلر – حاكم الحلّة السياسي»[1] إلى كربلاء وتبليغ الكربلائيين انتخاب من يختارونه لمملوكية العراق، فاجتمعوا بزعيم الثورة الأكبر المرحوم الشيرازي وبعد المداولة معه في الرأي قرروا انتخاب أحد أنجال جلالة ملك العرب«الحسين بن علي» ملكًا على العراق، وقد وقعوا مضبطة في ذلك أرسلوها بيد الشيخ«محمّد رضا الشبيبي»[2] إلى الحجاز بعد رفضها من الحاكم السياسي، إلّا أنه شذ عنه بعض الكربلائيين متخذين لهم أعذارًا أوهن من بيت العنكبوت وهي عدم علم المرحوم الشيرازي بهذا الأمر وأخذوا يبثون هذه الفكرة السقيمة في البلاد النائية عن كربلاء وحرروا مضبطة يطلبون فيها أن يستظلوا بظل الراية البريطانية فلذا وتنويرًا للرأي العام تصدى بعض الوطنيين فقدموا

لحملة العراق حيث كان مود قائد القوات البريطانية التي احتلت مدينة بغداد في ١١ اذار ١٩١٧م. وتوفي بمرض الكوليرا ببغداد في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٧ م. للتفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط٥، (بيروت: مطبعة دار الكتب، ٩٨٢م) ، ص٢٦- ٢٧.

(١) [مركز تراث كربلاء] للتفاصيل عن دوره في ادارة مدينة الحلة ابان الاحتلال البريطاني ينظر: ستار نوري العبودي، دور الحليين في الثورة العراقية ١٩٢٠، " مركز بابل للدراسات الانسانية"، (مجلة)، بابل، العدد الثالث، ص ٩٦-١١٢.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو محمد رضا جواد الشبيبي ولد في النجف عام ١٨٨٩م شاعر من نوابغ شعراء القرن العشرين وزعيم وطني، ومفكر رصين، ادى دوراً كبيرتاً في الحياة السياسية والثقافية في العراق حتى وفاته عام ١٩٦٥ م . للتفاصيل ينظر: علي عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى عام١٩٦٥، (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٣).

استفتاء للمرحوم الشيرازي(طاب ثراه) عن جواز انتخاب المسلم أو غيره لمملوكية العراق ورجوا منه الإجابة عليه لكي يوزعوا صورها في الأنحاء العراقية لتكذيب أعداء الدين والوطن، فأجاب بعدم جواز انتخاب غير المسلم وقد أرسلت نسخًا عديدة من هذه الفتوى إلى العشائر والمدن العراقية لينهج العموم على هذا المنهج القويم[1]. وبعد ذلك بقي الكربلائيون مجدين في سيرهم نحو المطالبة بالاستقلال بشتى الوسائل حتى أمرت السلطة بالقبض على ستة منهم في اليوم الخامس من ذي القعدة ١٣٣٩هـ، وأبعدتهم عن كربلاء إلى بلاد الهند وهم[2]: العلّامة السيّد محمّد علي الطباطبائي، والفاضل السيّد محمّد مهدي المولوي، والمرحوم الشيخ عمر الحاج علوان، والشيخ عبد الكريم العواد، والشيخ طليفح الحسون، ومحمّد علي أبو الحب، فساء هذا الأمر المرحوم الشيرازي فكتب كتابًا إلى الحاكم العام(السير ولسن) يؤنبه على تبعيدهم ويطلب إليه تخلية سبيلهم فأجاب السير ولسن على كتاب الميرزا(طاب ثراه) بكتاب هذا تعريبه:

إدارة الحاكم الملكي العام في العراق

التاريخ: ٩-٨-١٩١٩م

العدد: ٢٣٩٤٥

(١) هـذا ما أشـارت إليـه المس بل في الجريدة المذكورة(وهذا – أي الفتـوى – ما أدى إلى تردد وجوه المدينـة – أي كربـلاء – في إبـداء آرائهم تحريريًا وحملهـم على أن يطمئن معاون الحاكم السـياسي شفاهًا على تعلقهم بنا).

(٢) [مركز تراث كربلاء] كان نفي الشخصيات الوطنية المعارضة للاحتلال البريطاني احدى وسائل القمـع التي انتهجها . للتفاصيل ينظر: محمد حسـين الزبيدي، السياسـيون العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام، (بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٥).

حضرة آية الله العظمى حجّة الإسلام الميرزا محمّد تقي الشيرازي دامت بركاته

لي الشرف أن أعرض لكم أنه وصلنا كتابكم المؤرخ ٨ ذي القعدة تذكرون بكل أسف أن الأعمال التي أقدمت عليها حكومة بريطانيا العظمى لإجراء واجبات وظائفها ولحفظ أحكام القوانين والأنظمة استياء وتشويش العلماء الأعلام دامت بركاتهم في كربلاء. وكنت أعتقد أن في تجارب مدة الأربع سنوات الماضية قد ثبت لدى حضرتكم ومتعلقيكم بأن الحكومة البريطانية اعتنت في صيانة وسلامة العتبات المقدّسة أكثر من أية دولة أخرى.

كانت كربلاء منذ مدة طويلة بؤرة للاغتشاشات والثورات بين الأهالي والحكومة كما لا يخفاكم بأن هذه الثورات كانت تحدث أضرارًا وخسائر وتلفيات كثيرة من قبل الجنود التركية على الأهالي والمدينة ولا سيّما أن شرف العلم والعلماء كان غير مصون في تلك العصور مما أدى إلى تيقظ الحكومة البريطانية واهتمامها بمثل هذه الأحوال المخالفة للعادات البريطانية. لقد حصلت لنا اطلاعات كافية في مدة الاثني عشر شهرًا تثبت أن بعض الأشخاص في كربلاء يقومون في تشويش الأذهان وينشرون أخبارًا غير مرضية وغايتهم من ذلك تشويش أفكار الناس ضد الحكومة البريطانية. وكنت منتظرًا منذ مدة طويلة انتهاء هذه الإشاعات غير المرضية بعد إعلان الصلح لكني ألاحظ أن الأمر قد انعكس وأن بعض الجاهلين زادت جسارتهم وكثر سعيهم في تشويش الناس فلذا لاحظت أن من الواجب القبض على بعض الأفراد وأن الأشخاص الذين قبض عليهم هم أربعة من أهالي المدينة الذين لم يكن لهم أية علاقة معكم ولا مع العلماء الأعلام والروضات المطهرة والاثنان اللذان من السادة وإن لم يكونا من ذوي الأهمية إلّا أنهما ينشران الإشاعات المنافية ضد الإنكليز وكلاهما باعث لتشويش أفكار الأهالي. ونظراً

لإقداماتكم فقد عزمنا على ترخيص السيّد محمّد علي الطباطبائي وإرساله إلى سامراء على أن يسكن هناك ولا يخرج منها من دون إجازتنا فنرجوكم إشعاره بهذا الأمر تحريريًا عند وصول كتابنا هذا إليكم مع إخباره بأن يبقى هناك ساكنًا وأن لا يتدخل في أمور الناس وإذا تخلف عن الانصياع بهذا الأمر فإنا بكمال حريتنا ننفيه عن هذه المملكة إلى محل لا يتمكن من أحداث أي تشويش فيه.

وأمّا السيّد محمّد مهدي المولوي فإن له اليد الطولى في تشويش أفكار العموم وبما أنه هندي الأصل فقد استحسنا إرساله إلى وطنه الأصلي حتى يعيش بكمال الحرية لأنه لا يمكن إبقاؤه في كربلاء حيث وجوده موجب لعدم استراحة الناس فيها.

لنا وثيق الرجاء أن بعض الأشخاص في كربلاء قد انتبهوا واحترزوا من بعض أعمالهم التي توجب عليهم المسؤولية وأن حكومة بريطانيا ترغب في إعطاء جميع الناس الرفاهية التامة لكنها لا تود أن يستعمل بعض الأشخاص هذه الحرية والرفاهية لأغراض تولد الاغتشاشات والتشويشات بين الناس، وقد قدّمت هذ الرسالة بوساطة النوّاب(محمّد حسين خان) المعروف الخدمة لدينا وفي الحقيقة إنه الرجل الوحيد الذي نعتمد عليه وقد زودته ببعض معلومات شفوية ليعرضها على حضرتكم والسلام.

اللفتنت كرنل.ا.ت.ولسن

قائممقام الحاكم الملكي العام في العراق ببغداد وبعد مرور عدة أشهر على تسفير الكربلائيين عقدت الحكومة الإنكليزية معاهدة مع(وثوق الدولة[1] – رئيس الوزارة

(١) [مركز تراث كربلاء] وهو حسن وثوق الدولة ابن الميرزا ابراهيم خان (معتمد السلطنة) ولد في حزيران عام ١٨٧١ بطهران ، كان احدى الشخصيات السياسية التي ظهرت في ايران اواخر العهد القاجاري، كان له دوراً بارزاً في الحياة السياسية في ايران حيث تبوأ مناصب في الحكومات

الإيرانية) وكانت الأولى في معاضدة علماء العراق هذه المعاهدة فيحبذوها بنظر رجال الحكومة الإيرانية فعربونًا لهذا الأمر أرجعوا الكربلائيين من منفاهم خدمة للعلماء، وكان ذلك في ٩ ربيع الأوّل ١٣٣٨هـ، فظل الكربلائيون يشتغلون تحت إشراف الميرزا حتى كانت زيارة النصف من شعبان من تلك السنة فأمَّ كربلاء عدد غير يسير من زعماء بغداد وشيوخ الفرات الأوسط فعقدوا مؤتمرات عديدة تحت إشراف المرحوم الشيرازي اتفقوا فيها على مقاومة الاستعمار فظهرت المظاهرات السلمية في بغداد ومنها في كربلاء والنجف وانتخب كل بلد من زعمائه بضعة أعضاء يمثل سكانه في الحضور إلى بغداد لمطالبة الحكومة بالاستقلال كما أن الكربلائيين انتخبوا الميرزا عبدالحسين نجل المرحوم الشيرازي والعلّامة السيّد محمّد علي الطباطبائي والشيخ محمّد الخالصي والشيخ صدر الدين المازندراني والسيّد عبد الوهاب الوهاب والحاج محمّد حسن أبو المحاسن والشيخ عمر الحاج علوان فأصدر الميرزا حينئذ المنشور التالي يرشد العراقيين إلى المطالبة بصورة سلمية ولكي لا يجد معرقلو سير القضية سبيلًا ليوهموا الشعب بأن هذه المطالبة غير مشروعة.

وهاك المنشور بحروفه:

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته

«أما بعد فإن إخوانكم المسلمين في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء العراق قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية، وقد قام

المتعاقبة ، منها رئيساً للوزراء. للتفاصيل ينظر: موسى النجفي وموسى فقيه حقاني، التحولات السياسيبة في ايران، ترجمة قيس ال قيس، (بيروت: مركز الحضارة للنشر الاسلامي، ٢٠١٣)، ص١٣٨.

جماعة كبيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية بأن يرسل كل قطر وناحية إلى عاصمة العراق بغداد للطلب بحقه متفقًا مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم مع هذا المبدأ الشريف، إياكم والإخلال بالأمنية والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض فإن ذلك مضر بمقاصدكم ومضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تنالوا أحدًا منهم بسوء أبدًا وفقكم الله جميعًا لمراضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ثم أذن بإقامة المظاهرات السلمية في صحني الحسين والعباس عليهما السلام وإلقاء الخطب والقصائد المهيجة ثم خنقت الحكومة هذه الحركة بإرسالها قوة مؤلفة من جند ومدرعات وسواها عصر يوم ٤ شوال ١٣٣٨هـ، فأعلن حاكم الحلّة الميجر بولي في البلد يبيّن فيه سبب مجيء الجند إلى كربلاء ومنع فيه خروج أحد من المدينة حتى اليوم التالي ولما علم المرحوم الميرزا بذلك أرسل بطلب الميجر بولي[1] ليتداول وإياه الأمر ويستفسر عن سبب جلب هذه القوة فامتنع عن المجيء وأرسل لحضرته الكتاب التالي:

«حضرة العلّامة المجتهد الأكبر آية الله الميرزا محمّد تقي الشيرازي(دام علاه) بعد تقديم مراسم التحية والسلام نعرض لحضرتكم أن قسمًا من قواتنا قد وردت لهذه الأنحاء لأجل حفظ الأمن وإلقاء القبض على عدة من الأشرار الذين يقصدون الإفساد

(١) [مركز تراث كربلاء] حاكم الحلة السياسي ابان مدة الاحتلال البريطاني للعراق، امتاز بنزعته العسكرية الصارمة اذ كان يعتمد على القوة فقط في حل المشكلات التي تواجهه. للتفاصيل ينظر: .عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط٤، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨)، ص ١٤٦- ١٤٧.

ونهب الأموال وإلقاء الرعب في قلوب الأهلين وأن قواتنا هذه لم تتعرض للصلحاء الأبرار فنرجو أن تطلعوا العموم على هذه المسألة لكي يرتفع الرعب والاضطراب عنهم وفي الختام نقدّم لحضرتكم فائق الاحترام».

حاكم سياسي الحلة

الميجر بولي

ثم طلب الميجر بولي المذكور حضور اثني عشر شخصًا من الكربلائيين صباح اليوم التالي في محل الحكومة ومنهم«الميرزا محمّد رضا نجل المرحوم الشيرازي» فحضروا وأبعدوا عن كربلاء إلى جزيرة(هنجام) في اليوم الخامس من شوال ١٣٣٨هـ، إلّا أن الميرزا الشيرازي أجاب على كتاب حاكم الحلّة بالكتاب التالي:

إلى حاكم سياسي الحلّة الميجر بولي(هداه الله): «قرأنا كتابكم وتعجبنا غاية العجب من مضمونه حيث إن جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة الضرورية لحياتهم من الأمور غير المعقولة ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه، ويحتمل أن الأشخاص الذين يقصدون الاستفادة من إيجاد الخلاف بين أهالي العراق والإنجليز هم الذين غشوكم لينالوا بوساطته مقاصدهم وفي الليلة الماضية أردت ملاقاتكم لرفع الشبهة من نفسكم كي لا تغفلوا عن هذه النكتة ولكنكم امتنعتم عن ذلك وإن نظرياتنا في أمور المملكة أصلح وأنفع من سوق الجيوش واستعمال القوة الجبرية، وأدعوكم عجالة لأبلغكم أن توسلكم بالقوة في قبال مطالب الأمة واستدعاءاتها مخالف للعدل ولإرادة البلاد وإن امتنعتم عن المجيء في هذه المرة أيضًا فتصبح وصيتي للأمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها وأترك الأمة وشأنها وبهذه الصورة تقع مسؤولية كل نتائج السوء عليك وعلى أصحابك.

وفي الختام، لي الأمل أن تؤثر نصائحي هذه فيك كي لا يقع ما يفسد النظام والأمن وكي لا تكونوا سببًا لإراقة دماء الأبرياء».

محمّد تقي الشيرازي

وطبقًا لهذا الكتاب كان المرحوم الشيرازي يوصي في محادثاته الزعماء والرؤساء بلزوم السكينة والمطالبة بصورة سلمية وعدم إفساح مجال للخوض في الثورة الدموية، إلّا أن تسفير نجل الميرزا وأصحابه ألجأ عشائر الفرات على الوثوب ضد السلطة وساعدت على ذلك الفتوى التي أفتاها المرحوم الشيرازي بوجوب المطالبة بالحقوق وهي:

مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم[1]

محمّد تقي الشيرازي

عدا أجوبته الشفوية لهم(طاب ثراه) عند استفسارهم منه(ماذا نعمل؟ إلى متى نصبر؟!) فكان يجيبهم«اعملوا ما شئتم، حان وقت أخذ حقوقكم» فأول بندقية ثارت هي في(الرميثة) في اليوم الثاني من شهر تموز ١٩٢٠م، الموافق لليوم الخامس عشر من شوال ١٣٣٨هـ، واندلع لهيب الثورة منها حتى عمت الفرات الأوسط كله وكان في ظرف

(١) عثرنا على مسودة هذه الفتوى في مذكرات المرحوم«الحاج محمد حسن أبي المحاسن – وزير معارف العراق الأسبق» مخطوطة بخطه.

أيام الثورة مشرفًا بنفسه على مقررات المجلس الحربي[1]، وكان يسدي للزعماء النصائح ويحث الثائرين على الثبات والتزام جانب الهدوء، وعدم التعدي بعضهم على بعض مما جعل الثائرين متآخين عمومًا نابذين كل ما بينهم من أحقاد وضغائن وأن يجعلوا هدفهم الوحيد هو القضاء على جيوش المحتلين، وكان يخرج بنفسه كل يوم للصلاة على جنائز القتلى حتى ضجر من طول المدة وأيّس من النجاح، وزاده كمدًا توارد الجنائز الكثيرة من جهة خطي الحلّة والسدة، ولا سيّما بعد إرجاع الإنكليز الكرة واحتلال الجيش(الميجر ديلي)[2] القادم من الديوانية مركز سدة الهندية ذلك المركز المنيع فمرض يومين وتوفي رحمه الله مساء الثلاثاء في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة ١٣٣٨هـ، الموافق اليوم الثامن عشر من آب ١٩٢٠م، فكان يوم وفاته عظيمًا شمل حزنه جميع البلدان والعشائر الفراتية بصورة خاصة.

أفهل يسوغ لك يا حضرة الخاتون أن تنسبي الخرف لهذا الشيخ الذي أدار دفة الثورة بيد جبارة؟! أم يسوغ لك أن تقولي«إنه كان على ولاء معنا»(كذا)؟! ففي أي عمل من هذه الأعمال المذكورة آنفًا كان مواليًا لكم؟ فلو كنت يا خاتون حيّة لحاكمتك أمام الملأ

---

(١) [مركز تراث كربلاء] شكل الميرزا الشيرازي ايام الثورة ثلاثة مجالس تنظيمية لتسيير شؤون الثورة والمواطنيين وهي المجلس الملي والمجلس العلمي والمجلس الحربي الذي كان من ابرز مهماته هي تنظيم الخطط العسكرية وقيادة الثوار وتنظيمهم وتعيين قادة الحملات في الهجوم والدفاع ، للتفاصيل ينظر: فريق المزهر آل فرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها ، ط٢،(بغداد: مطبعة النجاح، ، ١٩٩٥)، ص٢٤٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو الحاكم العسكري لمدينة الديوانية ، امتاز بغروره وغطرسته في التعامل مع العشائر الثائرة ابن ثورة العشرين . للفاصيل ينظر: اناس حمزة الجيلاوي، الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب (١٩١٤-١٩٣٢م)، "كلية التربية للعلوم الانسانية"، (مجلة)، بابل، العدد ٧، آيار ٢٠١٢، ص٢٠٦.

ولناشدتك الله هل أن المرحوم الميرزا محمّد تقي في هذه المواقف والأعمال كان خرفًا؟! أم كان موالياً لكم فيها؟! ولكن أسامح الخاتون -نوعًا ما- حيث إن الميرزا الشيرازي -تغمده الله برحمته- لم يأذن بمقابلتها له بعد أن توسط في ذلك المرحوم«الشيخ عبد الحميد -سادن الروضة الكاظمية» وغيره لعدم جواز مقابلة الرجل للمرأة الأجنبية في الشريعة الإسلامية فكيف يأذن بمقابلتها وهو المثل الأعلى الذي يقتدي به المسلمون عامة، ولو أذن لها واجتمعت به وتداولت وإياه الرأي في الشؤون العامة لما قالت إنه خرف وموال لهم. كما أن الذين اجتمعوا بالمرحوم الشيرازي من البريطانيين كالسير برسي كوكس[1] والسر ولسن[2] وغيرهما وكلفوه بإجراء غاياتهم وتنفيذ مقاصدهم يقدرون شدة وطأته على السلطة المحتلة ويعرفون أنه لم يكن خرفًا ولا موالياً لهم.

وعند اطلاع أحد الشعراء، على مذكرات الخاتون جادت قريحته بهذه الأبيات ندرجها أدناه:

نسبت مس بيل حصن الدين للخرف جاوزت حدك عن مقداره فقفي
ما كان إلّا عمادًا فوقه بنيت للناظرين قباب العلم والشرف

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو سياسي بريطاني ولد عام ١٨٦٤م ساهم في رسم السياسة البريطانية في الوطن العربي بعد انهيار الدولة العثمانية، وبعد الاحتلال البريطاني للعراق كان أول من شغل منصب السامي البريطاني في العراق، توفي عام ١٩٣٧. للتفاصيل ينظر: عباس خضير عباس، برسي كوكس ودوره بالسياسة البريطانية في الخليج والجزيرة العربية١٨٩٩-١٩١٥، رسالة ماجستير، (الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٩).

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو سياسي بريطاني وقائد عسكري ، ولد عام ١٨٨٤م، عين الحاكم المدني للعراق في بغداد (١٩١٨ - ١٩٢٠) من قبل الانتداب الإنجليزي. خلفا لسلفه بيرسي كوكس .واجه خلال حكمه ثورة العراقية عام ١٩٢٠ . وأقيل على أثر الثورة ليستبدل ببيرسي كوكس الذي عاد لتهدئة الوضع، توفي عام ١٩٤٠م . للتفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية ارنولد ويلسون www.ar.wikipedia.org /wiki/ تاريخ الولوج ١٥/ ١٢/ ٢٠١٩.

أثـار أقـوام صـدق لـلـهـدى وثبت ... كـان صـدورهـم للخطب كالهدف
مـتـى لـعـمـر أبـيـه كـان مـن قـدم ... عـلى ولاء إلى الـبـاقـين والـسـلـف
من عصبة غصبت حقًا وما عدلت ... بحكمها بل سعت بالجود والجنف
قـد واعـدت قـبـل بـاسـتـقـلال أمتنا ... وكـل ذي موعد حامي الـذمـار يفي
ذب الـتـقـي بـجـهـد مـن حمايته ... للشعب حتى أعـاد النفس للتلف
أراد يشفي لقلب الـشـعـب علته ... ولـو أطـال القضا منه البقاء شفي
لـكـنـمـا عـاجـلـتـه دعـوة هـتـفـت ... بـه مـن الحق كي يمضي إلى الغرف
وبـعـد أصـبـحـت(مـس بـيـل) قائلة ... كـذبًـا عـلى الحـق تغريه فـوا أسفي

وأمّا قولها عن نجله الأكبر وأصبح تحت نفوذنا ابنه محمّد رضا الذي كان على صلة وثيقة بالناقمين علينا في النجف فلا أخال رجال الإنكليز أنفسهم إلّا مقدرين موقفه أبان الحرب العامة حينما أرسله والده المرحوم لمؤازرة قواد الجيش العثماني في الحرب العراقية، فأقام بأداء مهمته خير قيام، إذ حث العشائر على النضال منهمكًا في لمِّ شعثهم وإلقاء النصائح والعبر عليهم منذ سقوط البصرة حتى احتلال بغداد، ولا أظنهم إلّا معترفين بشدة وطأته عليهم بعد الاحتلال البريطاني لهذه الديار وعند مهاجرة والده رحمه الله من سامراء إلى كربلاء إذ أخذ يسعى – كما أسلفنا – مع الكربلائيين في إنعاش الروح القومية والوطنية وتنمية جسم التمسك بمبادئ الديانة المحمدية لا في كربلاء وحدها بل في الفرات الأوسط بأجمعه ولم يكن ليخرج في مواقفه تلك عن أوامر وإرشادات والده قيد شعرة بل كان مطبقًا للمناهج والخطط التي كان يرسمها له حتى قبض عليه في اليوم الخامس من شوال ١٣٣٨هـ، وسفّر إلى جزيرة هنجام ومن هناك أشفعت به حكومة إيران وأخذته إلى طهران.

فلا أحسب كل ذي عقل سليم يطالع مذكرات الخاتون المس بل هذه إلّا ويأخذه الذهول والعجب لما ترميه من تشويه الحقائق الناصعة وإخفاء القضايا التاريخية التي لا يختلف فيها اثنان، فإني لا أعد ما كتبته الخاتون إلّا جناية على التاريخ ليس إلّا. إذ إن أعمال الميرزا الشيرازي ونجله الأكبر في القضية العراقية وما ضحيا في سبيلها من نفس ونفيس لا يجحدها جاحد كيف لا و(إن الشمس لا تحجب بغربال).

أرسل كلمتي الموجزة هذه لاطلاع القرّاء الكرام عليها وأرجئ التفصيل للمستقبل والتاريخ هو الحكم والله المستعان على ما يصفون.

خلاصة الأنباء (الملك غازي)[1]

سيتجول جلالة الملك غازي[2] مليك العراق في بعض ألوية مملكته فيزور كربلاء والنجف والكوفة والحلة والديوانية والبصرة، وسيكون للملك الفتى المحبوب استقبال شائق أينما حل، وستكون هدية النجف الأشرف لتذكار عرسه مثالًا مصغرًا لقبة الأمير عليه السلام من الذهب.

خلاصة الأنباء (ملك العراق)[3]

زار جلالة ملك العراق الملك غازي الأول كربلاء فالنجف فالكوفة فالحلة فالديوانية، وكان يستقبل أينما حل، ورحل في الحفاوة البالغة والهتاف الصادر من أعماق القلوب لما فطر عليه من الدعة، وما غرس في قلوب رعيته من محبته وفقه الله لما فيه خير بلاده وأمته.

---

(١) خلاصة الأنباء_الملك غازي، مجلة العرفان، المجلّد الرابع والعشرون، الجزء التاسع، آذار ١٩٣٤م، ص٩٩٩.

(٢) [مركز تراث كربلاء] ثاني ملوك المملكة العراقية، ولد عام ١٩١٢، حكم من (٨ سبتمبر ١٩٣٣) ولغاية وفاته في (٤ أبريل ١٩٣٩)، هو الأبن الرابع للملك فيصل الأول، توفي في حادث سيارة غامض مساء يوم الأربعاء ٤ أبريل ١٩٣٩م،للتفاصيل ينظر: لطيف جعفر فرج، الملك غازي:ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي١٩٣٣-١٩٣٩، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٧٨).

(٣) خلاصة الأنباء_ملك العراق، مجلة العرفان، المجلّد الخامس والعشرون، الجزء الأوّل، نيسان ١٩٣٤م، ص١١٠.

خلاصة الأنباء (من أنباء العراق)[1]

في رصيفتنا الراعي أن انتخابات المنتخبين الثانويين في النجف تمت وقد سردت أسماؤهم وجلّهم حكوميون.

وأنه تقرر تعيين أحمد زكي بك الخياط متصرف كربلاء(وهو المتصرف الشيعي الوحيد) قنصلًا للعراق بِبَمْبَي كما عيّنوا قبله شاكر بك حميد قائممقام النجف أمينًا للخزانة في البلاط الملكي...

وإن وزارة المالية وافقت على تخصيص ٣٤٠٠ دينار لفتح الأربعين مدرسة التي تقرر فتحها أخيرًا.

وإنه عمّا قريب يفرغ من عمل منارة القبة العلوية المقدسة.

(١) من أنباء العراق، مجلة العرفان، الجزء الرابع، المجلّد الخامس والعشرون، تشرين الأوّل ١٩٣٤م، ص٤٣٨.

كربلاء[1]

خرجنا يوم الخميس في ٧رجب سنة ١٣٥٢هـ(٢٦ تشرين الأوّل سنة ١٩٣٣م) من بغداد قبل الظهر بثلاث ساعات قاصدين كربلاء فالنجف، واستأجرنا سيارة خاصة تبقى معنا خمسة أيام إذ كانت خطتنا أن نمكث يومًا في كربلاء، وثلاثة أيام في النجف نزور الكوفة في أثنائها، ويومًا في الحلة، ولا حاجة لأن نقول لك إنَّ سائق السيارة كان حسن الأخلاق لأن السائقين في العراق كلهم حسنو الأخلاق عكس الحالة في سوريا ولبنان، ولم ندرِ هل الفضل بذلك للحكومة التي تعاقبهم إذا أجرموا أم هم رأوا من مصلحتهم أن يكونوا كذلك مع أنا رأينا تسامح الشرطة والدرك معهم في بعض المخالفات تسامح عطف ورحمة لا تسامح تهاون بالقانون عكس ما نراه عندنا من التضييق الشديد، وعدم مراعات الاعتبارات والمقامات، بل جريًا مع العاطفة والشهوات، ولم نحتج إلى الجدال مع سائق سيارة أو حوذي إلّا مرة واحدة أخذ منا حوذي في بغداد ١٤ فلسًا فانتهره بعض رفقائنا العراقيين قائلًا أعد لهم ستة فلوس، فأعادها مستكينًا معتذرًا ولنعد بك إلى سفرنا فقد كان رفيقنا السيّد عبد الرزاق الحسني، وهو نعم الرفيق في الحضر والسفر فعبرنا جسر الخر الحديدي المتين الذي أنشأه مهندس فرنسي سنة ١٣١٥هـ، ثم مررنا بالمحمودية وكانت قبلًا خانًا للزوار ينسب بناؤه للسيّد جعفر السيّد محمود جد السيّد عبد الرزاق، وهي الآن قرية كبيرة ومركز قضاء تابع لبغداد، وبعد ذلك شاهدنا مزارع اللطيفية التي تستغلها شركة أصفر الإنكليزية فأعجبنا نظام الري فيها والظاهر أن هذه

(١) جبل عامل في العراق _ كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الرابع والعشرون، الجزء الخامس والسادس، كانون الأوّل ١٩٣٤م، ص٥٠٠-٥١٣.

الشركة لم تنجح بعملها عما قام بسببها من الضجة ثم شاهدنا الاسكندرية التي تنسب للاسكندر وهي اليوم مركز ناحية تابعة لقضاء المسيب. وكنا نجد في تلك الصحراء أشجارًا من النخيل والصفصاف على جانبي الطريق فنسأل عنها فيقال لنا إن المرحوم الملك فيصل كان يمر من هنا فيأمر بغرس الطريق على الجانبين من الشجر فيغرس حالًا ولو أمد الله في حياته لجعل العراق جنانًا غناء ولا شك أن شبله غازي يتم ما بدأ به المرحوم والده من إصلاح وعمران. ثم جئنا المسيب التي تنسب للمسيب بن نجبة الفزاري[1] وله بها مقام زرناه وإن كان لم يثبت أنه دفن في هذا المكان، والمسيب بلدة جميلة يعرض في أسواقها محصولات البلاد وغيرها وهي واقعة على ضفة الفرات وبين البلدة والضفة الغربية جسر لطيف.

وذهبنا من هناك إلى سدة الهندية[2] وهي من أعظم أعمال الري التي قامت في العراق بل هي أعظمها وهي مركز ناحية تابعة لقضاء المسيب.

وعلى كل من زار العراق أن يزور هذه السدة ليعرف ما بذل في سبيلها من جهود جهيدة وأموال عديدة فضلًا عن أنها أحسن متنزه في العراق جمعت ضروب اللطف

---

(١) المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح الفزاري: تابعي، كان رأس قومه. شهد القادسية وفتوح العراق، وكان مع علي في مشاهده، وسكن الكوفة وثار مع (التوابين) من أهلها في طلب دم الحسين عليه السلام فسير إليهم مروان جيشًا بقيادة عبيد الله بن زياد فقاتلوه، وقتل المسيب مع سليمان بن صرد في إحدى هذه الوقائع بالعراق. وكان شجاعًا بطلًا، قال زفر بن الحارث الكلابي في وصفه: فارس مضر الحمراء كلها، إذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم. وكان متعبدًا ناسكًا توفي سنة ٦٥ هـ.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سدة تقع على نهر الفرات جنوب مدينة المسيب ضمن محافظة بابل، صممها ونفذها المهندس البريطاني وليام ويلكوكس لرفع منسوب نهر الحلة من المياه. بدأ البناء بالسد عام ١٩١١ وأنتهى منها عام ١٩١٣ . للتفاصيل ينظر: ميثم عبد الخضر السويدي، سدة الهندية وآثاره الاقتصاية على الحلة ، (جامعة بابل: مركز بابل للدراسات، ٢٠٠٩).

والإبداع، وأحسن ما وصل إليه الفن والاختراع.

وهذا السد هندسه أولًا مهندس فرنسي لكنه غلط غلطة جعلت المياه تفيض وتخرب ما بنى فيئس وانتحر، وقد أقيم له قرب السد تمثال فخم حيث دفن.

وإليك ما نشر في العرفان عن هذا السد سنة ١٩١٤م بعنوان(الري ما بين النهرين)[١].

قالت مجلة النيرايست الإنكليزية ما تعريبه:

مما هو غني عن البيان أن السير وليم ولككس[٢] هو الذي عمل خرائط السد وتوسط بتسليم بنائه إلى شركة السير جون جكسن الشهيرة. كان بناء السد على اليابسة أي في مجرى مجاور لمجرى الفرات بحيث إن مياه الفرات ترتد إلى المجرى الجديد وراء السد المحكي عنه ويصير وضع سد ترابي في المجرى القديم لمنع المياه عنه أمّا عرض المجرى الجديد فهو عبارة عن ثمانمائة وخمسة عشر قدمًا إنكليزيًّا أمّا السد فهو كناية عن ركائز مبنية بالحجر والمؤونة بينها ست وثلاثون فوهة عرض الواحدة خمسة أمتار، ولكل فوهة باب داخلي يرتفع وينزل بحسب الحاجة للري فيبقى لأجل الملاحة مجرى مستقل بجانب السد، وبعضها عرضه ثمانية أمتار، والأعمدة تجمعها قناطر محكمة البنيان عرضها كافٍ لسير العربات بحيث إن هناك أيضًا جسرًا نقالًا يطرح فوق العرض المتروك للملاحة لأجل سير العربات أيضًا عليه فتتم المواصلة بين ضفتي الفرات.

---

(١) م٥ ص١٦٠.

(٢) [مركز تراث كربلاء] مهندس بناء بريطاني ولد عام ١٨٥٢م، عمل في مصر والعراق وتركيا في إنشاء قطاع الري. أ، ألّف كتاب بعنوان "جنة عدن ـ إلى عبور الأردن) وزعم فيه أن جنة عدن المذكورة في الكتب المقدسة موجودة في جنوب العراق، حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات، توفي عام ١٩٢٣. للتفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية، وليم ويلكوكس، www.ar.wikipedia.org، تاريخ الولوج ١٥/ ١٢/ ٢٠١٩.

وتحت هذا السد الكبير بنحو خمسين مترًا سد ثان يشاكله تمامًا فترتفع المياه بواسطة السدين في أيام الري إلى علو ستة عشر قدمًا ونصف(أي نحو خمسة أمتار ونصف) فلا يبقى حقل على مقربة الفرات أو ضمن منطقته إلّا ويروى، والآن قد بوشر بناء قناة تؤدي إلى بابل والحلة وتعرف بقناة الحلة، وهذه القناة القسم الأكبر منها يظهر أنه كان مبنيّا في أيام دولة الآشوريين على طول نحو خمسين ميلًا صار إصلاح هذا القسم منها وتعزيله بطريقة فنية، وقد كلفت شركة السيرجون جكسن المذكورة أن تحتفر على مقربة من السد خزانًا يسير إليه الفائض من الماء من وراء السد منعًا للفيضان، ويعود للخزان المذكور ويعرف بخزان(حبانيا) فيزيد مياه السد لو نقصت، وقد أجمعت جرائد العالم على الإعجاب بما قامت به تلك الشركة من الأعمال الباهرة التي تذكرنا أعمال العمالقة والجن فإن تلك المنطقة البعيدة عن الوسائط النقلية حيث فلاحنا يجهل تمامًا كيفية العمل كان من المستبعد عن التصديق أن يتم بها مثل هذا العمل العظيم بمدة قصيرة ولا تظن أن القسم الأكبر من أعمال الري قد انتهى فعلى الحكومة الآن أن تسعى بإيجاد الأمن في تلك الأصقاع[1] تأمينًا لأصحاب الأموال الذين يرغبون استثمار تلك البقعة، كما وأنه أضحى واجبًا عليها التشويق للمهاجرة إلى تلك البلاد التي تدر لبنًا وعسلًا فإذا فعلت ذلك صار وادي ما بين النهرين يفاخر وادي النيل وفي هذا كفاية.

وهاك ما كتبه عنه صاحب موجز تاريخ البلدان العراقية ص٨٥

كان نهر الفرات حتى عام ١٢٠٥هـ(١٧٩٠م) يجري من الشمال إلى الجنوب مارًّا بمدينة الحلة، ولم يكن لشط الهندية الحالي اسم يذكر، واتفق أن زار العتبات المقدسة في العراق في تلك الآونة آصف الدولة المهراجا الهندي المعروف فأحب أن يوصل الماء إلى

(١) أمّا اليوم فالأمن ضارب أطنابه في كل العراق باديه وحاضره كما رأينا وسمعنا.

النجف الأشرف البلدة التي كتب لها نحس الطالع أن تكون فوق ربوة مرتفعة لا تصل إليها المياه فأمر بحفر جدول صغير جره من شط الحلة إلى ضواحي النجف وأنفق على ذلك مبالغ عظيمة، وقد تكلل عمله بالنجاح والتوفيق، وتم حفر النهر الذي أراده وأرخ مشروعه الخيري بعبارة(صدقة جارية) أي عام ١٢٠٨هـ ثم إن عوامل الدهر وانخفاض سطح هذا الجدول عن الأراضي الواقعة على ضفتيه، أثرت على هذا الجدول فأصبح نهرًا عظيمًا إنهار فيه شط الحلة فتحول بذلك الفرات إلى مجراه فرأت الحكومة التركية أن تتخذ التدابير اللازمة لوقاية قرى الحلة وأراضيها الشاسعة من خطر الاضمحلال فاستدعت المهندس الفرنسي(شندرفير)[1] في عام ١٨٨٥م وطلبت إليه أن يقيم سدًا على الفرات يحفظ الموازنة بين المياه الموزعة على بلدانه بأن يقلل من جريانه في نهر الهندية ويزيده انصبابًا في نهر الحلة فأقام السد المطلوب حالًا ولكن عدم اهتمام الحكومة به؛ سبب انهياره فتعاظم الخطر على لواء الحلة فاضطرت الحكومة إلى تجديد بناء السد فاستدعت في عام ١٩٠٩م المهندس الإنجليزي السير وليم ويلكوكس فأقام السد الحالي المعروف(بسدة الهندية) الذي تم بناؤه وتدشينه في ١٢ كانون الأوّل سنة ١٩١٣م.

وطول هذا السد ٢٥٠ مترًا وعرضه بين التيغتين أربعة أمتار وعدد أبوابه(٣٦) وعرض كل منها خمسة أمتار، وهذه الأبواب من المعدن وتنزل إنزالًا كما ينزل السيف في القراب وأقربتها من الحديد وتنزل فيها بواسطة مرافع مخصوصة. ويشاهد إلى اليوم منارة مرتفعة بقرب سدة الهندية على وجهها رخامة كتب عليها هذه العبارة(بسم الله الرحمن

(١) [مركز تراث كربلاء] وهو مهندس فرنسي كان ضمن فرق عمل المهندسين اللذين استقدمهم الوالي مدحت باشا لاصلاح مشاكل تفرعات نهر الفرات ، والتي انتج عنها انشاء سد شندر فير . للتفاصيل ينظر: المصدر نفسه .

الرحيم: لما تحول نهر الفرات من مجراه وعدل إلى غير جهته كما تراه أمرنا بإنشاء هذا السد السديد المحكم وشق هذا الخليج على الوجه الأتم من كان أمره المطاع جاريًا على وجه الأرض جريان الماء في الفرات عميم الخيرات عظيم المبرات سيد سادات السلاطين مولانا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين فخر سلاطين آل عثمان السلطان الغازي عبد الحميد خان ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان كان الله تعالى متكفلًا ببره وقرن التوفيق بمطاع أمره لأحياء الأرض بعد موتها، وهي أرض حلة الفيحاء وما يليها من الأنحاء وقد وافق الفراغ من ذلك في السنة الثامنة بعد الثلاثمائة وألف وصلاة الله وسلامه على محمد النبي وآله وصحبه الطيبين أولي الشرف(١٣٠٨ هـ.).

وبعد الاستمتاع بمناظر سدة الهندية وما حوته من معجزات الفن الهندسي رجعنا أدراجنا قاصدين كربلاء.

وقبل أن نصل مدينة الكرب والبلاء بنحو نصف ساعة دخلنا في طريق تظله البساتين النضرة، وأشجار النخيل الباسقة الممتدة إلى مسافات بعيدة، وكربلاء من أغنى البلاد العراقية في بساتينها النضرة المختلفة الأثمار، وكان الحاج محمّد علي كمونة أرسل أخاه من بغداد ليستقبلنا في بيته الذي اعتاد استقبال الضيوف، وهو بيت رحب لا يخلو ليلة من الضيوف وقد وصلنا رأسًا إلى الحضرة الحسينية الشريفة حيث دفن هناك الحسين الشهيد وابنه علي الأكبر وكثير من ولده وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام وهم صفوة الصفوة من هذه الأمة التي بلغ بها الشقاء أن تقتل ابن بنت نبيها، ثم زرنا حضرة أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام وعدنا إلى مضيفنا فاستقبلنا بكل ترحاب، وبعد تناول الغداء جاءنا بعض أصدقائنا المخلصين من العامليين المقيمين بالنجف لاستقبالنا فأنسنا بلقائهم ثم امتطينا السيارات وزرنا قبر الحر الرياحي عليه السلام الذي كان من أمراء جيش يزيد ثم ندم

وتاب وقتل بين يدي الحسين عليه السلام وقال له أنت حر في الدنيا والآخرة كما سمتك أمك.

ومقام الحر على مسافة ميلين من الغرب الشمالي عن كربلاء وقد أظهره الشاه إسماعيل الصفوي وبناه سنة ١٣٢٥هـ آقاي حسين شجاع السلطان. وترى هناك في ذاك المقام وفي تلك البادية الفقر المخيم على تلك الأنحاء ويجتمع عليك لفيف كبير من الأعراب مستجدين بحالة تلين الأفئدة المتحجرة، وبعد الزيارة عدنا فمررنا بمقبرة كربلاء الكبيرة ورأينا الكربلائيين يؤمونها زرافات ووحدانًا نساء ورجالًا لزيارة موتاهم لأن ذلك اليوم كان يوم الجمعة وبعد عودتنا ذهبنا إلى بستان مضيفنا وكان ينتظرنا نجله الأديب أحمد أفندي كمونة وهو شاب مهذب فدخلنا بستانًا وارف الأشجار، غزير المياه، وتناولنا من ليمونه اللطيف، وشربنا الشاي، ولما عدنا زرنا المكان المدعو (خيمكاه) أي مكان المخيم الذي نزل فيه الحسين الشهيد وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام وصلّينا المغرب في الحضرة الحسينية الشريفة وزارنا ليلًا كثير من الفضلاء الكربلائيين وبينهم والد صديقنا السيّد صالح الشهرستاني والسيّد عبد الرزاق آل وهاب صاحب تاريخ كربلاء، وكربلاء ذات أبنية متلاصقة وأكثرها على الطراز القديم وهناك قسم كبير من الدور خارج البلدة مبني على الطراز الحديث، وفي كربلاء تكية كبيرة للإسماعيلية البهرة[1] وهم فرقة من الشيعة غير الإسماعيليين الباطنيين، وحينما تأهبنا للسفر جاء المنزل الذي نزلنا به الشيخ خليل الخالدي رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس الشريف وهو من العلماء المعروفين لكنه مناوئ للمجلس الإسلامي الأعلى ورئيسه الحاج أمين الحسيني ثم اجتمعنا به في

(١) [مركز تراث كربلاء] بضم الباء : أصلها هندوسي وتعني التجارة في لغة أهل " كجرات" بالهند، وسبب التسمية يرجع إلى الذين دعوا أهل الهند إلى المذهب الاسماعيلي كانوا تجارا . للتفاصيل ينظر: محمد كامل حسين، طائفة الاسماعيلية:تاريخهاأنظمهاأعقائدها، (القاهرة:مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩)، ص٥٢-٥٣ .

بيت قائممقام النجف وقيل لنا إنه يدعو لمناوءة المجلس الإسلامي والمؤتمر الإسلامي ويثبط الناس عن إعانة الجامعة الإسلامية.

وها نحن قبل مفارقة كربلاء التي تثير الأشجان وتجدد الأحزان نلم بشيء من تاريخها وتاريخ الحضرتين الشريفتين اللتين أقيمتا في وسطها أي في وسط كربلاء القديمة مستندين إلى ما جاء في الفصل الثاني من كتاب الصفحات المطوية من حوادث الغاضرية للسيّد عبد الرزاق آل وهاب الذي اشتغل فيه سنوات عدة وبذل أقصى الجهد المستطاع في تدوينه.

كربلاء في الدور الأول من الدولة العباسية

انهيار ركن الدولة الأموية، الدولة العباسية، السفاح، المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، المأمون، أبو السرايا، حكم العلويين في الكوفة.

لما طال حكم الأمويين في البلاد شاخ وهرم، وانحلت قواه، وتفككت أعضاؤه، وتاه رشدهم، وأزيح الستار، فبانت أعمالهم لكل ذي عينين إذ لم يراعوا شعور الرأي العام، ولم يعطوا العلويين ذوي الحق الصريح في منصب الخلافة، وسلالة البيت المالك- جانبًا من عطفهم وملاينتهم فانهمكوا بالذات والشهوات كالوليد بن يزيد الذي حرق القرآن الكريم وتمثل بهذين البيتين:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

على إثر تفاؤله وظهوره بقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[1] فاشمأزت الخاصة، ونفرت العامة، وتكاثر الناقمون عليهم واقتتلوا في ما بينهم وقام يؤنب بعضهم

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة ابراهيم: اية: ١٥.

بعضًا، وكثر الثائرون حتى قيل بزوال ملكهم، وأيقن الناس بأفول دولتهم فطمع فيها خلق كثير، وتاقت لنيلها نفوس عدد غير يسير، وكان الهاشميون قد اجتمعوا في بيت الله الحرام على أثر ضعف الأمويين وتداولوا في أمر الخلافة، واختيار الأصلح لها فقرّ رأيهم على انتخاب(محمّد بن عبد الله بن الحسن صاحب النفس الزكية)[1] فاتفقوا على البيعة له، وكان ممن حضر وبايع من العباسيين عدا العلويين(أبو جعفر المنصور) إلّا أن أمر هذه البيعة بقي مكتومًا حتى نهض إبراهيم بن محمّد العباسي[2] فأوفد أبا مسلم إلى(مرو) قاعدة خراسان منتضيًا حسامه، رافعًا صوته، داعيًا لآل محمدﷺ باثًا دعاته في الجهات بين قوم متلهفين متعطشين لسماع دعوة علوية مجيبين لمستنهض ما خلا آل مروان فلاقت الدعوة باسم العلويين مربعًا خصبًا، وبعد أن نمت غروسها وأينعت ثمارها رفع علمها، وجهر بالدعوة العباسية، ونودي بعد مقتل إبراهيم بأخيه السفاح خليفة فبايع له المسلمون، ورقى عرش الخلافة بعد أن قطع دابر الأمويين فأبادهم، ومحا ذكرهم فأنشد مفتخرًا[3]:

---

(١) [مركز تراث كربلاء] محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط الهاشمي القرشي، ولد بالمدينة سنة ١٠٠ هـ. يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا القاسم، خرج محمد النفس الزكية ومن معه فقاتلوا العباسيين قتالاً شديداً، حتى قتل عند أحجار الزيت موضع قرب المدينة على يد جيش أبي جعفر المنصور . للتفاصيل ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، تحقيق احمد صقر، ط٢، (قم: منشورات الشريف الرضي، ١٤١٦هـ)، ص١٧١-١٧٢.

(٢) [مركز تراث كربلاء] ولد بالحميمة من أعمال دمشق سنة ٨٢ للهجرة . تزوج من أم جعفر بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، المعروف بإبراهيم الإمام، أخو السفاح، والمنصور، يكنى أبا إسحاق عهد إليه أبوه في السر بالإمامة فبلغ خبره مروان الحمار، فأخذه وحبسه مدة بحران، ثم قتله غيلة، عام ١٣١هـ. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين، (د.ك: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، ج٥، ص ٣٧٩.

(٣) فوات الوفيات ج١ ص ٢٣٢.

تـنـاولـت ثـــاري مـن أمـيـة عـنـوة وحـزت بثاري يـوم من سلفي قسرا
وألـقـيـت ذلّا مـن مـفـارق هـاشـم وألـبـسـتـهـا عـــزًا وأعـلـيـتـهـا قـدرا

ثم أصبح يقترب للعلويين ويسترضيهم ويسايرهم ويكرم وفادتهم فقويت عزائم محبيهم وتابعيهم للمجاهرة في ولائهم لهم وزيارة شهداء كربلاء عليهم السلام والسكنى فيها والتردد عليها من جهات شتى واطمأنوا على أرواحهم، والتمسك بعقائدهم فاستمر هذا الحال خلال حكم السفاح وما أسرع أن انقلب لهم بعده ظهر المجن فقطع عنهم المنصور العطاء، وحبس بعضهم وقتل بعضًا حتى تمنوا رجوع حكم الأمويين، وأصبحت الوطأة تشتد عليهم يومًا فيومًا وتشتتوا في الأقطار، وتواروا عن أنظار المنصور وعماله وكذا كان بعده المهدي والهادي حتى قام الرشيد بالأمر فقتل الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام[1] وبلغت المراقبة على العلويين – في عهده أشدها والضغط عليهم أمضه فعيّن أعداء العلويين وشانئيهم ولاة في الأمصار، وكان عامل الكوفة موسى بن عيسى العباسي ممّن يمقت العلويين، ويضمر لهم السوء فإنه قد نغّص عليهم معايشهم، وحظر عليهم زيارة كربلاء التي كانت حتى ذلك الحين في تقدّم وعمران مطردين وكان لمرقدي الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام[2] بنايتان وقبتان، ولا يدخل في الروضتين إلّا من أبواب مفتحة نهارًا وموصدة ليلًا، وكان لكل من قبور الحسين عليه السلام وولده علي الأكبر والشهداء عليهم السلام علامة وضريح ولا يدخل الزائر الروضة دون استئذان إلّا أنّ موسى بن عيسى لم يَرُقْ له توارد الزائرين على الروضة الحسينية، وازدحامهم على قبره فأمر بهدم القبر وما حوله من مباني[3] وقطع السدرة التي كانت تهدي الزائرين إلى قبر الحسين عليه السلام

(١) الفخري ص١٧٨.
(٢) الرسالة الخطية نزهة الحرمين في عمارة المشهدين لآية الله السيّد حسن الصدر.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي.

نكاية بالعلويين وانتقامًا ممّن وثب منهم على العباسيين مطالبًا بالخلافة والنهوض ضدهم، ولكن المأمون وما عرف عنه من عطف على العلويين، وصلة لأرحامهم قد خفف الوطأة عنهم ورفههم وأرجع فدكًا إليهم، وأمر بتشييد البنية حول قبر الحسين عليه السلام وسمح لمن يرغب في زيارته وأعلن بنصب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وليًا لعهده فاجتمع شمل العلويين، وظهر من كان متخفيًا منهم وأعيدت الألفة، وقويت أواصر المودة بينهم وبين العباسيين، ونبذ ما كان كامنًا في القلوب من الضغائن فعاب العباسيون خطته، وغضبوا عليه لتقربه من العلويين، ونقموا منه لميله لهم، وأعلنوا في بغداد خلعه وتعيين إبراهيم المغني العباسي خليفة انتقامًا منه أو عقابًا له على فعله فجرد السيف لاسترجاع الخلافة، وصمّم على تعديل خطته والانحراف عن منهجه في مسايرة العلويين، ونسب إليه دس السم إلى الإمام علي الرضا عليه السلام[1] استرضاء لذويه وخاصته هذا ومن جهة أخرى فإن سوء إدارة عماله، وتداخل الفضل بن الربيع في أمور المملكة [2] أوجب تذمر الرأي العام العراقي فهاجت الكوفة، وقام فيها محمّد بن إبراهيم بن طباطبا الحسني في وجه عامل المأمون في بغداد الحسن بن سهل، وكان(السري بن منصور) المكنى بأبي السرايا[3] قائد جنده وصاحب لوائه فتواعد معه في الحجاز على القدوم إلى العراق فسبقه الحسني إلى الكوفة يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله والعمل بالكتاب والسنّة ثم تبعه أبو السرايا

(١) الفخري ص ١٩٩.

(٢) الطبري ج١٠ ص ٢٣٧.

(٣) [مركز تراث كربلاء] هو سري بن منصور الشيباني ثائر شجاع من الُامراء العصاميين فجمع عصابة كان يقطع بها الطريق، ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيباني بأرمينيا ومعه ثلاثون فارساً فجعله في القواد فاشتهرت شجاعته، ولما نشبت فتنة الاَمين والمأمون انتقل إلى عسكر هرثمة بن أعين وسار معه نحو ألفي مقاتل وخوطب بالاَمير . للتفاصيل ينظر: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، د.ت)، ج١٠، ص ٢٤٤.

فجاء على طريق البر مارًّا بعين التمر في فوارس معه لا راجل فيهم، وأخذ على النهرين حتى ورد كربلاء فجاء قبر الحسين عليه السلام حيث يقول نصر بن مزاحم [1]: (حدثني رجل من أهل المدائن قال أتيت قبر الحسين في تلك الليلة(أي ليلة قدوم أبي السرايا) وكانت ليلة ذات ريح ورعد ومطر وإذا بفرسان قد أقبلوا فترجلوا، ودخلوا إلى القبر فسلموا وأطال رجل منهم الزيارة ثم رثى الحسين عليه السلام بأبيات المنصور النمري ثم أقبل عليّ فقال ممّن الرجل فقلت رجل من الدهاقين من أهل المدائن فقال سبحان الله يحن الولي إلى وليه كما تحن الناقة إلى حوارها يا شيخ إن هذا موقف يكثر لك عند الله شكره، ويعظم أجره قال ثم وثب فقال: (من كان هاهنا من الزيدية فليقم إليّ) فوثبت جماعات إليه من الناس فدنو منه فخطبهم خطبة طويلة ذكر فيها أهل البيت عليهم السلام وفضلهم وما خصوا به وذكر فعل الأمة بهم، وظلمهم لهم وذكر الحسين بن علي عليهما السلام فقال: (أيها الناس هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه فما يقعدكم عمّن أدركتموه ولحقتموه وهو غدًا خارج طالبًا بثاره وحقه وتراث آبائه وإقامة دين الله، وما يمنعكم عن نصرته ومآزرته إنني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله، والذب عن دينه والنصر لأهل بيته فمن كان له نية في ذلك فليلحق بي) ثم ارتحل أبو السرايا عن كربلاء نحو الكوفة فوصل ضواحيها في العشر الأولى من جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ وكان محمّد بن إبراهيم ومعه علي بن عبد الله العلوي وجم غفير من الكوفيين في انتظاره فلما قرب منهم ترجل وانكب على قدمي محمّد بن إبراهيم وقال له يابن رسول الله ما يقيمك هاهنا؟ ادخل البلد فما يمنعك عنها أحد فدخلوا جميعًا وجاء محمّد توًا إلى محل يسمى بقصر الضرتين فتكادس الناس وازدحموا عليه للبيعة فخطبهم وبايعوه على كتاب الله وسنّة نبيه والأمر بالمعروف

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص١٧٨.

والنهي عن المنكر ثم أخرج عامل العباسيين من الكوفة ولما وصل بغداد وأعلم الحسن بن سهل بالأمر أرسل جيشًا بقيادة زهير بن المسيب للتنكيل بأبي السرايا فرجع الجيش على أعقابه منهزمًا، فجمع الحسن بن سهل شتات الجيش وأضاف إليه أضعافه وأرسله لقتال أبي السرايا بقيادة عبدوس بن عبد الصمد فكانت النتيجة أسوأ من سابقتها فأبيد الجيش عن آخره وقتل قائده عبدوس[1] فرجع أبو السرايا إلى الكوفة فوجد محمّد بن إبراهيم الحسني محتضرًا فطلب إليه الوصية فأوصاه قائلًا: (أوصيك بتقوى الله والمقام على الذب عن ديننا ونصرة أهل بيت نبيك ﷺ فإن أنفسهم موصولة بنفسك وولي الناس الخيرة ممن يقوم مقامي من آل علي عليه السلام فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبد الله فإني قد بلوت طريقته ورضيت دينه) ثم اعتقل لسانه ومات وقيل[2] قد دس أبو السرايا إليه السم لمنعه من التصرف في الأمور، وأخذه زمام الجيش من يديه وفي الغد اجتمع العلويون للبيعة فاعتذر علي بن عبد الله قبوله فبويع محمّد بن محمّد بن زيد، وكان حدثًا لم ينبت الشعر في عارضيه وبعد أن استتب له الأمر وزع الطالبيين عمالًا على الأمصار فولى (إبراهيم بن موسى بن جعفر) الملقب بالمرتضى اليمن و(زيد بن موسى بن جعفر) الأهواز (والعباس بن محمّد بن عيسى بن محمّد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب) البصرة وولي (الحسن بن الحسن الأفطس) مكة (وجعفر بن محمّد بن زيد والحسن بن إبراهيم بن الحسن بن علي) واسط وأصبحت الكتب تترى عليه من عماله في الطاعة والولاء، ومن زعماء الشام والجزيرة بطلب الانضمام إلى حظيرته، وإرسال من ينوب عنه في دعوته وضرب النقود فنقش عليها ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾[3] ثم سير الحسن بن سهل جيشًا كثيفًا جاءه من إيران بقيادة

(١) مقاتل الطالبيين ص ١٨٣.

(٢) الطبري ج ١٥ ص٢٣٨.

(٣) [مركز تراث كربلاء] سورة الصف، آية: ٤.

هرثمة إلى الكوفة فاسترجع المدائن، وأمّا الكوفة فبعد أن اقتتل الطرفان أيامًا عديدة خارجها خان الأشعث بن عبد الرحمن الأشعثي بأبي السرايا فاحتل الجيش الكوفة وفر منها محمّد بن محمّد بن زيد العلوي وأبو السرايا، ومن كان معهما من العلويين كما أن الحسن بن سهل وجه جيشًا آخر للاستيلاء على واسط ثم البصرة، فاحتلها ثم جعل يتعقب أبا السرايا حتى قبض عليه فقتله يوم ١٠ ربيع الأول سنة ٢٠٠ هـ، وأرسل محمّد بن محمّد بن زيد إلى خراسان فاعتقل هناك أيامًا ثم دس إليه السم فمات، وهكذا رجعت سطوة العباسيين إلى تلك البلدان كما كانت بعد أن دانت لحكم أبي السرايا والعلويين لمدة عشرة أشهر، وكان العلويون قد غادروا خلال تلك المدة الحجاز، وسائر مكامنهم إلى العراق للالتحاق بزعيمهم ولما اندك صرحهم وانقمعت ثورة أبي السرايا، وأبيدت جموعهم تمزق شملهم وتفرقت جماعاتهم، ونزحوا إلى البلاد النائية خوفًا من العقاب، وفرقًا من سطوة الحسن بن سهل الشديد النكاية بهم إلّا من لاذ منهم بقبر الحسين عليه السلام فاتخذوا جواره مسكنًا، وانعكف على العبادة، وانصرف عن السياسة والاشتغال بها.

وإليك ما جاء عنها وعن الحضرتين الحسينية والعباسية ملخصًا عن موجز تاريخ البلدان العراقية:

(كربلاء في التاريخ القديم) رأى بعضهم أن التوصل إلى معرفة كربلاء وتاريخها القديم، قد يأتي عن طريق معرفة نحت الكلمة وتحليلها اللغوي فاحتمل أن تكون لفظة كربلاء منحوتة من كلمة(كور بابل) العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية كثيرة منها نينوى القريبة من أراضي سدة الهندية، ومنها الغاضرية المشهورة بأراضي الحسينية. ثم كربلّة – بتفخيم اللام– وهي القريبة من مدينة كربلاء شرقًا وجنوبًا. ثم كربلاء أو عقر بابل وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية وبأطلالها أثريات مهمة. ثم النواويس التي كانت

مقبرة عامة قبل الفتح الإسلامي. ثم الحير ويقال لها الحاير[1] وهي اليوم موضع قبر الحسين عليه السلام إلى رواق بقعته الشريفة أو إلى حدود الصحن الشريف وغير ذلك من القرى الكثيرة(نهضة الحسين ص٦٦).

(كربلا في التاريخ الحديث) أمّا كربلا اليوم، فتبعد عن بغداد ٧٤ ميلًا، وتربطها بها سكة حديدية ثابتة. وهي مدينة واسعة جالسة على ترعة(الحسينية) اليسرى يحيط بها شجر النخيل الوارف، وتحفها البساتين المحتوية على أشجار الفواكه الباسقة المختلفة الصنوف وهي إلى ذلك جادات واسعة، ومؤسسات فخمة، وأسواق منتظمة، ومبان عامرة، ورياض وغياض كثيرة، وتقسم كربلاء من حيث العمران على قسمين يسمى الأوّل(كربلا القديمة) وهو الذي أقيم على انقاض كربلاء العريقة في القدم والشهيرة في التاريخ. ويدعى الثاني(كربلاء الجديدة) وهو الذي خطط في عهد ولاية المصلح الكبير مدحت باشا في عام ١٢٨٥هـ.(١٨٦٨م.) وبني بعد عام ١٣٠٠ للهجرة على طراز يختلف عن الطراز القديم. إلّا أنه تهدم معظمه – مع الأسف – حيث أقيم على أرض سبخة تنزّ فيها المياه فتأكل أسس الجدران. ولهذا السبب يحيط بكربلاء إلى اليوم مستنقع كبير هو علة وجود أمراض مزمنة في هذه المدينة تجعل الأهلين صفر الوجوه هزيلي الأجسام معرضين للأمراض المختلفة. ومع أن الحكومة لا تزال تبذل همماً محمودة في سبيل دفنه فإن خطره لا يزال يفعل فعله في الأهلين.

ويؤم كربلاء في كل عام الألوف المؤلفة من الزائرين لضريح سيد الشهداء الحسين

(١) كانت الحائر قرية بين النواويس والغاضريات أو بين الطفوف والغادريات مطلة على نهر العلقمي الخارج من عمود الفرات الأكبر.
وفي الروايات الروحية التخييرية بين القصر والتمام إن الحائر اسم لموضع فيه قبر الحسين عليه السلام وقد اختلف لسانها في تحديده.

بن علي عليهما السلام، ولا سيما أيام الزيارات المخصوصة فإن معدل عدد الزوار لها يبلغ الـ ٢٥٠،٠٠٠ نسمة في كل موسم.

وقد هجم الوهابيون على هذه المدينة في عام ١٢١٦للهجرة(١٨٠١م) وهدموا أركان الحضرتين(حضرة الحسين عليه السلام وحضرة العباس عليه السلام) ونهبوا ما في الحضرة الحسينية من نفائس ومجوهرات ثمينة. وتدل التقادير على أن كنوز هذه الحضرة من أثمن الكنوز على الرغم مما سلبه رعاديد نجد الغزاة منها.

وقضية الإمام الشهيد مع يزيد بن معاوية، قضية مشهورة ليس من شأن هذا الموجز أن يتعرض إليها. ولما قتل عليه السلام في العاشر من المحرم لسنة ٦١ هجرية(٦٨٠م) دفن في الحاير الذي أشرنا إليه آنفًا، وضريحه اليوم مقام وسط صحن عظيم[1] تتلألأ فيه القبة

(١) يرتقي تاريخ تأسيس هذه الحضرة إلى أيام قتل الحسين عليه السلام فقد جاء في كامل الزيارات لابن قولويه – هو من الكتب الخطية النفيسة – ما نصه(إن الذين دفنوا الحسين أقاموا رسمًا لقبره ونصبوا علمًا له وبناء لا يدرس أثره) ولعل المراد بقوله: «إن الذين دفنوه بنو أسد» وقد خرب هذه البناية هارون الرشيد بدليل ما جاء في كتاب تسلية المجالس وزينة المجالس لمحمّد بن أبي طالب– وهو من الكتب الخطية وهذا نصه: (وكان قد بني عليه مسجدًا ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس زمن الرشيد، فإنه خربه وقطع السدرة التي كانت ثابتة عنده وكرب موضع القبر ثم أعيد على زمن المأمون وغيره إلى أن حكم المتوكل من بني العباس فأمر بتخريب قبر الحسين وقبور أصحابه عليهم السلام وكرب مواضعها وأجرى الماء عليها إلى أن قتل المتوكل وقام بالأمر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل أبي طالب وأحسن إليهم وفرق فيهم الأموال وأعاد القبور في أيامه...). وقد تهدمت بناية المنتصر هذه في عام ٢٧٣ للهجرة(٨٨٦م) كما في آمال الأخطار للسيّد ابن طاووس فقام صاحب طبرستان محمّد بن زيد الداعي وجدد العمارة خلال المدة التي حكم فيها المعتضد وهي من عام ٢٧٩ إلى ٢٨٩ هـ كما في(فرحة الغري) ثم جدد البناء عضد الدولة البويهي فاحترقت عمارته في ١٤ ربيع الأوّل من سنة ٤٥٧ هـ(١٠١٦م) فقام وزير الدولة الديلمي الحسن بن إسماعيل وجددها أمّا العمارة الموجودة الآن فقد شيّدت في عام ٧٦٧ هـ.(١٣٦٥م) كما هو مسطور فوق المحراب مما يلي الرأس فراجعه.

مع مأذنتها بالذهب المغشاتين بالذهب الأبريز فتشع هيبة وجلالًا. وقد أنفق على هذه التغشية السلطان ناصر الدين شاه في عام ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦م. كما هو مكتوب على حائط القبة بسطر من ذهب ويبلغ ارتفاع القبة من أسفلها إلى أعلاها ١٥ مترًا.

ولما كانت حضرة الحسين عليه السلام وما يحيط بها لا تختلف عن حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلا من حيث المساحة وعدد الغرف في الصحن، ولما كنا وصفنا حضرة الأمير وصحنه وقبته وما شاكل ذلك، فقد اقتصرنا في هذا البحث على وصف ضريح الحسين عليه السلام فقط.

ضريح الحسين عليه السلام عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان أحدهما من الفولاذ الثمين وهو الداخلي والأخر من الفضة الناصعة البياض وهو الخارجي. وتعلوا الضريح الأواني الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة، وفي كل ركن من أركانه رمانة من الذهب الخالص يبلغ قطرها قراب النصف متر.

ويتصل بهذا المشبك الخارجي، مشبك آخر لا يختلف عنه بمزية من مزاياه ولا يوجد أي حاجز بينهما إلّا أنه يقصر بمتر واحد من كل من جانبيه وقد رقد تحته علي بن الحسين عليهما السلام الذي استشهد مع أبيه في يوم واحد فدفن إلى جنبه عليه السلام وأمام هذا المشبك ساحة مقدّسة عند الشيعة لا يطأها أحد بقدميه لأنهم يعتقدون بأنها مراقد الشهداء الذين استشهدوا مع الإمام عليه السلام. وفي زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضة يتصل بالحائط ويعرف بمراقد الشهداء الذين استشهدوا في حومة الوغى معه عليه السلام أيضًا، وفي صحن الحسين عليه السلام مئذنة منفردة يقال لها منارة العبد وهي مغشاة بالقاشاني الملون، ويروى عن سبب إنشائها في هذا المحل المنعزل، أن زنجيًّا كان يسكن الصحن، ويكتسب كسبًا ضعيفًا فاقتصد على نفسه حتى جمع ثروة مكنته من تشييد هذا الأثر الخالد له.

وعلى مسافة قصيرة من صحن الحسين عليه السلام، يشاهد ضريح العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام المقتول مع أخيه الحسين في يوم واحد. وهو أيضًا وسط صحن كبير لا يقل عن بقية صحون الأئمة عليهم السلام من حيث هندسة البناء، وضخامته، وكثرة المجوهرات والمرصعات التي اعتاد المسلمون أن يزينوا بها المراقد المقدّسة.

وفي كربلاء صنائع كثيرة تعد من أنفس الصنائع فالنحاس(الصفر) يصنع على أنواعه ولا سيّما(السماورات)[1] لصنع الشاي والصياغة الدقيقة والوشي والتطريز، وفيها الترب التي تتخذ من أرض كربلاء تبركًا للسجود عليها، والسبح للتسبيح بها إلى غير ذلك. والإيرانيون في كربلاء كثيرون لكنهم كانوا من عشر سنين فما فوق أكثر حتى قيل إن كربلاء بلدة إيرانية لكن الحالة اليوم تغيّرت كثيرًا وعادت كربلاء إلى عروبتها نعم يكثر السقاؤون الإيرانيون في صحن الحضرة الشريفة ويقلقون راحة الداخلين والخارجين بعرضهم الماء لأخذ الفلوس وإذا أعطيت واحدًا اجتمع عليك عشرات. ونفوس كربلاء اليوم يبلغ زهاء خمسين ألفًا كلهم من الشيعة الجعفرية عدا قسم قليل جدًا من الإسماعيلية البهرة والشيخية واليهود وبينهم قسم من الإيرانيين وقد أحصى سكان كربلاء بعض الباحثين في مجلّة لغة العرب[2] سنة ١٣٢٩هـ(١٩١١م) بمائة وخمسة آلاف منهم ستون ألف إيراني والظاهر أن كثيرًا من الإيرانيين نزحوا منها إلى بلادهم.

(١) [مركز تراث كربلاء] هو وعاء معدني يستخدم لغلي الماء وتحضير الشاي، يستخدم في بلدان الشرق الأوسط، وهو عبارة عن حوض ماء معدني بداخله انبوب اسطواني الشكل يصل إلى القمة، وعلى المحيط الخارجي للحوض يوجد صنبور لسكب الماء الساخن . ينظر: حمدي الطائي، تراثيات وبغداديات، "كارديניا"، (مجلة)، سويسرا، ٢٤/ اب/ ٢٠١٢.

(٢) [مركز تراث كربلاء] للاطلاع على تفاصيل مدينة كربلاء في مجلة لغة العرب ينظر: مركز احياء التراث، كربلاء في مجلة لغة العرب) كربلاء :مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٤).

ويسقي بساتين كربلاء فرع من الفرات اسمه(الحسينية)، وكان يجف قبل تنظيم سدة الهندية أمّا الآن فماؤه دائم وحوالي كربلاء مستنقعات كثيرة لا شك أن الحكومة تعمل على تجفيفها في القريب العاجل.

وقبل الظهر بساعتين ونصف زايلنا كربلاء قاصدين النجف الأشرف حيث مرقد حيدرة الكرار وأبي الأئمة الأطهار عليهم السلام.

سلطان البهرة[1]

مولانا طاهر سيف الدين سلطان البهرة في الهند يتمتع بمكانة عالية لدى أتباعه الكثيرين بمحبة صميمة من جميع الأوساط الإسلامية لسمو أخلاقه وبذله بسخاء في سبيل المشاريع النافعة، وآخر ما جاد به ألف ليرة إنكليزية لجمعية الطيران الحجازية لأنه حج هذا العام ومعه خمسة آلاف من أتباعه كلهم حجوا بنفقته، وقدم كسوة حريرية لداخل الكعبة المشرفة تساوي خمسة آلاف ليرة إنكليزية ويقال إنه ينشئ مستشفى في مكة بنفقته الخاصة. ومن مبراته ١٥ ألف ليرة إنكليزية لعمارة المسجد الأقصى وإهداء ضريح من الذهب والفضة لمقام الإمام الحسين عليه السلام شهيد كربلاء بلغت نفقاته ٢٢ ألف ليرة إنكليزية وهو يمني الأصل ينظم الشعر، وعدد أتباعه زهاء مليون ونصف مليون نفس. والبهرة من مسلمي الشيعة الإسماعيلية، ومولانا طاهر سيف الدين في مصر الآن، وربما اصطاف هذا العام في سوريا.

(١) سلطان البهرة، مجلة العرفان، المجلّد السابع والعشرون الجزء الثاني، نيسان ١٩٣٧م، ص١٧٣.

حوادث دامية في تاريخ العراق المجهول

رسالة خطية مدونة[1]

على عهد الوالي محمّد نجيب باشا عام ١٢٥٨هـ مع شروح وافية

في أثناء تتبعي قبل ليلتين في الجزء السابع من كتاب(تاريخ العراق بين احتلالين) لمؤلفه المحقّق المحامي عباس العزاوي[2] مررت في الصفحة ٦٤ منه على بحث بعنوان(واقعة كربلاء) ذكر المؤلف فيه أن الوالي الحاج محمّد نجيب باشا[3] جهّز جيشًا في ذي العقدة

(١) صالح الشهرستاني، حوادث دامية في تاريخ العراق المجهول رسالة خطية مدونة، مجلة العرفان، المجلّد الثالث والخمسون، الجزء العاشر، نيسان ١٩٦٦م، ص١٠٢٦-١٠٣٤.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو مؤرخ ومحام أديب عراقي، ولد في قضاء الخالص بديالى عام ١٨٩٠م، كان عضوا في عدة مجامع علمية عربية ، أتقن اللغات التركية و الفارسية، واعتنى بالتأليف عن تاريخ العراق ومن اشهر مؤلفاته موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين ، ويعد من أبرز المؤرخين العراقيين في العصر الحديث، . للتفاصيل ينظر: احمد ناجي الغريري، عباس العزاوي حياته .اثاره.ومنهجه في كتابة التاريخ العراق، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٤).

(٣) وقد حكم العراق سبع سنوات من شعبان سنة ١٢٥٨هـ إلى شعبان ١٢٦٥هـ(١٨٤٢-١٨٤٩م) وتوفي في شهر رجب سنة ١٢٦٧هـ، وقد ذكره مؤلّف الكتاب(أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) وعرفه بما يلي:

(ووقعت ولاية بغداد إلى نجيب باشا في سنة ١٨٤٢م، وهو من أسرة كبيرة في إسلامبول ومن المقربين إلى السلطان وكان لهذا الباشا ذكاء وشجاعة وحيوية خارقة. غير أن روحه القومية انقلبت إلى كره راعب للأجانب عنه، ولأجل أن يحصل على المال لنفسه في الغالب عاد إلى استعمال طرق الجباية الخالية عن بعد النظر تمامًا المبيدة للناس. وكانت غطرسته تغيض القبائل مع أن سياسته كانت عاجزة عن تهدئة القلاقل التي كان يسببها هو بنفسه بين ظهرانيها ولم يحل عنفه دون أخذ الرشوة ولا تدبره دون تعصبه الذميم).

سنة ١٢٥٨هـ، فحاصر كربلاء في ١١ ذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ، واستولى عليها.

فتذكرت في أثناء المطالعة بأنني كنت قد عثرت في مجموعة خطية وجدتها في مكتبة المرحوم الشيخ آقا ضياء الدين النوري[١] بطهران قبل ٢٦ سنة تقريبًا على رسائل عدة منها رسالة حوت بعض الرسائل والمذكرات بقلم قاضي قضاة عساكر العراق الشيخ عبد المحسن العباسي السهروردي عن تاريخ حوادث جرت على عهد بعض ولاة بغداد، منها الحادث الذي أشار إليه الأستاذ العزاوي في مؤلفه المذكور آنفًا بإيجاز.

وكنت قد نقلت بعض تلك الحوادث كما هي إلى مجموعتي في حينه، كعادتي في استنساخ ما أجده في إيران من مخطوطات نادرة عن تاريخ العراق المجهول، وأنقل فيما يلي من تلك الرسائل مبوبة عساني أكون قد أديت بعض الواجب للتاريخ، ولإزالة بعض الغموض عن الحوادث التي جرت في العراق في تلك الحقبة من الدهر مع ما سنح لي الوقت من إضافة بعض تعليقات عليها دوّنت في الهامش.

١- ثورة أهل الهندية[٢]:

قال الشيخ عبد المحسن العباسي السهروردي عن حوادث سنة ١٢٥٨هـ ما نصّه:

ومما جرته مظالم الوالي نجيب باشا على البلاد من ضروب الرزايا التي تتفقون معي[٣]

---

(١) من علماء إيران وفضلائها المعاريف. وكان عضوًا في مجلس النواب الإيراني لدورات عدة منه ثم عضوًا في محكمة التمييز العليا بطهران. وقد توفي قبل حوالي ١٧ سنة في طهران، وكانت مكتبته التي استورثها من والده العلّامة الشهيد الشيخ فضل الله النوري من أهم مكتبات طهران المحتوية على كمية كبيرة من الكتب الخطية النادرة من عربية وفارسية. وبعد وفاته تفرقت هذه الكتب بين ورثته.

(٢) وهي مدينة(طويريج) ومركز قضاء الهندية التابع للواء الحلّة. وتقع على نهر الفرات.
والكلمة تصغير(طاروق) كما جاء في كتاب(موجز تاريخ البلدان العراقية) للأستاذ السيّد عبد الرزاق الحسني.

(٣) الظاهر أن الكاتب يخاطب بكتابه هذا الوالي داود باشا الذي حكم العراق من سنة ١٢٣٢هجرية

على سيئاتها فيما بعد ما حكاه لنا ممن كان قد حضر الواقعة المؤلمة التي ذهبت بها مئات النفوس البريئة وهو ثقة بما يقول، قال: ولما سمع أهل قصبة الهندية بمجيء العساكر إليهم بقصد أخذ ما عليهم من الضرائب الأميرية المفروضة عليهم في قوانين الدولة، وكانت العساكر لا تجابه وطأتها ولا ترد طلائعها رأوا أن لا مناص لهم من الحكومة ولا خلاص لهم من ضرائبها التي طالما حاولوا التملص منها والامتناع عن أدائها، إلّا بأن أجمعوا كلمتهم ولموا شعثهم ووحدوا صفوفهم وتظاهروا على الحكومة وطردوا من كان في القصبة من قبلها وخرجوا ظاهر القصبة يهزجون ويحدون وكانوا جموعًا كثيرة، وقبل مقدم العسكر وقربه من الهندية انقسمت هذه الجموع المحتشدة قسمين. قسم يبقى منا حفل العسكر ويراميه ويصده عن دخول الهندية، وقسم يكون كمينًا له. فكان ذلك من العشائر الثائرة بأن كان القسم الأوّل تحت البدن[1]، والآخر خارج القصبة قصد الالتفاف حول المعسكر من حيث لا يشعر كما هي عادة العرب في الحروب ومن ثم يذبحوهم عن بكرة أبيهم ومن بعد يستريحون من عناء الضرائب وشقاء الجبايات المكررة.

ولما كان العسكر غفلًا عما فعله العرب ولا علم لهم بما صنعوه، وكانوا قد جاؤوا العرب بقضهم وقضيضهم كما كانوا على مقربة من القصبة أعني بمسافة رمية مدفع أخذوا أوّلًا يطلقون الطلقات السريعة من فوهتي المدفعين اللذين قوى الجند بهما؛ وذلك قصد الترهيب والتخويف حتى أصلوا أهل القصبة ممن لم يشتركوا على ما يظهر في الحرب من العجزة وغيرهم، وهكذا كان الرمي من البنادق وغيرها من الزمن حتى

إلى سنة ١٢٤٧هـ(١٨١٦-١٨٣١م) والذي كانت له صداقة ومودة مع الكاتب كما يستدل من كتب أخرى احتوتها الرسالة.

(١) أحسبه يقصد قلب القصبة أو داخل سورها كما يظهر ذلك من سياق العبارة التالية.

تيقنوا أن القصبة قد خليت من السكان وولّى أهلها هاربين من وجه العسكر ونيرانه. ومن هنا شرعوا في الهجوم على البدن ليدخلوا القصبة فينهبوا ما فيها ويسلبوا من بقي من العجزة والشيب.

ولكن سرعان ما مني العسكر بالفشل إذ قبل قيامهم بهذا الهجوم ألقوا ما معهم من سلاح وعتاد وطرحوه على الأرض ليكونوا قادرين على الوثب والركض، وكان عملهم هذا سببًا لدمارهم حيث إن الكمين من العرب لما كانوا على حقيقة من أمر نزع سلاح العسكر وتخليهم عنه قاموا عليهم قومة واحدة وانهالوا عليهم من أمام وخلف ومكّنوا فيهم السيف وأخذوا يذبحونهم ولا ذبح الغنم. ولم ينجُ منهم سوى القائد سعد الله باشا ومن كان بمعيته من معاونيه في حركاته هذه من الأغوات[1] وكان الفضل في نجاحهم من هذه الدائرة يرجع إلى سوابق خيولهم، وكانت وجهتهم نحو الخيام التي ضربت لهم من أول الأمر في الجانب الشرقي[2] المقابل إلى قصبة الهندية.

وبعد أن استقر بهم المقام وتراجعت فلول جيشهم إلى معسكرهم عملوا إحصاء فتبيّن لهم أن عدد القتلى في هذه الحرب من الجند كان ثمانمائة قتيل عدا ما لحقهم من الضرر في الأسلحة وذخائر العسكر حتى أخذو المدفعين أيضًا. وأمّا ما تراجع إلى المعسكر المذكور من جند بعد المذبحة فكانت حالتهم سيئة جدًا لنفاد ذخيرتهم وقلة علف دوابهم وخيولهم بدرجة لم يكن لديهم ما يدفعون به حر الجوع الملم بهم، هذا وكان

(١) جمع آغا، وأصلها(آقا) الفارسية بمعنى السيّد.

(٢) يقصد الضفة الشرقية من نهر الفرات الواقع أمام قصبة الهندية التي بقيت في الأصل على الضفة الغربية منه.

لسان حالهم يقول[1]:

وما إن طبنا جبن ولكن منايا ودولة آخرينا(كذا)

غير أن خبر الجند لما شاع ببغداد وقرع ما حلّ بهم الأسماع، وأخذت أخبار السوء تترى على الوالي كما وردته زمر الجرحى واحدة تلو الأخرى عمد إلى إرسال نجدة إلى القائد المكسور يتدارك أمره ويصحح غلطه، بأن شكل قوة من العشائر تساعد النجدة العسكرية في مهمتها، وكانت هذه القوة من ابن شلاك ذرب وما يليه من بني خزاعة الأقرع والفتلة وبني حكيم وبني حسن والخزاعل[2] كافة وبعد أن وعدهم ومناهم بالأعطيات ودفن الضغائن وكان ببغداد كائن(كذا) من وقوع هذه الأعمال التي استنكرها على الوالي كل من كان ذا لب وعقل، سيّرهم بصحبة العسكر لينتقموا من أهل الهندية، ويسترجعوا القصبة وإيقاع ما لا بدَّ من إيقاعه بهم من ضروب الشرور، وهكذا كان حال الوالي الغر كلما حاول لعدم تدبره رتق جرح سال جرح.

ثم جاءت هذه القوى إلى القائد المرابط هناك سعد باشا ومن الغد أعلنوا نار الحرب وضربت من أجلها الطبول إنذارًا بإيقاد جذوتها، وكانوا على مقربة من الهندية أخذوا يرمون أهلها ويضيقوا عليهم خناق الحصار من جهاتها وقطعوا عنهم موارد العيش حتى

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هي ابيات انشدها فروة بن المسيك المرادي للامام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء جاء في مطلعها

فَإِنْ نَهْزَمْ فهزَّامون قِدْماً وَإِنْ نُهْزَمْ فغيرُ مُهَزَّمينا

وَمَا إِنْ طِبُّنا جُبُنٌ ولكنْ مَنَايَانا وَدَوْلَةُ آخرينا

ينظر: ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، (قم: مطبعة انوار الهدى، ١٤١٧هـ) ، ص.٥٩

(٢) عشائر عرفت بالبسالة والشكيمة تسكن المناطق التي تلي الهندية والحلّة وما يحيط بهما، وقد لعبت دورًا عظيمًا في ثورة عام ١٩٢٠م. التي أسفر عنها نيل العراق استقلاله.

اضطروهم على التسليم فسلّموها لهم بعد أن ذهبت أرواح وسيلت دماء، ولما استرجع العسكر القصبة وأخذوا الانتقام – وأي انتقام – انتقام هتكت فيه حرمات وذهبت فيها ولا شك عفيفات وضعوا عليهم مصاريف الحرب كما استحصلوا منهم الضرائب التي نشبت الحرب من أجلها مضاعفة على وفق ما رسم من دفتر خانة [٣] بغداد لم يرحموا في ذلك عديمًا ولم يرقوا لبؤس بائس فقير. وهناك القرع بالعصي وضرب السياط من أجل التحصيل بالغ أشده حتى القلوب لتتفطر من وقوعه، فضلًا عن ذكر الذين لم نقف على أسمائهم بعد وكانوا قد زجوا في هذه الكارثة في أعماق السجون ولله تعالى في خلقه شؤون، إنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- سدة الهندية:

وبينما الحكومة آخذة في جباية الأموال بالطريقة غير المشروعة، وساعية من أجل ذلك في قمع الثورات كانت سدة الهندية قد انكسرت لخلل قد اعتراها لعدم إحكامها والعناية بها، ولتفاقم ضررها وانهيار مياهها تعذر سدها إلّا أن نجيب باشا أمر سعد باشا والي أنقرة سابقًا والذي هو قائد الحملة هذه الآن بأن تهتم كل الاهتمام بسدها بأي صورة كانت غير أن سعد باشا حشر إليها كثيرًا من أهل المسيب[٤] وغيرهم بالقوة الجبارة أيامًا وليالي، وبذل كل ما بمقدوره في سدّها فلم يفلح لأن الماء قوي الدفق، سريع الجري، لا يرد التراب، ولا يقف أمامه سكر من الأعشاب. هذا من جهة ومن آخر لضغط الباشا وعسفه وجوره هج الناس إلى البراري، وتفرق العشائر في جوف الجزيرة حتى لم يبقَ

(٣) كان يقصد بالدفتر خانة(السكرتارية) وقد تكون سكرتارية الوالي.

(٤) من مدن العراق التاريخية الواقعة على نهر الفرات شمالي الهندية ويمر بها الطريق بين بغداد وكربلاء وكذا الخط الحديدي بين بغداد والبصرة.

لديه من يقوم على سدها والمحافظة عليها، وهكذا ذهبت أعماله حول سدة الهندية[1] وسدها أدراج الرياح. وخربت مياهها الأراضي وأفسدت الزروع.

٣- هدم القبة الحسينيّة بكربلاء:

ولما يئس سعد باشا من رجوع العشائر، وسد السدة المذكورة عمد إلى طريق أشنع من الأول وأقبح زعمًا منه أن يخافه العشائر، وبه يتمكن من إرجاعهم بأن حول العسكر السباهي نحو القلعة الحسينية، وأمرهم بضرب قبة الحسين عليه السلام فضربوا قبة سيد الشهداء عليه السلام فانهدم من الضرب أعلاها وتطاير من وقع الرصاص شظاياها حتى كان من العمل سخط الإسلام عمومًا على الحكومة واستنكارهم له من حيث إن في هذه الوقعة جاء من جانب شاه العجم(محمّد شاه)[2] رجل معه بريده وتوجه به نحو الباشا أعني نجيبًا، وكان هذا الباشا وقتئذ نازلًا في قصبة المسيب وبعد أن دخل عليه ودفع إليه بريد

---

(١) وكان هذا هو شأن شط الهندية(فرع نهر الفرات جنوبي المسيب) منذ أن تم حفره سنة ١٢١٣هـ(١٧٩٨م) إلى أن أنشئت عليه السدة الحالية في سنة ١٣٣١هـ(١٩١٣م) من قبل المهندس الإنكليزي السر وليم ويلكوكس.

جاء في كتاب(رياض الجنة) المخطوط لمؤلفه السيّد محمّد حسن الزفوزي الذي انتهى من تأليفه في رمضان سنة ١٢١٦هـ بأن آصف الدولة بن شجاع الدولة بن منصور علي خان الهندي أرسل مبلغًا سبعة لكوك روبية إلى العلّامة النحرير السيّد محمّد مهدي الموسوي الشهرستاني المتوفى أوائل سنة ١٢١٦هـ(١٨٠١م) المقيم في كربلاء لحفر نهر من قرب جسر المسيب ابتغاء إيصال الماء إلى النجف. وقد تم حفر النهر المذكور في سنة ١٢١٣هـ تحت إشراف العلامة المذكور ولذلك سمّي بنهر الهندية نسبة إلى آصف الدولة الهندي.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو ملك بلاد فارس في المدة من ٢٣ أكتوبر ١٨٣٤ إلى وفاته سنة ١٨٤٨. ينتمي إلى سلالة القاجاريين التي حكمت بلاد فارس من عام ١٧٧٩- ١٩٢٥م، للتفاصيل ينظر: كريم مطر الزبيدي و فؤاد طارق العميدي، الدولة القاجارية في عهد آغا محمد شاه، (بيروت: دار العلوم العربية، ٢٠١٤).

الشاه وقع بينهما حديث طويل لم يطلع عليه أحد. وبالرغم من التكتم كان دائرًا حول القبة وضربها[1] ولما شعر الباشا بالخطر أرسل على جميع العشائر كافة من عبيد وغيرهم

(١) ورد موجز وصف هذا الحادث في الجزء الأوّل من كتاب(نقباء البشر في القرن الرابع عشر في طبقات أعلام الشيعة) لمؤلفه البحاثة العلامة الحاج آقا بزرك الطهراني المطبوع في النجف عند ترجمة حياة العلّامة السيّد صالح الداود المتوفى سنة١٣٠٣هـ بما نصّه:

(حدثت واقعة كربلاء في ذي الحجة عام ١٢٥٨هـ، والمؤرخة بلفظة غدير دم على عهد السلطان عبد الحميد، وكان ذلك على يد نجيب باشا والي بغداد فقد صارت مجزرة غريبة ذهبت ضحيتها الألوف المؤلفة من الرجال والنساء والأطفال، وكثير من العلماء والصلحاء والأوتاد. هذا غير النهب والغارات التي شنّها الجند على البلدة وما حوته.

وقد جرت هذه الفاجعة المؤلمة على عهد صاحب(الروضات) أو كتاب(روضات الجنات) وذكرها في صفحة ٣٥٣ وقال: كاد أن يبلغ قتلاه عشرة آلاف من الزوار والمجاورين من الرجال والولدان... الخ إلّا أن الحجة المرحوم الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء قد ذكر تفصيل هذا الحادث في كتابه(العبقات العنبرية) فحكى عن بعض الثقاة ممن شهدها: إنه لما أقفل العسكر أحصينا القتلى وسألنا الحفّارين وتحقّقنا فكان ذلك ما يزيد على عشرين ألف من رجل وامرأة وصبي، وكان يوضع في القبر الأربعة أو الخمسة إلى العشرة ويهال عليهم التراب بلا غسل ولا كفن، وتفقدنا القتلى منهم كثيرًا في الدور والآبار ووجدنا في السرداب الذي تحت صحن العباس عليه السلام مع أكثر من ثلاثمائة... الخ.

ووصف الجزء السابع من(تاريخ العراق بين احتلالين) الحادث نقلًا عن رسالة(نزهة الإخوان في واقعة البلد العطشان) بما يلي بعد ذكر حوادث سبقت الحادث المذكور.

(وهذا الوزير محمّد نجيب باشا حاصرها – أي كربلاء– مدة ٢٣يومًا ويوم الجمعة التالي من الثاني من عيد الأضحى جاء البشير إلى بغداد بفتحها عنوة مبينًا صورة الفتح، وكان قد تولى أمر العساكر فريق النظام كرد محمّد باشا، وبدأ يرمي الأطواب – المدافع– من جهة واحدة فلم يستقر أحد يقابل الأطواب إلى أن ثلم ثلمة من سور البلاد(في محلّة باب النجف) ودخل العسكر من تلك الثلمة فانهزم اليلمازية(كذا) عسكر البلد وخرجوا منه وشرذمة قليلة وأكثر أهل البلد دخلوا روضة العباس عليه السلام وبدأوا يرمون العسكر السلطانية فوقفت العساكر النظامية أمامهم ورموهم دفعات بالتفك(البنادق ش) فتساقط أكثر الذين في الحضرة من الباغين من سكنة البلد وفقراء

وعلى والي كردستان أحمد باشا بن سليمان باشا على أن يحضر الأخير بمجموعة من الجند

الناس ونهب الجيش البلد مقدار أربع ساعات ونادى منادي الأمان والتجأ أكثر الناس إلى بيت السيّد كاظم الرشتي إلى أن يقول والذي قتل من ولاية كربلاء مقدار أربعة آلاف نفس ومن العسكر خمسمائة نفر...) الخ.

ونقل(تاريخ العراق بين احتلالين) أيضًا في تاريخ نبيل بأن الحادث وقع(في ليلة عرفة من ذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ - ١٠ كانون الثاني ١٨٤٢م وفيها قتل تسعة آلاف شخص وسلب ما في الجوامع من نفائس.

وجاء في صفحة ٢٤من رسالة تاريخ كربلاء المطبوعة على نفقة عباس الصحافي الأصفهاني والسيّد عيسى الزروق في النجف سنة ١٣٤٩هـ ما نصّه:

(وفي سنة ١٢٢٨ هـ شق أهالي كربلاء عصا الطاعة على الدولة وأبوا أداء الضرائب والمكوس، وكان والي العراق نجيب باشا فجهز جيشًا بقيادة سعد الله باشا وسيّره إلى كربلاء فحاصرها حصارًا شديدًا وأمطر على المدينة بوابل قنابله، ولم يساعده الحظ على افتتاحها لأن سورها كان منيعًا جدًا وقلاعًا محكمة لا يمكن للقائد الدنو منها ولما أعمت به الحيل الحربية التجأ إلى الخداع فأعطى الأمان للعصاة، وضمن لهم الحكومة فأخلوا القلاع وجاؤوه طائعين فقبض عليهم وسلط المدافع على الجهة الشرقية فهدم السور وأصلى المدينة نارًا حامية وفتحها وارتكب فيها كل فظاعة وشناعة ودخل بجيشه إلى صحن العباس عليه السلام وقتل كل من لاذ بالقبر الشريف وبهذه الموبقات أعادت سلطة الحكومة إلى تلك الربوع. والله علّام للغيوب.

وقد أرخ حادث هجوم الوالي نجيب باشا على كربلاء العلّامة المرحوم الشيخ محمّد الشيخ طاهر السماوي في أرجوزته المطبوعة في النجف عن تاريخ كربلاء اسم(مجالي اللطف بأرض الطف) بما هو آت:

والحادث الحادي وراء عشرها ... ما صنع النجيب والي أمرها
إذ جمع الجنود والعشائرا ... ودار حول كربلاء محاصرًا
لأن فيها فئة قليلة ... تشتط في الأمر على القبيلة
وما لهم يد غلبها تقوى ... فإنهم أهل هدى وتقوى
فضرب الجميع بالمدافع ... ولم يفدهم عنده من شافع
ثم أقام مدة حتى ظفر ... فسلط السيف وقال لا مفر
وقتل الرجال منهم وردم ... بيوتهم فأرخوا غدير دم

وغيره من إيالة بلد السليمانية حيث كان هذا الجمع معسكرًا في الهندية. فلما حضروا جميعًا وكانوا قد تركوا سدة الهندية أمرهم بقطع جميع أشجار البساتين؛ ليكون لهم طريق واسع ويمكن به من الوصول إلى البلد والقضاء على العشائر جميعًا وأخذ ما عليهم قسرًا وجبرًا.

ولما تمكن الوزير نجيب باشا من عمله هذا شرع في وضع الضرائب على عموم أهل القصبة سواء في ذلك الفقير والغني بل لم يفلت من هذه الضريبة البقال والعطار. وكان ما وضعه على البقالين ألف وخمسمائة قرش صاغ، وكذلك على العطارين وكذلك على الإسكافيين وبمثله على النحّاسين. ووضع بمثل ما وضع على هؤلاء على نقيب بغداد السيّد علي أفندي ابن السيد سلمان أفندي، وأمّا الذي وضعه على القرى وأهلها جياع فلا تسأل عنه حيث إن صراخهم بذلك بلغ عنان السماء ولا مجيب لهم ولا مغيث فضلًا عن سوق معظمهم بطريق السخرة أو الحشر إلى السدة، ومن تخلف عن الذهاب استكرى رجلًا بدله.

فالدراهم التي أخذها بطريق الجبر والإكراه ممن ذكرنا يعطيها للذين يقطعون النخيل والأشجار ويساعدهم على ذلك الجند«الإسباهي» [1] ولكن ما لبث هذا الظلم أن يدوم طويلًا لأن أهل القصبة جميعًا مع رأسهم زعفراني زاده السيّد إبراهيم[2]والسيّد

(١) كلمة فارسية أصلها سپاه أي الجيش.

(٢) كان قد عهد به من زعماء مدينة كربلاء وأعيانها ذي الكلمة النافذة، وقد ذكره كتاب مدينة الحسين بجزئه الثاني بعبارة(والي هؤلاء السدنة – سدة المشهد الحسيني المقدّس – الأجلاء ينتمي السيّد إبراهيم المعروف بالزعفراني زعيم واقعتي المناخور وغدير دم في كربلاء، وهذا السيّد الجليل هو نجل السيّد هاشم بن مصطفى بن هاشم بن مرتضى أخو الخازن الخامس السيّد حسن) كما ورد ذكره في الجزء السابع من(تاريخ العراق بين احتلالين) نقلًا عن رسالة(نزهة الأخوان في واقعة بلد

كاظم الرشتي[1] لما رأوا الخطر قد أحدق بهم من سائر الجهات نفسًا ومالًا وقد ضاق بهم الخناق ولم تقبل شفاعة الشافعين جمعوا أمرهم وتحالفوا على أن يخلصوا أنفسهم وأموالهم من هذه البلايا التي لا تجابه ولا يمكن السكوت عليها لا شرعًا ولا عقلًا وذلك بأن كاتبوا شاه العجم المذكور آنفًا وأعلموه بما حلّ بهم والقبة الحسينيّة الطاهرة، وكذلك كاتبوا ابن هذّال عبد الله شيخ عشائر عنزة بأن يمدهم بعشائره نحو الوزير الغشوم، وإن الثورة بات أمرها محققًا لا مناص له لأن أمر الظلم بلغ منتهاه. وسنعلم ما هو مخبّأ في طيّات الغد نسأله تعالى أن يخلص المسلمين من هذه الأحزان.

وهذا الوزير الظلوم لم يكن بالرجل الرشيد إذ إنه لم يتوسم فيه صلاح وفلاح قطعًا كما لا تشم منه ذرة إيمان عفانا الله بلطفه، ولم تكن اشغاله هذه بالأمر الجديد في العراق بل إن أهل الشام[2] بحت أصواتهم وكلّت هممهم في طلب الإغاثة والخلاص من براثن جوره حتى لقد استبشروا وأقيمت عندهم الأفراح على ما بلغنا من بعض الأصدقاء الذين هم الآن هناك لما بلغهم عزله وتقلص شبح ظلمه من بلادهم كما فرحوا جذلًا

المقتول العطشان) ولا زال أحد أحياء كربلا القديمة الواقع شمال غربي المشهد الحسيني المطهر يعرف باسم(طاق الزعفراني) أومحلّة(باب الطاق) لوجود طاق كبير هناك ينسب إلى السيّد إبراهيم المذكور وقد يكون من منشآته. وهذه المحلّة كانت تسمى قبل هذه التسمية باسم(محلّة آل عيسى).

(١) هو الحاج السيّد كاظم الرشتي المتوفى سنة ١٢٥٩هـ في كربلا والمدفون فيها. وهو الجد الأعلى للسادة الرشتيين في كربلاء وقد عرفوا منذ أواخر العهد العثماني بالرشديين خطأ، وحفدته اليوم من أشراف مدينة كربلاء وقيل في تاريخ وفاته(غاب بدر الهدى) وتقع دور هذه الأسرة العلوية في محلّة باب الطاق قرب(طاق الزعفراني) وكان السيّد كاظم الرشتي من أرشد تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي وحامل لواء مذهبه من بعده وله مؤلفات في ذلك.

(٢) وكان واليًا على الشام قبل نقله منها إلى بغداد عام ١٢٥٨هـ.

بتولية علي رضا باشا [1] على بلادهم وإحلاله محلّه وإن كان الثاني شريرًا لكن شره أخف وأهون من الأوّل والقول بأخف الشرّين أهون، وتتقزز الأنفس من هذه الأعمال وينبغي الصبر على الظلم إذ كان ذلك في الكتاب مسطورًا، وأمّا الظلم بأنواعه فلا يمكن أن أصفه لكم بتمامه، وإن اليراع لقاصر على درجه. وليس لنا إلّا التسليم إلى القضاء والقدر وكان أمر الله مفعولًا. ومن هذا انتشار أبناء الجور في المدينة من جماعته، وولوج جواسيسه وعيونه لأبواب ومجالس الأشراف دعانا لأن نقبع في زوايا البيوت كأن البلاد بلاد كفر لا إسلام، ومن ينبث بكلمة حق عرض نفسه وأمواله إلى الهلاك، وإنما جئناك بهذا الذي كان قد وقع بعدكم في بغداد ونواحيها كما ذكرناه عسى أن يكون بمقدوركم عرضه على خليفة المسلمين، وحامي حمى الرعية والدين؛ ليكون على علم من أعمال عمّاله، وما يقاسيه رعيته هذا، والسلام على من دافع عن المسلمين.

(١) وكان واليًا في بغداد ثم نقل إلى الشام بمكان محمّد نجيب باشا المنقول منها إلى بغداد، وكان يسمّى علي رضا اللاز، وقد حكم العراق من أوائل سنة ١٢٤٧هـ، إلى شعبان ١٢٥٨هـ (١٨٣١ – ١٨٤٢م).

صفحات مجهولة من تاريخ كربلاء

الفوضى في كربلاء[1] عام ١٩١٦م

بعد انسحاب الجيوش التركية من كربلاء، اجتاحتها موجة من الفوضى والإرهاب، والناس في غفلة عن الحقيقة، فتصدّر الحكم منها عملاء الإنكليز الذين نثروا الأموال على أقدام الكتّاب والمؤرخين، فتساهلوا في ضبط الحقائق التاريخيّة، وكان ما دوّن في هذه الفترة والحقائق على طرفي نقيض.

نشرت الصحيفة الهندية المسماة(أنجمن إسلام) في عددها ١٣٧ لشهر آب سنة ١٩١٦م عن أحداث كربلاء في هـذه الفترة، فقالت: وفي نيسان ١٩١٦م بذل الأتراك جهدًا ثانيًا بمقدار أكثر من الحزم والشدة لإخضاع كربلاء، فقد اتهموا فخر الدين كمونة وأخاه محمّد علي بتحريضهما شيوخ اليسار على مساعدة أهالي كربلاء ضد بني حسن فأحاطوا بداره واعتقلوه. وعلى هذا ثارت البلدة وبعد اصطدام عنيف جرت الترك أثناءه مدافعهم ضد كربلاء وأنزلوا بعض الأضرار في العتبات[2].

---

(١) محمّد حسـن الكليـدار، صفحات مجهولة من تاريـخ كربلاء الفوضى في كربـلاء، مجلة العرفان، المجلّد الثامن والستون، العددان الأوّل والثاني، كانون الثاني وشباط ١٩٨٠م، ص ٦١-٦٦.

(٢) التقط عملاء الإنكليز صور القباب والمآذن الحسـينية والعباسـية وعليها علائم القصف بشـكل مشوّه كتب تحتها(الأتراك يقصفون كربلاء) إشارة إلى واقعة حمزة بك، وتفصيل الحادث كما ضبطه السـيّد إبراهيم شـمس الديـن القزويني في مذكراته الخطيّة قائلًا: «قام الشيخ محمّد علي وأخـوه الشـيخ فخري وبعـض الموالين للإنكليز كالشـيخ محمّد كاظم الهندي المصوّر الـذي صـوّر المآذن وشـوّه معالمهـا إذ جعل فيها ثقوبًا مدعيًا أن هذه الثقوب حصلـت في المآذن أثر الرصاص ومدافع

عاد إلى كربلاء في صبيحة اليوم الثاني عشر من شهر رجب سنة ١٣٣٤هـ الشيخ محمد علي كمونة من النجف يتبعه رهط كبير من أتباعـه فاستقبلهم على أبواب كربلاء جمع غفير يتقدمهم بعض الموالين للإنكليز أمثال منشئ السفارة الإنكليزية في كربلاء السيد مظهر حسين ومحمد حسين حاجي خان بائع الصحف وشخص يدعى حسين الدلائل وأخوه شرف وهم يهزجون بهذه الأنشودة:

لـو هـلـهـلـت كـسـب الـصـوايـح واحـنـه نـحـو فـخـري ذبـايـح

فعاد الأعراب المدللون إلى كربلاء يمرحون ويسرحون، واختفى اسم أولئك الأشاوس الذين ساهموا في طرد الأتراك من كربلاء. وانفرد آل كمونة بالحكم، ونكلوا بخصومهم. وقال العلّامة السيّد محمّد على هبة الدين الحسيني الشهرستاني، وهو من أبناء كربلاء المجاهدين ممن واكبوا الأحداث الوطنية فيها: بلغنا ونحن في الطريق من الكوت إلى كربلاء في أواخر شهر رجب سنة ١٣٣٤هـ أن القائد التركي خليل باشا[1] دحر الجيش الإنكليزي الذي كان يقوده الجنرال(طاونز) وأسره في ١٦ نيسان سنة ١٩١٦م، وبعد أن فشل الكابتن(لورنس) في إرشاء القائد الإنكليزي وجيوشه بمبلغ مليون ليرة استرليني، توجه في رجوعه إلى كربلاء، وكان زميلي العلّامة السيّد أبو القاسم

الأتـراك، فبعثوا هذه الصـور مع بعض العملاء ليعـبروا إلى إمارات الخليج والعشـائر العربية في جنوبي إيران بغية هياج الرأي العام ضد الأتراك».

(١) [مركز تراث كربلاء] ولد في مدينة القسطنطينية عام ١٨٨٢م هو ضابط في الجيش العثماني وحاكم إقليمـي، عمـل في قيادة الجيش العثماني ابان الاحتلال البريطـاني للعراق، . اتخذ لقب الكوت بعد قانون الألقاب الذي أصدره مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٣٤ م، توفي في اسطنبول عام ١٩٥٧م . للتفاصيل ينظر: شـبكة المعلومات الدولية، خليل كـوت ww.ar.wikipedia.org/ تاريخ الولوج ١٨/ ١٢/ ٢٠١٩.

الكاشاني[1] قلقًا من هذا النبأ، وأراد بنا الإسراع لعلمه بوجود عملاء كثيرين للإنكليز في كربلاء آنذاك. وخشي على الكربلائيين من أن يقعوا فريسة لهؤلاء بعد أن أخرجوا الأتراك من كربلاء. ولما بلغنا كربلاء في أواخر مايس ١٩١٦م الموافق لشهر نصف شعبان سنة ١٣٣٤هـ[2] شاهدناه وقد وقعت فيها الواقعة، وصدقت نبوءة العلامة الكاشاني، فقد كانت كربلاء تغلي كالمرجل، وبلغني وأنا في كربلاء أن الخاتون المس بيل موجودة في مضارب عشائر عنزة تتجول في أطراف كربلاء.

وبعد انفراد فخر الدين كمونة بالحكم، سلك سياسة البطش والإرهاب في خصومه، ومن باكورة أعماله نبش قبر العلّامة السيّد كاظم الرشتي وأحرقت جثّته رحمه الله. يذكر السيّد عبد الرزاق آل وهاب: أن الشيخ فخري كان قد أشغل ذهنه منذ أمد بعيد في قضية جازف كثيرًا في سبيلها، وهي قضية سدانة الروضة الحسينية وتفصيل الحادث أن هجم الشيخ فخري كمونة مع بعض رجاله في أحدى ليالي شهر شعبان ١٣٣٤هـ على صحن الروضة الحسينية لاغتيال نائب الكليدار السيّد عبد الحسين السيّد أحمد آل طعمة لحقد كان يضمره منذ وقت غير بعيد عندما امتنع نائب الكليدار عن اتخاذ المآذن الحسينيّة حصونًا لضرب عسكر حمزة بيك، فتسلّق رجاله جدار الروضة، وفتحت باب الزينبيّة عنوة ودخلوا الصحن وهم شاهرون بأسلحتهم للفتك بالسادن الموكول إليه

(١) [مركز تراث كربلاء] هو زعيم ديني وقائد سياسي ، ولد عام ١٨٧٧م قارع أبوالقاسم الكاشاني الإستعمار البريطاني منذ شبابه في العراق و من المشاركين في ثورة العشرين،ولكن بعد انتكاسة الثورة طارده الإنجليز فغادر العراق واتجه إلى إيران. للتفاصيل ينظر: علاء عباس نعمة ، ·موقف علماء الدين في كربلاء من الاحتلال البريطاني – السيد أبو القاسم الكاشاني أنوذجاً(١٩١٤-١٩٢٠) ، " تراث كربلاء"، (مجلة)، كربلاء، العدد الاول ، السنة الثالثة ، ٢٠١٦م، ص ١٧٣-٢١٠.

(٢) نقل السيّد عبد الحسين الكليدار في مجموعته الخطيّة: ظهور وباء الملاريا بشكل فظيع في كربلاء من جراء تراكم المياه الآسنة في محلّة العباسية وعلى إثر غرقها في شهر شعبان ١٣٣٤هـ.

حراسة الروضة، فتصدى لهم وقتئذ الملّا خضر شويلية من آل عبس، وخاطبهم قائلًا: «إنَّ المسلمين يحرمون حمل السلاح في الجوامع لقدسيتها». وعندها رجعوا إلى طرف المخيم بعد أن أنذروا نائب الكليدار وأعوانه بوجوب مغادرتهم كربلاء فورًا. وبعدها بساعات قليلة خرج نائب الكليدار يتبعه السادة إلى ديوان آل شويلية. وفي اليوم الثاني تركوا كربلاء مع أفراد أسرتهم وحاشيتهم البالغ عددهم زهاء ١٢٠ شخصًا ما بين أطفال ونساء ورجال قاصدين المسيب وذلك عن طريق نهر الحسينيّة بسفن شراعيّة يحرسهم أربعون فارسًا من عشيرة النصاروة وفي مقدّمتهم عباس المجاهد من البو شكير وهو ابن عبد الكريم ابن الحاج شكير بن حمود بن حمد بن جمعة بن سبتي بن قصر بن نصر من قبيلة عبادة. وبعد خروج السادة من كربلاء انتزع فخري كمونة مفاتيح الروضة الحسينيّة قسرًا من رئيس الفراشين المدعو شيخ محمّد عبد الكريم الخزعلي. وعيّن ابن أخيه الشيخ حميد سادنًا للروضة الحسينيّة، كما نصّب صهره الشيخ هادي كمونة رئيسًا لبلدية كربلاء[1]. وعلى إثر تلك الأحداث خاطب الشاعر الحاج محمّد حسن أبو المحاسن السادة الذين قصدوا المسيب وأقاموا فيها بأبيات هي:

أقمتم بالمسيب يا رفاق ودون لقائنا حال الفراق
فليس يروق لي في البعد عيش نعم دمعي لبعدكم يراق
فإن تك كربلاء غدرت وخانت فلا عجب فقد خان العراق[2]

وجاء في(الرسالة الرجبية) للشيخ عباس الحائريّ: «إنَّ الأعراب التابعين للشيخين من آل كمونة قاموا بهدم دار سادن الروضة الحسينيّة الواقعة أمام مدخل سوق باب قبلة

(١) مذكرات السيّد يوسف السيّد علي الرئيس آل الوهاب المتوفى في شعبان ١٣٥٠هـ.
(٢) ديوان أبي المحاسن الكربلائي/ تحقيق: الشيخ محمّد علي اليعقوبي ص١٦٠.

الحسين عليه السلام وأضرموا فيها النار، ونهبوا محتوياتها ثمّ التفوا إلى سائر أبناء عمومته، وقد أحرقت ضمن ما احترق مكتبة السادن القيّمة التي كانت تعد في طليعة المكتبات الخاصة في العراق. حيث تضم في رفوفها التراث العلمي للعالمين العربي والإسلامي كما نوّه عنها جرجي زيدان في كتابه(تاريخ آداب اللغة العربية) المجلّد الرابع ص ١٢٨ ثمّ فعلوا بمثل ذاك بدار السيّد قاسم الرشتي حفيد العلّامة السيّد كاظم الرشتي، وأضرموا النار في مكتبته التي ضمّت عشرات الآلاف من الكتب النادرة. ومن المكتبات المهمة التي نهبت وأحرقت مكتبة العلّامة الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ، ومن بين المنهوبات التي ضبطت كتاب(العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي بيع بستة آنات هندية، ونقل إلى مكتبات لندن، وهذه النسخة الفريدة هي التي استنسخ العلّامة الكبير الشيخ محمّد السماوي.

ولما حاول الأعراب هدم دار السيّد أحمد السيّد محمّد الوهاب، تصدى لهم الشيخ حسون الحسن رئيس عشيرة النصاروة، وعلى الرغم من تقدّمه في السن أشهر عليهم مسدسه، ولم يدرِ بخلد هؤلاء الرعاع أن أضرام لتبقى على مرّ العصور رمزًا خالدًا لهذه المدينة على الرغم مما أصاب أبناءها من النكبات على يد عملاء الاستعمار جريمة لا تغتفر».

ومهما حاول هؤلاء الرعاع طمس الحقائق وتشويهها دون فريق من رجال الأدب من المؤرخين وأرباب النظم الموضوعي من أبناء كربلاء أحداث هذه الفترة المظلمة، قصيدة الشاعر محمّد حسن أبو المحاسن فهي خير شاهد تاريخي على ذلك إذ يقول:

سلم على الدار وقف باكيًا ... فإنها أخنت عليها الصروف
كأنها لم تك ربع الندى ... ملجأ العاني ومأوى الضيوف[1]

(١) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص ٢٨٤.

ومن قصيدة أخرى تربو على الثلاثين بيتًا قوله:

منازل في أرض الطفوف وأرسم ... على مثلها دمع المحبين يسجم
فيا ليت شعري هل ترد لزائر ... سلامًا فيحظى بالجواب المسلم
عهدت مغانيها حمى كل خائف ... يلوذ بها في النائبات فيسلم
فهل ذلت الأشراف من آل أحمد ... فأصبحت الأنذال فيهم تحكم
لقد ملكتهم عصبة أموية ... تسير بهم سير الذين تقدموا[1]

وفي ليلة ٢١ رمضان سنة ١٣٣٤هـ هجم أتباع الشيخيين على دار السيّد أحمد بن محمّد علي آل طعمة الذي كان قد خرج ضمن من خرج للجهاد في ركاب العلماء الأعلام لمحاربة الإنكليز دفاعًا عن ثغر العراق برفقة العلّامة السيّد علي الداماد. ولما عاد إلى كربلاء رأى ما حلّ بأبناء عمومته من تشتيت وتبعيد على يد عملاء الإنكليز، فجاهر بمناوئتهم علنًا في الروضة الحسينيّة المقدّسة، ولما لم يستطيعوا مواجهته وجهًا لوجه لقوة بأسه وشدة مراسه بالتزام العلماء له، فاغتالوا هذا البطل المغوار وهو نائم في فراشه[2].

وصفوة القول هناك أحاديث وروايات كثيرة تروى على ألسنة السواد العام عن مظالم هذه الفترة، آثرنا أن نطويها؛ لأنها حديث ذو شجون. على أن نعود إلى موضوع الرعاع وأعمالهم عند ذكر وقائع الثورة العراقية الكبرى التي انبثقت أضواؤها من مدينة أبي الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام.

---

(١) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص٢٢٠.

(٢) المعروف والمشهور في كربلاء أنه تسلّق جدار السيّد أحمد بن محمّد علي مرتضى بن مصطفى بن أحمد آل طعمة ستة من أعوان آل كمونة وهم رضا قره الصباغ الإيراني الجنسية وحسون باقر ومهدي شابندر وآخرون لم تضبط أسماؤهم.

صفحات مجهولة من تاريخ كربلاء[1]

عودة الأتراك

مضت على كربلاء فترة من الزمن وهي تدار من قبل شيوخ آل كمونة بشكل مضطرب غير مستقر، حتى سأم الناس حكمهم، وبات ظلمهم في تقلص مستمر. فحان الوقت المناسب لظهور قوى تستطيع أن تكبح جماحهم، فاجتمع في محرم سنة ١٣٣٥هـ، الموافق لشهر أيلول سنة ١٩١٦م نفر من أقطاب الفكر وذوي الرأي الحصيف في محضر سري وتدارسوا فيما يجب اتخاذه من الخطوات الصارمة لانتشال مدينتهم من هذه الهوة السحيقة والحفاظ على شرفها المهان من عبث الأعراب وسائر الرعاع الذين يصطادون بالماء العكر.

اجتمع هؤلاء الجهابذة من رجال العلم والأدب وهم كل من الحاج محمّد حسن أبو المحاسن والسيّد حسين القزويني الحائريّ والسيّد محمّد علي الطباطبائيّ والسيّد محمّد علي هبة الدين الحسينيّ والسيّد أبو القاسم الكاشانيّ، وبعد أن تدارسوا عن كثب الأحداث التي وقعت في كربلاء، خلال فترة حكم آل كمونة، اتخذوا بعض القرارات كانت على جانب كبير من الأهميّة، وعلى أثرها غادر كربلاء إلى النجف كلّ من السيّد حسين القزويني والسيّد أبو القاسم الكاشانيّ والسيّد محمّد علي الطباطبائيّ واجتمعوا بالإمام المجتهد السيّد كاظم الطباطبائيّ، وبعد عودتهم إلى كربلاء، أخذوا يستفزون الجماهير الكربلائيّة وبعض رؤساء العشائر العربية بضرورة الاستبسال والوقوف بوجه

(١) محمّد حسن الكليدار الطعمة، صفحات مجهولة من تاريخ كربلاء عودة الأتراك، مجلة العرفان، المجلّد التاسع والستون، العددان الأوّل والثاني، كانون الثاني وشباط ١٩٨١م، ص٧٧-٨٠.

تحديات آل كمونة وإيقافهم عند حدهم، إذ كان الإمام الطباطبائي قد وجه اللوم اللاذع لبعض طلّاب العلم الذين كانوا يسايرون آل كمونة، وعندها اضطر بعض هؤلاء، وتحت ضغط فتوى الإمام، أن يقلبوا لآل كمونة ظهر المجن، ويأخذوا بردعهم، ووجه النصح لهم حليفهم العلّامة الشيخ محمّد حسين المازندراني الحائريّ الذي كان إلى عهد قريب من أشد أهل العلم حماسًا ومناصرة للشيوخ. إذ بدت له البوادر التي تشير إلى أن الأتراك قد يبذلون الجهود الجبارة لاسترجاع كربلاء، كما استرجعوا الحلّة على إثر غزوها من قبل عاكف بك على رأس الأوردي الانتقامي الذي شكّله الأتراك لتأديب المدن التي أعلنت العصيان على الأتراك. وصادف أن أطلق الأتراك سراح الشيخ عبد الكريم رئيس عشيرة آل عواد في أيلول ١٩١٦م، ذلك الذي كان يعدّه الأتراك من أشد المناوئين لمشيخة آل كمونة، وله أنصار ومؤيدون أكثر عددًا وعدة منهم، وبرجوعه نشطت كتلته في مناوئة الشيخين محمّد علي وفخر الدين كمونة مما سبب لهما بعض المتاعب.

ومن جهة أخرى راجت في كربلاء شائعات تشير إلى قرب هجوم عاكف بك على المدينة على رأس أوردي الانتقامي، وأن ما سيفعله عاكف بك في كربلاء سيكون نظير ما فعله في الحلّة[1]، وستنصب المشانق على قارعات الطرق وساحات البلد وسيساق الانقلابيون إليها كما تساق البهائم إلى المجازر. وكانت الفظائع الوحشية التي ارتكبها عاكف بك عند غزوه الحلّة خير بلاغ ينذر آل كمونة وحلفائهم الانقلابيين بما سيؤول

(١) [مركز تراث كربلاء] حيث جرت في مدينة الحلة واقعة عاكف التي يطلق عليها الأهالي الذين عاشوا تلك الواقعة المؤلمة بـ (دكة عاكف) باللغة العامية تدل على التعسف والظلم والمأساة والعنف التي ألحقها الجيش العثماني بقيادة قائدهم (عاكف بك) وكانت الواقعة الأولى في يوم ١٩١٦/٨/ ٢٤ والواقعة الثانية في يوم ١٩١٦/ ١١/ ١٦ للتفاصيل ينظر: عبد الرضا عوض، عاكف:وماحدث في الحلة عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م بمناسبة مرور مائة عام على جرمة عاكف العثماني في الحلة ، (الحلة: دار الفرات، ٢٠١٦).

إليه مصيرهم المحتم، عندما يغزو عاكف بك كربلاء. وإلى هذا أشارت الخاتون المس بيل السكرتيرة الشرقية في دار المعتمد البريطاني في العراق في كتابها(فصول من تاريخ العراق القريب) فقالت ما هذا نصّه:

«وكان محمّد علي كمونة المستمر على تبادل الرسائل معنا يكرر إعرابه عن مخاوفه من عودة الأتراك، وازداد قلق المدن المقدّسة ازديادًا حادًا من الأعمال الفظيعة التي وقعت في الحلّة في تشرين الثاني سنة ١٩١٦م، حيث إن جنودًا أتراكًا كانوا يحملون عتادًا إلى عجمي اقتربوا من الحلّة وطلبوا المرور، وعندما ذهبت جماعة من الوجهاء للاتفاق على الشروط ألقي القبض عليهم، وشُنِقَ في اليوم التالي عدد منهم، فنجا السيّد محمّد علي القزويني أقدم رجال الدين في الحلّة من مثل هذا المصير بأعجوبة، ثم دخل الجنود البلدة فهدموا وأحرقوا ونهبوا وتحدوا شعور المسلمين أكثر من ذلك بسبي نساء الأسر وإرسالهم إلى بغداد ليوزعن على الجنود»[1].

وممّا ساعد ذلك أن فخري كمونة وأتباعه كان قد نفد عتادهم وقلّت حيلتهم وضعفت قواهم وتفرقوا أيدي سبأ. إذ رجع معظم أولئك(الإفرارية) الذين كانوا هاربين من الجنديّة، وكان الشيخان محمّد علي وأخوه فخري كمونة قد بذلا المزيد من الجهود المضنية لجلبهم إليهم بغية إضعاف قوى رؤسائهم قد رجعوا الآن إلى مشايخهم الأصليين معلنين لهم ولاءهم وندمهم، وحينذاك أبرق العلماء الأعلام وبعض الوجوه السادة وقسم من رؤساء العشائر العربية في كربلاء إلى القائد التركي العام يطلبون منه العفو عن جريرة الانقلابيين وعقد الصلح بين الكربلائيين وبين الحكومة التركية، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ. وبعد أن تم الصلح، دخل الجيش التركي في

(١) فصول من تاريخ العراق – للمس بيل – ترجمة جعفر الخياط ص ٩٧.

أواسط شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٦م بأمر المتصرف جلال بك الذي سبق له أن أشغل متصرفية كربلاء سنة ١٣٢٦هـ.

وهكذا عادت الحكومة التركية إلى كربلاء، وعيّن جلال بك متصرفًا لها، وبعد أن مكث فيها زهاء خمسة عشر يومًا غادرها. وكان من باكورة أعماله خلال هذه الفترة القصيرة إقصاء الشيخ حميد ابن الشيخ محمّد علي كمونة عن سدانة الروضة الحسينيّة وأعادها إلى السادن السابق وأشغلها بالنيابة رئيس خدمة الروضة الحسينية السيّد محمّد سعيد السيّد أحمد آل طعمة وكذلك أعفى الشيخ هادي كمونة الذي كان رئيسًا لبلدية كربلاء من منصبه وعيّن مكانه السيّد عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن عبد الوهاب الكبير من آل طعمة وكيلًا لرئاسة البلدية.

وبعد مغادرة جلال بك مدينة كربلاء عيّن أسعد رؤوف بك[1] متصرفًا لها، ومكث بها حتى سقوط بغداد في شهر جمادى الأوّل سنة ١٣٣٥هـ. هذا ما وصلت إليه الحالة في كربلاء إبان ذلك العهد.

بعض مصادر البحث:

١- مذكرات الشيخ محمّد حسن أبو المحاسن.

٢- مذكرات السيّد عبد الحسين الكليدار.

٣- مجموعة خطيّة بقلم السيّد عبد الرزاق آل وهاب.

٤- مذكرات السيّد إبراهيم شمس الدين القزويني.

(١) [مركز تراث كربلاء] عين من قبل الدولة العثمانية متصرفاً لكربلاء عام ١٩١٦، حيث بقى حتى سقوط بغداد على يد الانكليز عام ١٩١٧. للتفاصيل ينظر: محمد حسين الكليدار، مدينة الحسين، (كربلاء: مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠١٦)، ج٥، ص٣٠٣.

غرس بذور الوحدة الوطنية في كربلاء[1]

تشكل في كربلاء سنة ١٣٢٤هـ منتدى أدبي ضم بعض مفكريها وأدبائها منهم الشاعر محمّد حسن أبو المحاسن والشيخ هادي بن عباس كاشف الغطاء والحاج عبد المهدي آل حافظ والسيّدان محمّد مهدي وأخيه صدر الدين العاملي والسيّد رضا صاحب كتاب(نقد الفلسفة الدارونية). كان هذا المنتدى خير مجلس للمنادمة، وتناشد الأشعار، والمباريات في نظم القصائد فضلًا عن أنه مجال للتداول في أمور البلدة وأحوالها السياسية والاجتماعية.

وفي أحدى أمسيات شهر رمضان سنة ١٣٢٩هـ الموافق لشهر أيلول سنة١٩١١م، وبينما كان أعضاء المنتدى قد بدأ مجلسهم كعادتهم، انطلقت تظاهرة كبرى في ساحات كربلاء وذلك على أثر صدور فتاوى العلماء، كالسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي[2]

(١) محمد حسن الكليدار، غرس بذور الوحدة الوطنية في كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد التاسع والستون، العددان الثالث والرابع، آذار ونيسان ١٩٨١م، ص٧١-٧٤.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو السيد محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي الحسني الكسنوي اليزدي النجفي ، ولد في يزد عام ١٢٤٧هـ، يعد من كبار فقهاء الشيعة والذي ألّف كتاب العروة الوثقى، وتصدّى للمرجعية، وذلك بعد وفاة الميرزا الشيرازي.توفي عام ١٣٣٧هـ. للتفاصيل ينظر: كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي :سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه، (قم: ذوي القربى، ٢٠٠٦).

والشيخ محمّد كاظم الخراساني[1] والسيّد إسماعيل الصدر[2] وآخرين غيرهم بضرورة الجهاد في سبيل الله كجهاد المسلمين في بدر وحنين، ضد إيطاليا لغزوها طرابلس الغرب(ليبيا). فما كان من أعضاء المنتدى إلّا الانضمام إلى التظاهرة، ولم يفتأ الشاعر الشيخ أبو المحاسن إلّا أن تقدّم التظاهرة، وأطلق لشاعريته العنان، ثم أنشد قصيدته الشهيرة مناديًا بالوحدة العربية وضرورة الاتحاد فيما بينها فكانت كربلاء هي المدينة السباقة إلى غرس بذور الوحدة العربية في نفوس الجماهير العربية الثائرة. وإلى القارئ بعض هذه الأبيات:

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو الاخوند محمد كاظم الخراساني، ولد في مدينة مشهد عام ١٢٥٥هـ، يعتبر الشيخ الخراساني من مدرسي علم الأُصول البارزين في التاريخ الإسلامي، اشتهر بمواقفه الاصلاحية والسياسية، توفّي الشيخ الآخوند الخراساني (قدس سره) في العشرين من ذي الحجّة ١٣٢٩ هـ بمدينة النجف الأشرف، ودفن بجوار مرقد الإمام علي (عليه السلام). للتفاصيل ينظر: عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم لخراساني ، (النجف : مطبعه النعمان، ١٩٧٢).

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو السيد إسماعيل بن صدر الدين محمّد بن صالح الموسوي العاملي، ولد عام ١٢٥٨هـ، سافر إلى النجف عام ١٢٨٠هـ لإكمال دراسته الحوزوية، ثمّ سافر إلى مدينة سامراء عام ١٣٠٩هـ استجابة لطلب أستاذه السيد الشيرازي، وبعد وفاة السيد الشيرازي تولى المرجعية في سامراء مدّة سنتين، ومن أبرز أساتذته هم أخوه السيد محمّد علي المعروف بآقا مجتهد، و الشيخ محمّد باقر الأصفهاني والشيخ مهدي كاشف الغطاء و الشيخ راضي النجفي.
ثمّ توجّه إلى كربلاء عام ١٣١٤ هـ، مروجاً للدين ومدرساً لطلبة العلم ، فقد كان من كبار مراجع الدين ، وفي عام ١٣٣٤هـ سافر إلى الكاظمية بعد ان اعتلت صحته لتغيير الهواء والعلاج ، فأقام فيها حتى وفاته يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر جمادي الاول عام ١٣٣٤هـ، ليدفن في مقبرته المعروفة بجوار الامامين الكاظمين. للتفاصيل ينظر: حسن الصدر، تكملة أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني(قم: مكتبة آية الله المرعشي،١٤٠٦هـ)، ج١ ص ٥٧؛ محمّد حرز الدين، معارف الرجال،(النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٤م)، ج١، ص ١١٥-١١٨.

يـا أيهـا الـوطـن الـعـزيـز لـك الهنا ... قـد نـلـت أشرف بغيـــة ومـراد
سيعيد تـاريـخ الـعـلى لـك نفسه ... و يـعـود مجـد رجـالـك الأمجـاد
أبـنـاء يـعـرب يـطـلـبـون تـراثـهـم ... إن الـبـنـين أحـــق بـالأجـد اد
لا يـقـنـعـون مـن الـفـخـار بتالد ... مـا لم يـضـيـفـوا طـارقًـا لـتـلاد
يـا نـاطـقًـا بـالـضـاد مـا لفضيلة ... مـعـنـى يـتـم لـغـير أهـل الـضـاد
فـافـخـر فـإنـك مـن سـلالـة معشر ... مـن طـيـب ذكـرهـم يـضـوع الـنـادي
أولـيـس عـصر الـنـور مـن آثـارهـم ... قـبـسـت لـوامـع نـــوره الـوقـاد
و عـلى مـبـادئـنـا الـحـضـارة أسست ... أيـــام لـيـسـت غـيرهـن مـبـادي
من عنصر الدين الحنيف إذا انتموا ... لـلـديـن كـانـــوا أشرف الأولاد
عـرب تحـن إلى الـفـخـار سيوفها ... وتـصـد أعـــراضًـــا عـــن الأغـــماد
لبيك يـا داعـي الـرشـاد شعارهم ... قـدّسـت مـن داعـي هـدى ورشـاد

وما أروع قوله:

فـمـتـى تـؤلـف وحـــدة عـربـيـة ... وطـنـيـة الإصـــــدار والإيـــــراد
ليس الـعـراق بموطني هـو وحـده ... فـبـلاد قـومـي كـلـهـن بـلادي

كانت هذه القصيدة النابعة من وجدان الشاعر أبي المحاسن دعوة إلى تحقيق هذه الوحدة ـ آجلًا أو عاجلًا ـ ولو على جماجم الشهداء وأشلاء الضحايا مستقاة من ثورة أبناء أمته، فأصبحت خير ملهم للعاطفة الوطنية في نفوس أبناء الأمة العربية، وقد ظلت هذه الأبيات الترنيمة التي يتغنى بها الأحرار من رجال العرب. ففي الاجتماع الذي عقده جمال باشا السفاح في العام نفسه ببغداد لمؤازرة الحكومة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى، داعيًا زعماء القبائل العربية بمناسبة العيد الوطني التركي، أنشد الشيخ مبدر الفرعون رئيس عشائر آل فتلة القصيدة العصماء التي ألقاها الشيخ محمّد حسن أبو

المحاسن ذاكرًا مآثر العرب وأمجادهم، وداعيًا إلى توحيد الأمة العربية التي حملت الرسالة الإسلامية ونشرتها إلى أبعد أقاصي العالم الحضاري، فكان لهذه القصيدة الأثر الأكبر في نفوس أبناء يعرب المتطلعة إلى سيادة الحق وإقامة العدل ونشر الحرية والاستقلال، بينما ثارت على أثرها ثائرة الأتراك واعتقل الشيخ مبدر الفرعون وبعض القادة المتظاهرين في كربلاء قبل هذا التاريخ كالشيخ عبد الكريم آل عواد ورفاقه، فما كان من الوالي العثماني إلّا أن يستخدم أسلوب المكر والتضليل ليترجم سياسته ولينقذ الموقف ويهدئ جذوة نار الغضب التي ملأت نفوس الأتراك بإيعازه إلى صديقه السيّد قاسم الرشدي ليكلف الشيخ أبو المحاسن بإلقاء القصيدة في المحفل نفسه يطري فيها على الأتراك، ويشير إلى همتهم في إنقاذ طرابلس الغرب من براثن الاستعمار الإيطالي، باعتبارهم أخوة في الدين.

وإليك أبيات الشيخ أبو المحاسن:

عبقت نفحة التهاني الذكية ... في رياض البشائر المليه
طلع العيد بالسرور عليها ... فهو يجلو الكواكب الدريه
جاءها عيدها السعيد بنعمى ... فهي بالبشر والسرور حريه
أطلقت فيه من أسار وقيد ... واستلذت بنعمة الحريه
وشفت غلة بيوم سقاها ... من رحيق الهنا كؤوس رويه
واستضاءت بظل عدل ظليل ... في حمى دولة الرشاد العليه
وعلت باتحادها والترقي ... ذروة المجد والمعالي السنيه
قف ببغداد في المعسكر وانظر ... كيف تجلى المناظر العسكريه؟
فيلق تخبر الشجاعة عنه ... إنها من صفاته الذاتيه
فيلق تسطع البوارق منه ... من وميض البنادق الموزريه

وهكذا كانت كربلاء سباقة إلى غرس بذور الوحدة العربية والتضامن مع الشعب العربي في طرابلس وفي غيرها من البلدان العربية، بحيث كانت تتأثر متى ما سمعت بأن قطرًا عربيًا قد هوجم من قبل الاستعمار الغاشم أو تعرض إلى خطر.

دور الحركة الإسلامية

في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية

للسيطرة على العراق[1] (١٩١٨ – ١٩٢٠م)[2]

منذ أن أكملت القوات البريطانية احتلال منطقة البصرة في آب ١٩١٥م[3]، شرعت الدول الأوروبية، وخاصة إنكلترا، في وضع المشاريع وعقد الصفقات السريّة، لتحديد مستقبل العراق، كأحد أجزاء الدولة العثمانية، المنسلخة عنها بالحرب. وهكذا طرحت حكومة الهند البريطانية، منذ أواخر ١٩١٥م مشروع التهنيد(Indianisation)[4]

---

(١) يشكل هذا البحث الفصل الثاني من أطروحة الماجستير في التاريخ التي أعدها الأستاذ العراقي عبد الحليم الرهيمي في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية(الفرع الأوّل). والرسالة بعنوان «تاريخ الحركة الإسلامية في العراق خلال الربع الأوّل من القرن العشرين». وقد رأينا أن ننشر فصلًا كاملًا منها نظرًا لأهميتها التاريخية والعلميّة.

(٢) عبدالحليم الرهيمي، دور الحركة الإسلامية في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية للسيطرة على العراق(١٩١٨ – ١٩٢٠م)، مجلة العرفان، المجلّد الثاني والسبعون، العدد السابع، أيلول ١٩٨٤م، ص٥٣-٧٣.

(٣) تعتبر القوات البريطانية أنها أحكمت سيطرتها على البصرة ببدء القوات العثمانية والمجاهدين الانسحاب والتراجع نحو الناصرية في ١٤ آب ١٩١٥م.

(٤) [مركز تراث كربلاء] اتبعت بريطانيا سياسة (تهنيد العراق) وبخاصة في المنطقة الجنوبية من خلال إشاعة القوانين والأنظمة الهندية كما نقلت من الهند الى الإدارة في العراق جميع العناوين والأسماء مثل الحاكم الملكي العام، والحاكم السياسي، ومعاون الحاكم السياسي، وضابط الواردات وغيرها . ينظر: فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط،(بيروت: د.م، ١٩٤٩م) ، ص١٠٩.

وإلحاق كلّ من بغداد والبصرة بها، على الأقل[١] وكان«أرنولد ولسن»[٢] نائب الحاكم المدني العام في العراق، من الداعين لهذا المشروع أيضًا[٣]. كذلك وفي الفترة ذاتها، كان السير هنري مكماهون، نائب ملك بريطانية في مصر، قد حصل على تعهد من الشريف حسين، بالتنازل عن المناطق، التي كانت تحتلها القوات البريطانية في العراق، لفترة غير محددة، وتأجيرها لقاء مقدار مناسب من المال[٤]. وفي أعقاب هذه الصفقة – التعهد عقدت، في ربيع ١٩١٦م اتفاقية «سايكس – بيكو»[٥] بين بريطانية وفرنسا وروسيا، لتقسيم المنطقة، والتي نصّت، من جملة ما نصّت عليه، أن يكون العراق –عدا الموصل –

(١) إيرلند، فيليب: العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط، بيروت ١٩٤٩م، ص ٣٦.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو سير أرنولد تالبوت ويلسون ولد عام ١٨٨٤م، عين الحاكم المدني للعراق في بغداد (١٩١٨ – ١٩٢٠) من قبل الانتداب الإنجليزي. خلفا لسلفه بيرسي كوكس .واجه خلال حكمه ثورة العراقية عام ١٩٢٠ . توفي عام ١٩٤٠ للتفاصيل ينظر: اناس حمزة الجيلاوي، الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب (١٩١٤-١٩٣٢م)، كلية التربية للعلوم الانسانية"، (مجلة)، بابل، العدد السابع، آيار ٢٠١٢م ، ص١٩٤.

(٣) العمر، فاروق: الأحزاب السياسية في العراق(١٩٢١ – ١٩٣٢م) بغداد ١٩٧٨م ص٤٤. ويذكر «محمّد طاهر العمري» أن أعداد جريدة «التايمز» اللندنية الصادرة آنذاك، اقترحت تهجير ثلاثة ملايين هندي وتوطينهم في العراق. انظر: العمري، محمّد طاهر: تاريخ مقدرات العراق السياسية. بغداد ١٩٢٥م، ج ١ ص٥٠.

(٤) راجع مذكرة الشريف حسين الثالثة إلى مكماهون المؤرخة في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣هـ الموافق ٥ تشرين الثاني ١٩١٥م. انظر: انطونيوس، جورج: يقظة العرب، ط٤، بيروت ١٩٧٤م ملحق الكتاب رقم(٥)، ص ٥٥٩ ـ ٥٦٢.

(٥) [مركز تراث كربلاء] اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦، كانت اتفاقا وتفاهُما سريًا بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام منطقة الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الدولة العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى. للتفاصيل ينظر:

من حصة إنكلترا وتحت وصايتها[١].

أمّا بعد احتلال بغداد[٢] الذي شكّلَ حدًّا تاريخيًا فاصلًا بين عهدين، العثماني والإنكليزي في العراق[٣] فقد بدأت حقبة جديدة من السياسة الإنكليزية، اتسمت بالتردد وعدم الحسم في توجهها لتحديد مستقبل العراق وشكل سيطرتها عليه، وقد تجلّى ذلك بإطلاق التعهدات والوعود، وفي الوقت نفسه البحث في مشاريع واقتراحات نقيضة لها، وقد استمرت هذه السياسة حتى إعلان مؤتمر«سان ريمو»[٤] في ٢٥ نيسان ١٩٢٠م انتداب إنكلترا رسميًا، على العراق، حيث أعلنت حكومة لندن، بدورها في ٣ آيار من العام نفسه، قبول هذا الانتداب الذي خصّها به الحلفاء[٥] واعتبرته أساسًا لسياستها النهائيّة في العراق[٦].

ومن الوعود والتعهدات التي قطعها الإنكليز وحلفاؤهم الأوروبيون للعراقيين، منذ احتلال بغداد، هي البيان الذي أصدره الجنرال مود، قائد القوات البريطانية في

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٤٨ وما بعدها.

(٢) تم احتلال بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧م.

(٣) البصير، محمّد مهدي: تاريخ القضية العراقية، جزءان، بغداد ١٩٢٤م، ج١، ص٥٠.
وانظر أيضًا: الحسني، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي الحديث، صيدا – لبنان، ١٩٤٨م، ج١ ص٣١.

(٤) [مركز تراث كربلاء] هو مؤتمر دولي عقده المجلس الأعلى للحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى، في مدينة سان ريمو، بإيطاليا، للمدة من ١٩-٢٦ أبريل ١٩٢٠. وحضره الحلفاء الرئيسيون في الحرب العالمية الأولى يمثلهم رئيس وزراء المملكة المتحدة (جورج لويد)، رئيس وزراء فرنسا (ألكسندر ميلران)، رئيس وزراء إيطاليا (فرانسيسكو ساڤريو نيتي) وسفير اليابان ك. ماتسوي.

(٥) لورد، ج.ن: القول الحق في تاريخ سوريا وفلسطين والعراق. دمشق ١٩٢٥م، ترجمة نزيه العظم، ص٩٦.

(٦) الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى. بيروت ١٩٧٨م، ط. ٤، ص ١٠٠.

العراق، إلى أهالي ولاية بغداد في ١٩ آذار١٩١٧م، وذكر فيه أن الإنكليز دخلوا العراق محررين لا قاهرين أو أعداء، وأنهم لا يرغبون بفرض أنظمة أجنبية، وأن على أشراف وممثلي بغداد الاشتراك في إدارة مصالحهم الملكية لمعاهدة بريطانية[١]. ثمّ التعهد الذي أكده الجنرال وليم مارشال، خلف الجنرال مود في قيادة القوات البريطانية، في ٢تشرين الثاني١٩١٨م[٢] أمام رهط من ممثلي أشراف ووجهاء بغداد وممثلي الأقليات الدينيّة، بإنجاز الوعود التي أعطيت مرارًا في أقرب فرصة ممكنة [٣]. أمّا أهم هذه الوعود فهو التصريح الإنكليزي- الفرنسي المشترك الذي أعلن في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨م، ونشر في بغداد في١٥ من الشهر نفسه، والقاضي بتعهد الدولتين، تأليف حكومات وإدارات وطنيّة حرة تنتخب بحسب رغائب الأمة في كلّ من سوريا والعراق، ومساعدتهما الأهلين في ذلك[٤].

أمّا أبرز المشاريع التي جرى تداولها سرًّا، خلال تلك الفترة، المناقضة للوعود والتعهدات التي قطعت، فهي: المشروع الذي اقترحته وزارة الحرب الهندية البريطانية وأرسلته في٢٩ آذار ١٩١٧م، إلى سكرتير الشؤون الخارجية في «سملا»، مقر نائب الملك في الهند، وإلى الدوائر العسكرية والملكية البريطانية في بغداد، وتضمن أسسًا لتشكيل إدارات محلّية«بواجهات عربية». وقد نصّت الفقرة السابعة، مثلًا، من هذا المشروع، على

(١) الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب. ج ١ص٤١.

(٢) أعلن الجنرال مارشال ذلك بعد إعلان هدنة مودروس(Mudros) لوقف الحرب من ٣٠/ ١٠/ ١٩١٨م، وقبيل احتلال مدينة الموصل الذي تمّ في ١٣/ ١١/ ١٩١٨م.
انظر: العمر، فاروق: مرجع سابق، ص٢٣.

(٣) الحسني، عبد الرزاق: المرجع السابق، ج١، ص ٥٩ -٦١.

(٤) المرجع نفسه، ص٦١.

أن تكون من العتبات المقدّسة وحدة منفصلة تكون تحت الإدارة البريطانية وأن لا تضم أي منطقة زراعية مهمة إليها[١]. أمّا المشروع الآخر، فهو الذي قدّمه الكولونيل«لورنس»[٢] في ٤ تشرين الثاني ١٩١٨م إلى وزارة الحرب، واقترح فيه تشكيل ثلاث دول منفصلة ومستقلة، الأولى في سوريا، والثانية في شمال العراق وعاصمتها الموصل، والثالثة في جنوب العراق وعاصمتها بغداد[٣].

ثمّة عوامل عديدة تحكمت في تحديد طبيعة الوعود والمشاريع، وبالتالي السياسة الإنكليزية في العراق منها، المسار الذي اتخذته عمليّة الاحتلال بالذات، تطورات الحرب العالمية وانعكاس نتائجها على العلاقات بين الدول الأوروبية، وعلى القوى المحلّية، ثمّ تأثيرات الوضع الداخلي سواء تلك الناجمة عن نتائج سياسة الإدارة العسكرية والمدنية للاحتلال، أو عن مواقف القوى المحلّية والأهلين منها بخاصة، ومن السياسة الإنكليزية ومشاريعها تجاه العراق بعامة.

لقد شكّلت مقاومة الاحتلال ومشاريعه، عاملًا أساسيًا في التغييرات التي كانت تجري في السياسة الإنكليزية، وفي إفشال أو عرقلة كثير من المشاريع التي طرحت لتحديد مستقبل العراق.

---

(١) إيرلند، فيليب: مرجع سابق، ص ٦٣ -٦٤.

(٢) [مركز تراث كربلاء] توماس إدوارد لورنس ضابط بريطاني ولد عام ١٨٨٨م، اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية عام ١٩١٦ ضد الدولة العثمانية ، وكان يعرف بلورنس العرب، كتب لورنس سيرته الذاتية في كتاب حمل اسم اعمدة الحكمة السبعة، توفي عام ١٩٣٥م للتفاصيل ينظر: حسام علي محسن، لورنس و القضية العربية ١٨٨٨-١٩٣٥، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الاداب، ١٩٩٤) .

(٣) العمر، فاروق: مرجع سابق، ص ٤٧ ـ ٤٨.
وانظر أيضًا: إيرلند فيليب: مرجع سابق، ص١١٥.

هذه المقاومة التي اتخذت أشكالًا مختلفة، من المعارضة السياسية إلى المواجهات المسلحة، كانت قد شملت خلال السنوات ١٩١٧ -١٩٢٠م، معظم مناطق العراق. غير أن أهميتها اختلفت، تبعًا للأهداف التي كانت تطرحها وتبعًا لاتساع انتشارها وفاعليتها.

ففي غضون تلك الفترة نشأت في معظم مناطق العراق، حركات سياسية وعسكرية معارضة للاحتلال ومشاريعه، قادتها نخب وفئات ذات انتماءات إيديولوجية وسياسية مختلفة[١]. أمّا حركة المعارضة الأهم التي ارتقت بمعارضتها إلى مستوى المقاومة السياسية المسلحة، الأكثر اتساعًا وفاعلية، فهي تلك التي نشأت ونمت في وسط وجنوب العراق- حيث الغالبية العظمى من المسلمين الشيعة – وبغداد، وقام العلماء ورجال الدين المسلمون، بالدور التوجيهي والقيادي الأساسي فيها.

لقد شهدت حركة المعارضة الإسلامية هذه، إرهاصاتها الأولى، مع بداية انحسار حركة الجهاد، في أعقاب معركة الشعيبة[٢]، حيث عقدت لقاءات ومؤتمرات متتالية بين

---

(١) تأسّس خلال عامي١٩١٩ و١٩٢٠م حزب «حرس الاستقلال» في بغداد، وأعيد تشكيل فرعي «حزب العهد» في الموصل وبغداد، أمّا الحركات العسكريّة الموضعيّة التي قامت خلال تلك الفترة فأهمها: واقعة«الكوبان» في شمال الموصل وذلك في آب ١٩١٩م، وواقعة«العمادية»، في الشهر ذاته، وواقعة «القعر»، في تشرين الثاني ١٩١٩م شمال العراق. والحركات الكرديّة التي قادها الشيخ محمود البارازاني. وهي حركات كانت تقوم ضد الإنكليز تارة وبالتعاون معهم تارة أخرى، لمواجهة المنافسين له.

انظر: الحسني، عبد الرزاق: المرجع السابق، ج ١، ص٤١- ٤٤.

انظر أيضًا: الفيّاض، عبد الله: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، بغداد ١٩٦٣م، ص ١٧٤ -١٧٧.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هي المعركة التي وقعت احداثها بين يومي ١٢- ١٤ تيسان ١٩١٥م بين القوات البريطانية والقوات العثمانية التي كانت تحاول استرداد مدينة البصرة من البريطانيين ،

عدد من العلماء في النجف وكربلاء، وزعماء العشائر في الشاميّة والناصريّة والشطرة.. وغيرها من مناطق الفرات الأوسط، كان الرأي السائد فيها، هو الإعداد للثورة على الإنكليز ومحاربتهم[١].غير أن التشكل العملي لهذه المقاومة لم يبدأ إلّا بعد احتلال بغداد، وعلى وجه التحديد، في أواخر العام ١٩١٧ وأوائل ١٩١٨م حيث دخلت، اعتبارًا من ذلك التاريخ في مواجهات سياسية وعسكرية قوية مع سلطات الاحتلال، كان أهمها: المواجهة المسلحة الموضعية التي مثّلتها «ثورة النجف»[٢] خلال آذار – نيسان ١٩١٨م، المواجهات السياسية إبان عملية الاستفتاء التي أجرتها الإدارة الإنكليزية في أواخر ١٩١٨ وأوائل١٩١٩م، ثمّ المواجهة المسلحة الشاملة التي مثّلتها«ثورة العشرين» خلال حزيران –تشرين الثاني١٩٢٠م، التي شكّلت ذروة المواجهات السياسية والمسلحة ضد الإنكليز[٣]حيث أعقب ذلك فترة من المواجهات السياسية ضد الانتداب، وضد المشروع الإنكليزي لإقامة دولة محلّية«محدثة»، وتابعة للغرب.

شارك بها عدد غفير من المجاهدين العراقيين من ثوار عشائر ورجال دين ، انتهت بخسارة القوات العثمانية نتيجة للفارق الكبير بين الجيشين من حيث العده والعدد. ينظر: هبة الدين الشهرستاني، معركة الشعيبة ١٩١٤-١٩١٥، تحقيق علاء حسين الرهيمي واسماعيل طه الجابري، (بغداد: مؤسسة هبة الدين الشهرستاني، ٢٠١٥) .

(١) الأسدي، حسن: ثورة النجف ضد الإنكليز، بغداد١٩٧٤م، ص ٢١٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] حدثت عام ١٩١٨م ، وهي اول مواجهة وطنية ثورية ضد الاحتلال البريطاني ، قادها وطنيون واحرار مدينة النجف الاشرف من امثال الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم وغيرهم . للتفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال ، ط٢ ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٧٨).

(٣) النفيسي، عبد الله: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ترجمة دار النهار، بيروت ١٩٧٣م، ص٦٣، ١٣٠.

أوّلًا- ثورة النجف وحركة المعارضة الإسلامية [١]:

كانت الإدارة العسكرية والمدنية للاحتلال تقتصر حتى صيف عام ١٩١٧م، على بعض مراكز المدن الرئيسة الواقعة في المناطق المحتلّة، لذلك بقيت العديد من المدن والمناطق، ولا سيما مناطق العشائر، خارج نطاق الإدارة العسكرية للاحتلال حتى عام ١٩١٨م؛ وذلك نتيجة لشعور العشائر المعادي للإنكليز[٢]. وعندما بدأت إدارة الاحتلال، في صيف ١٩١٧م بتعيين موظفين إنكليز كحكّام سياسيين [٣] بهدف مد سلطتها وترسيخها، على جميع المناطق التي تحتلها، أظهرت تصميمها كما يذكر تقرير الحاكم السياسي الإنكليزي في النجف، على فرض سيطرتها على مدينة النجف، معتبرة أي تراخ في تحقيق هذا الهدف يضعف من سيطرتها على منطقة الفرات بأسرها [٤]. والسؤال هو: ما هو الوضع الذي كان سائدًا في النجف آنذاك، وما هي ردود الفعل التي ستنشأ عن تصميم القيادة الإنكليزية للسيطرة على المدينة؟

لقد شكّلت النجف منذ بداية الاحتلال، مركزًا أساسيًا لحركة الجهاد، وإثر التصادم مع الإدارة العثمانية المحلّية وطردها من المدينة في آيار ١٩١٧م أقام زعماؤها المحلّيون إدارة ذاتية لتسيير شؤون الأهالي [٥]وهي إدارة يصفها «لونكريك» بأنها أشبه بحكومة

---

(١) يطلـق بعض المؤرخين والكتاب العرب والمسـتشرقين صفات عديدة على الأحداث التي وقعت في النجف خلال آذار – نيسان ١٩١٧م مثل: تمرد، عصيان، حركة، انتفاضة، ثورة. ونحن سنعمد إلى تسميتها بـ«الثورة» لأنها أقرب إلى الواقع، فضلًا عن شيوع هذه الصفة عند معظم المؤرخين.

(٢) إيرلند، فيليب: مرجع سابق، ص٦١.

(٣) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص٥٤.

(٤) الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص١٨٣.

(٥) الياسري، عبد الشهيد: البطولة في ثورة العشرين، النجف ١٩٦٦، ص ١٠٢.

مؤقتة[١].

وخلال السنتين اللتين تمتعت بهما المدينة بوضع مستقل عن الإدارتين العثمانية والإنكليزية، أقام علماؤها وزعماؤها صلات وثيقة بمعظم أنحاء العراق والعالم الخارجي[٢] ولا سيما زعماء ورؤساء عشائر الفرات الأوسط، ونتيجة لذلك كان الوضع في المدينة في منتصف ١٩١٧م يرهص باندلاع تحركات معادية للإنكليز. لذلك، عندما عزمت إدارة الاحتلال على تعيين حاكم سياسي للمدينة حاولت كما يبدو، عدم تحدي الأهالي، وتأجيل الصدام المبكر معهم، فاختارت«حميد خان» وكيلًا لها في المدينة[٣]. لكن سرعان ما بدأت، منذ تشرين الثاني من العام نفسه، مواجهات بين الأهالي وسلطات الاحتلال، عندما شرعت هذه السلطات بتحريض فهد الهزال رئيس قبيلة عنزة، الموالي للإنكليز، على دخول المدينة، وافتعال المشاكل مع الأهلين، ثم إرسالها، في مطلع العام ١٩١٨م وحدة عسكرية إلى الكوفة المجاورة للنجف، لاستحداث حامية فيها، وهو الأمر الذي مثّل عملًا استفزازيًا بذاته، فضلًا عن استفزاز الدوريات التي كانت تقوم بها عناصر الوحدة حول سور النجف[٤].

كانت مواقف وردود فعل العلماء والزعامات المحلّية تجاه هذه التطورات متباينة في تأثيرها وأهميتها. ففي حين التزم المرجع الأعلى السيّد كاظم اليزدي، موقف الصمت

---

(1) Longrigg S.H: Iraq 1900-1950 London 1953 p. 95.

(٢) الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص١٨٩.

(٣) «حميد خان»: هو رجل دين هندي إسماعيلي، يقطن في النجف. وهو ابن عمة آغا خان زعيم الطائفة الإسماعيلية في الهند. وإن اختياره كان بهدف التقليل من ردود فعل الأهالي ضد مبدأ تعيين حاكم سياسي يتبع لإدارة الاحتلال.

(٤) الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٢٢٤.

والعزلة، فأبدت سلطات الاحتلال ميلًا لتوظيف هذا الموقف لصالحها، عبر الزيارة المفاجئة التي قام بها الحاكم المدني العام برسي كوكس، إلى مقر إقامته في الكوفة[1] فإن الشيخين محمّد تقي الشيرازي المقيم في سامراء وفتح الله الأصفهاني(شيخ الشريعة) المقيم في النجف، وهما من كبار المجتهدين، لم يتخذا مواقف علنية مهمة، على هذا الصعيد، غير أنهما كانا على علاقة وثيقة مع عدد من رجال الدين، الأقل مرتبة علمية، والمثقفين الإسلاميين في النجف وكربلاء، والذين يقومون بتحريض الأهالي ضد سلطات الاحتلال. أمّا موقف الأهالي فقد اتسم بدعم الزعامات المحلّية وتحريض عدد من رجال الدين، بالمواجهة الدائمة مع سلطات الاحتلال، وهي المواجهة التي كانت تتخذ طابعًا سلميًا تارة، وعنيفًا تارة أخرى. وقد ظلّت كذلك حتى قيام الثورة في المدينة في ٩ آذار ١٩١٨م[2].

وفي غضون تلك الفترة، تشكّل في النجف عدد من المجالس«الندوات» لمناقشة القضايا السياسية والعامة ومتابعتها، وكان يشرف على تنظيمها عدد من رجال الدين والمثقفين الإسلاميين من الأسر العلميّة المشهورة. ومن هذه الندوات، ندوة الشيخين جواد الجزائريّ وعبد الكريم الجزائريّ، وندوة آل شبيب ويديرها الشيخان محمّد رضا ومحمّد باقر الشبيبي، وندوة السادة آل كمال الدين ويديرها محمّد سعيد ومحمّد علي، وندوة

(١) التقى كوكس السيّد اليزدي في ٤ كانون الأوّل ١٩١٧م في زيارة استطلاعية للمنطقة وقد غادر بعدها إلى النجف حيث التقى عددًا من رجال الدين الموالين لسلطات الاحتلال في دار حميد خان.
- انظر: المرجع نفسه، ص ٢٢٣.

(٢) للاطلاع على عرض لأهم تلك المواجهات، انظر:
- الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٢١٠، ٢١٨ - ٢٣٨.
- الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق ص ١٨٢ - ١٨٣.

آل الصافي ويديرها السيّدان محمّد رضا وأحمد الصافي النجفيّ(الشاعر المشهور)[1].

لقد ساهم نشاط هذه الندوات، فضلًا عن نشاط عدد آخر من رجال الدين، في إحداث تطورين مهمين ستترتب عليهما نتائج بعيدة الأثر في تطور حركة المقاومة الإسلاميّة ضد الإنكليز: أولهما، تأسيس جمعية إسلامية سريّة باسم«جمعية النهضة الإسلاميّة»[2] وذلك في تشرين الثاني ١٩١٧م [3]، وثانيهما، قدوم الشيخ محمّد تقى الشيرازي من سامراء إلى النجف أوّلًا ثمّ إلى كربلاء، حيث استقر فيها [4]، وقد تمّ ذلك

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٨٩ - ١٩٠. وقد أورد«الفيّاض» ذلك نقلاً عن مقال جعفر الخليلي بعنوان«كيف عرفت الشيخ عبد الكريم الجزائريّ» المنشور في جريدة «الأيّام» البغداديّة، العدد ١٠٠، في٢ آب، ١٩٦٢م وعن كتاب «على هامش الثورة العراقية الكبرى» لمؤلفه«فراني» المطبوع في بغداد سنة١٩٥٢م.

(٢) [مركز تراث كربلاء] وهي عبارة عن تنظيم سري تاسس في مدينة النجف كرد فعل على الاحتلال البريطاني المباشر للعراق، في ١١ اذار ١٩١٧ ، وهو اليوم نفسه الذي دخلت فيه القوات البريطانية الى بغداد ، وقد انضم اليه معظم رؤساء النجف الاشرف وزعمائها المحليون وبعض رؤساء العشائر ، وتشكلت هيئتها الادارية من السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري وهما اللذان وضعا الاسس الفكرية والسياسية للجمعية وحددا خطواتها العامة في التحرك والعمل ، فضلا عن محمد علي الدمشقي عضواً وعباس الخليلي سكرتيراً عاماً . للتفاصيل ينظر: حسن عيسى الحكيم ، المفصل في تاريخ النجف الاشرف ،(قم : مطبعة شريعت ، ٢٠١٠)، ج٢٠،ص ١٩١- ١٩٥.

(٣) محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضي النجف وحاضرها، صيد١٣٥٣هـ، ج١، ص٢٤٦.
- وانظر أيضًا: الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ١٩٦.
- وأيضًا العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسيّة في العراق(١٩٢١- ١٩٣٢م) بغداد ١٩٧٨م، ص٣٧.

(٤) كانت رغبة الذين ناشدوا الإمام الشيرازي بالقدوم إلى النجف قد عدلوا عن الفكرة بعد وصوله إليها، تجنبًا لمزاحمة المرجع الأعلى ورغبة في تنشيط الحركة في كربلاء التي كانت مشلولة آنذاك. راجع:

بناء على مناشدة أعضاء من المجالس«الندوات» المذكورة، بعد مشاورات تمت بينهم، بهدف حصر الزعامة الروحيّة بالإمام الشيرازي، بعد أن تبيّن لهم أن موقف المرجع الأعلى السيّد اليزدي، غير مؤيد للثورة[١].

وفيما يتعلق بتأسيس الجمعيّة ودورها، فقد كان المبادر لتأسيسها السيّد محمّد علي بحر العلوم، والشيخ محمّد جواد الجزائريّ، وهما من العلماء البارزين في الوسط السياسي والشعبي، إضافة إلى عدد آخر من رجال الدين والشخصيّات السياسيّة الإسلاميّة، وكانوا بمثابة اللجنة القياديّة للجمعيّة[٢]وتعتبر الجمعية أول تنظيم سياسي – إسلامي تأسس في العراق إبان الحرب، بعد أن انفرط عقد الجمعيات والأحزاب الإصلاحية و«الاستقلالية القومية» والإسلامية المحافظة التي ظهرت قبل الحرب[٣].

إضافة للنشاط الرئيسي للجمعية في توجيه وقيادة المواجهات التي يقوم بها الأهالي ضد الإدارة الإنكليزية، فإنها أولت اهتمامًا للعمل الدعاوي والتحريضي فأصدرت نشرة تكتب باليد، وتوزع على أهالي النجف، وتلصق أعداد منها على الجدران وأبواب

– الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية. ص٨٤ (الحاشية رقم ٢).

– وأيضا الفيّاض: مرجع سابق، ص ١٩٠.

(١) الفيّاض عبد الله: مرجع سابق، ص١٩٠.

(٢) أمّا أبرز الأعضاء الآخرين فهم: عباس الخليلي، محمّد علي الدمشقي، عباس الرماحي، كاظم الخليلي، حسين الصراف، محمّد شليلة، وغيرهم.

وانظر: العمر، فاروق: مرجع سابق، ص ٣٧– ٣٨.

– وأيضاً الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ١٦٩.

– وأيضا الحسني: «العراق في دوري الاحتلال والانتداب»، ج١، ص٣٦.

(٣) وهذه الجمعيات هي: جمعية البصرة الإصلاحيّة، فروع جمعية العهد، النادي الوطني ببغداد، جمعية المشورة.

الصحن[1]. إن أهداف الجمعية الداعية لمقاومة الإنكليز واحترام الأهالي لقيادتها الدينيّة، مكّنتها من جذب أعداد كبيرة من الأعضاء للانضمام إليها، ولا سيّما زعماء المحلّات الأربع ومسلحيهم وذلك كلما اتسعت المواجهة مع الإدارة المحتلّة[2]. بيد أن ذلك أدى في المقابل إلى فقدان الانسجام ووحدة الرأي فظهر اتجاهان داخل الجمعية يدعو أحدهما إلى استكمال الأعداد لشروط المقاومة والثورة في كلّ المناطق وانتظار انسحاب العثمانيين كيما يوظفوا نتائج الثورة لمصالحهم في حال نجاحها، أمّا الاتجاه الثاني، فكان يدعو إلى التعجيل في إطلاق شرارة الثورة، انطلاقًا من النجف، ثم مدّها بعد ذلك إلى بقية المناطق، مراهنًا على الدعم المتبادل بين الثوار وبقايا القوات العثمانية المتواجدة في الفرات الأعلى[3]. وبسبب عدم تمكن أنصار هذا الاتجاه من إقناع أنصار الاتجاه الآخر، فقد عمدوا إلى تشكيل لجنة فرعيّة سريّة ضمن الجمعيّة؛ لتحقيق هذا الهدف، قامت بتكليف مجموعة من عشرين شخصًا يتزعمهم الحاج نجم البقّال[4] (وهو موظف نجفي متدين يعمل في البقالة) لقتل الحاكم السياسي بالنجف وليم مارشال.

وبتنفيذ المجموعة العمليّة بنجاح في ١٩ آذار ١٩١٨م بقتل الحاكم السياسي اندلع الصدام بين أهالي النجف وقوات الاحتلال. وقد اعتبر هذا التاريخ بداية لثورة النجف.

---

(١) الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص١٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٩.

– وانظر أيضًا: العمر، فاروق: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٤٢– ٢٤٣.

(٤) محبوبة، جعفر الشيخ باقر: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٤٩. وانظر أيضًا:

– الأسدي: مرجع سابق، ص، ٢٤٠.

– وأيضًا الحسني: «العراق في دوري الاحتلال والانتداب»، ج ١، ص ٣٦.

وقد ردّ الجنرال مارشال، قائد القوات البريطانية في العراق على ذلك، بالأمر بمحاصرة المدينة وعدم فك الحصار عنها، إلّا بتنفيذ عدد من الشروط القاسية[١] التي رفضها المقاتلون والأهالي وحمل غالبية السكان السلاح للدفاع عن المدينة، وكان في مقدّمتهم مسلحو زعماء الأحياء، الذين بلغ عددهم ٦٠٠ مسلحًا، وقد شكّلت لجنة عليا سميت «قيادة الثورة» ولجنة أخرى لجمع المال وتوفير السلاح والعتاد، كما اتخذ قرار يقضي بالاتصال الفوري بالعشائر وطلب مساعدتها[٢]. علمًا بأن اللجنة الفرعيّة السريّة كانت قد اتصلت قبل بدء الثورة بعدد من زعماء العشائر التي تقطن في جوار النجف[٣].

لقد استمر الحصار سنة وأربعين يومًا، تخللته مناوشات ومعارك اختلفت حدتها بين يوم وآخر، كانت حصيلة القتلى البريطانيين خلالها سبعمائة عسكري، بينما قتل من الأهالي والثوار أربعين قتيلا[٤]. وخلال فترة الحصار جرت وساطات عديدة قام بها المرجع الأعلى وعدد آخر من رجال الدين والوجهاء[٥]، لكن هذه الوساطات لم تسفر عن نتيجة؛ بسبب إصرار قيادة الجمعية، التي تفاوض باسم الثوار، على هدف الاستقلال

(١) الشروط هي: تسليم بعض الأشخاص الذين عرف عنهم أنهم يتزعمون الثورة دون شروط، تسليم ألف بندقية، دفع غرامة مقدارها ٥٠ ألف ليرة إنكليزية ذهبية، نفي ألف رجل إلى الهند كأسرى حرب، منع الماء والطعام حتى تنفذ الشروط.
- ينظر: **I.O.L. Ps, 10. 470, no. lo, P.41.**
نقلًا عن: النفيسي، عبد الله، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢) الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٣) الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص١٨٥.

(٤) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

التام للعراق، بينما تصر إدارة الاحتلال على اعتبار حكم النجف حق من حقوقها[١].

غير أن استمرار الحصار اضطر الأهلين والثوار إلى الاستسلام[٢] فرفع الحصار في ٤ آيار من العام نفسه، وجرت محاكمات صوريّة سريعة حكم فيها على ثلاثة عشر قائدًا بالإعدام وعلى عدد آخر بأحكام مختلفة، بينما حكم على مائة وسبعة آخرين بالنفي إلى الهند[٣]. وقد عمدت السلطات الإنكليزية إلى تنفيذ أحكام الإعدام أمام حشد من رجال الدين وزعماء العشائر، الذين أرغموا على الحضور لرؤية المشهد؛ وذلك لبث الرعب في صفوفهم[٤]. أمّا زعيما«جمعية النهضة الإسلامية» وهما الشيخ جواد الجزائريّ والسيّد محمّد علي بحر العلوم، فقد حكم عليهما بالإعدام، غير أن هذا الحكم استبدل بالنفي خارج العراق، بعد توسط الإمام محمّد تقي الشيرازي، وشيخ المحمرة الأمير خزعل[٥].

وإذ نالت الثورة التعاطف والتأييد في معظم مناطق العراق، فإن حصار النجف قد أثار ردود فعل عنيفة معادية للإنكليز في كلّ من العراق وإيران[٦]. أمّا ردود فعل إدارة الاحتلال، التي عبّر عنها بعض الموظفين الإنكليز، فقد عكست مدى المخاوف من الخطر الذي هددت به الثورة إدارة الاحتلال. ففي حين اعتبرت«المس بيل» رئيسة قسم الاستخبارات في القوات البريطانية في العراق، أن هذا الحدث قد أوقع الإدارة

---

(١) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص٥٨.
(٢) الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٢٩٠.
(٣) الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب، ج١، ص ٣٨.
(٤) الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٣٤٢.
(٥) المرجع نفسه، ص٣٤٨.
(٦) العمر، فاروق: حول السياسة البريطانية في العراق، ص ٧٦.
- وانظر أيضًا: النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ٥٨.

الإنكليزية في«أدق موقف» منذ احتلال بغداد[1] فإن نائب الحاكم الملكي«ويلسن» اعتبره«أخطر لحظة» في تاريخ الإدارة الإنكليزية بعد احتلال بغداد[2]. غير أن الأهميّة التي انطوت عليها ثورة النجف، هي في كونها شكّلت مظهرًا مهمًا من مظاهر حركة المعارضة الإسلامية، المعادية للغرب ومشاريعه للهيمنة على العراق والبلاد الإسلامية، وكذلك، في كونها شكّلت تمهيدًا للدور الأساسي الذي ستؤديه في ثورة العشرين[3].

إن المضمون الإسلامي الذي حملته الثورة لم يتجلّ فقط، في الدور القيادي البارز للعلماء ودور«جمعية النهضة الإسلامية» كمنظمة إسلامية سياسية، وإنما في الأهداف والأفكار السياسية التي انطلقت على أساسها مقاومة الإنكليز، حيث ارتبطت المقاومة من أجل التحرر والاستقلال، بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد إحدى الدول الأوروبية المعادية. ولعل مضمون القصيدة التي نظمها الشيخ جواد الجزائري في سجن بغداد، بعد أن حكم عليه بالإعدام، هي إحدى التعبيرات عن ذلك[4].

---

(1) Bell L.F: The Letters of Gertrude Bell، 2 vols.(London، 1947)، P. 443

(2) Wilson AT: Mesapotamia(1917-1920) A Clash of loyalities، A Personal of Historical Record، vol. 2،(London. 1939). P. 74.

(٣) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ٦٣.

(٤) تتألف قصيدة الشيخ الجزائري من خمسة وعشرين بيتًا، وهذه بعض الأبيات:

مددنا بصائرنا لا العيونا ... وفزنا غداة عشقنا المنونا
رعينا بها سنة الهاشمي ... بني الهدى والكتاب المبينا
وصنا كرامة شعب العراق ... وكنا لعلياه حصنا مصونا
وخضنا المعامع، وهي الحمام ... ندافع عن حوزة المسلمينا
وجحفل أعدائنا الانكليز ... يملأ سهل الفلا والحزونا
وما ضامناً الأسر في موقف ... أطعنا عليه الرسول الأمينا

- انظر: الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٣٤٩ - ٣٥١.

وإذا كان قيام ثورة النجف قد مثل إحدى نتائج عمل «جمعية النهضة الإسلامية» التي شكل تأسيسها، أحد التطورين المهمين اللذين حصلا في النجف أواخر سنة ١٩١٧م، فإن التطور المهم الثاني تمثل في انتقال الإمام محمّد تقي الشيرازي من سامراء إلى كربلاء، حيث سيؤسس هذا الانتقال للدور الذي سيقوم به في الفترة التالية؛ لتقوية وتوسيع حركة المعارضة الإسلامية ضد الاحتلال الإنكليزي.

ثانيًا – استفتاء ١٩١٨ – ١٩١٩م وبروز دور الإمام الشيرازي:

بعد أن أكملت القوات البريطانية احتلالها العراق، وتوقفت الحرب العالمية بإعلان الهدنة، نشر التصريح الإنكليزي – الفرنسي حول مصير الولايات العربية المنسلخة من الدولة العثمانية في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٨م. وفي ضوء ذلك، قررت إدارة الاحتلال وبموافقة حكومتها في لندن إجراء استفتاء عام في العراق اعتبارًا من٣٠ تشرين الثاني من العام نفسه تم حصره في الإجابة عن الأسئلة الثلاثة الآتية[1]:

- هل ترغبون بحكومة عربية مستقلة تحت الوصاية الإنكليزية يمتد نفوذها من أعالي شمال الموصل إلى الخليج الفارسي؟
- هل ترغبون أن يرأس هذه الحكومة أمير عربي؟
- من يكون ذلك الأمير الذي تختارونه؟

أسفرت عملية الاستفتاء التي جرت خلال كانون الأول ١٩١٨م وكانون الثاني

(١) البصير، محمّد مهدي: تاريخ القضية العراقية، بغداد، ج١ ص٨١ـ ٨٢. ويذكر المؤلف، الذي كان أحد رجالات المعارضة البارزين آنذاك أن الانطباع الذي تولد لديه هو أن الهدف من الاستفتاء كان سبر غور الناس لمعرفة أعداء وأصدقاء الإنكليز.

١٩١٩م عن تنظيم الحكام السياسيين مضابط كثيرة، دون إكراه، تطالب بالوصاية والانتداب، وقد وقع عليها كبار الملاكين والتجار وكبار شيوخ العشائر وممثلي الأقليات غير المسلمة[١] كما ونظمت بالإكراه والضغط مضابط أخرى مشابهة. في حين أسقطت المضابط التي لم تتفق مطالبها مع ما تريده إدارة الاحتلال[٢]. لكن سير عملية الاستفتاء في ثلاث من المدن الشيعية المقدسة(النجف، كربلاء، الكاظمية) وفي بغداد لم يكن سهلًا، كما أن النتائج لم تكن مرضية للإدارة الانكليزية[٣].

ففي هذه المدن، والمناطق العشائرية المجاورة لها، ولا سيما مناطق العشائر المجاورة للنجف، كالشامية وأبي صخير، تمكنت زعاماتها الدينية والاجتماعية- السياسية، الأكثر تمثيلًا للسكان، من إبداء رأيها بأسئلة الاستفتاء، وتقديم مطالب سياسية تدعو للاستقلال وتنصيب أمير عربي مسلم دون أن يتمكن الحكام السياسيون، تجاهل آراء هذه الزعامات، أو التكتم على المذكرات التي تقدموا بها إليهم، وهذا ما شكل أساس المصاعب التي واجهت الإدارة الإنكليزية خلال عملية الاستفتاء. أمّا السبب الأساسي في ذلك فيعود إلى قوة التمثيل الشعبي التي تتمتع بها هذه الزعامات من جهة، ونمو الحركة السياسية الإسلامية في تلك المدن، بشكل يميزها عما هو عليه الوضع في المدن الأخرى من جهة ثانية.

فمدينة النجف، وعلى الرغم من الضربة الشديدة التي تلقتها بفشل الثورة فيها ربيع

---

(١) الدراجي، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، بغداد ١٩٧٨م، ص ٧٣.
- انظر أيضًا: إيرلند، فيليب: مرجع سابق، ص ١٢٥.
(٢) إيرلند فيليب: المرجع السابق، ص ١٢٨ -١٢٩.
(٣) المرجع نفسه، ص١٢٥.
- انظر أيضًا: الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى. ص ٤٨.

العام ١٩١٨م، فإنها استطاعت في غضون الشهور التي سبقت الاستفتاء من استئناف تحركها السياسي – الإسلامي المعادي للإنكليز. فانطلاقًا من الاعتقاد الذي عبّر عنه شيخ الشريعة الأصفهاني أحد كبار المجتهدين في النجف[١]، من أن السبب الرئيسي لفشل ثورة النجف هو عدم نضج الظروف تمامًا آنذاك؛ لثورة عامة ضد الإنكليز، بوشر في الإعداد لتوفير بعض مستلزمات تلك الظروف، فبادر شيخ الشريعة نفسه، والشيخ عبد الكريم الجزائري، أحد علماء النجف البارزين وبتأييد من الإمام الشيرازي ونجله الشيخ محمّد رضا إلى الاتصال بزعماء العشائر لهذه الغاية[٢]. وفي تلك الفترة أيضًا، تأسس في ٣ تموز ١٩١٨م حزبًا سريًّا سمي«حزب النجف السرّي» وذلك بمبادرة من الشيخ الجزائري والشيخ محمّد رضا الشبيبي[٣] وضم في صفوفه عددًا آخر من رجال الدين والمثقفين الإسلاميين وزعماء العشائر، أمّا الهدف الأساسي للحزب فقد تحدّد بتحقيق الاستقلال للعراق[٤]. كما وأسس شيخ الشريعة في أواخر ١٩١٨م جمعية إسلامية-

(١) شيخ الشريعة الأصفهاني: اسمه الأوّل فتح الله، وكان من كبار المجتهدين آنذاك، وهو من تلاميذ الملّا كاظم الخراساني، اشترك في حركة الجهاد وقاتل في جبهة القرنة سنة ١٩١٥م. يلي في الأهميّة الإمام محمّد تقي الشيرازي وقد خلفه في منصب المرجعية العليا في صيف ١٩٢٠م وفي قيادة ثورة العشرين، توفي في كانون الأوّل سنة ١٩٢٠م.

(٢) الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص٣٧١-٣٧٣.

(٣) الجبوري، عبدالجبار حسن: الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي(١٩٠٨-١٩٥٨م)، بغداد ١٩٧٧م، ص٤٧.

(٤) كان من أبرز المثقفين الإسلاميين الذين انتموا للحزب: سعد صالح، محمّد علي كمال الدين. وقد ضم الحزب غالبية رؤساء عشائر الفرات الأوسط وأبرزهم: عبد الواحد سكر، علوان الياسري، كاطع العوادي. وقد كلف الحزب معتمدين له في كل من بغداد، كربلاء، الحلّة، الرميثة، الدغارة، عفك، الهاشمية.

- انظر: الجبوري، عبد الجبار: المرجع السابق، ص ٤٧ ـ ٤٨.

سياسية في النجف، سميت«الهيئة العلمية» [١].

وفي كربلاء، التي كانت الحركة المعادية للإنكليز فيها، تعاني من الشلل[٢] أخذت تشهد بعد قدوم الإمام الشيرازي واستقراره فيها، نشاطًا سياسيًا – إسلاميًا مهمًا، كانت أبرز مظاهره، قيام التنسيق في العمل بين علماء كربلاء والنجف، والاتصال بالعشائر، والاهتمام بالعمل التنظيمي السري، والإعداد لمقاومة الاحتلال. وقد كان الإنجاز الأوّل في هذا الاتجاه، هو تأسيس جمعية سرية في أوائل تشرين الثاني ١٩١٨م باسم«الجمعية الوطنية الإسلامية» حددت هدفها الأساسي بالعمل ضد الإنكليز[٣]. وكان يشرف على الجمعية ويوجهها الإمام الشيرازي لكن رئاستها المباشرة أوكلت لنجله الشيخ محمّد رضا. وقد ترأس الشيرازي نفسه جمعية سرية أخرى، اتخذت الاسم ذاته، وضمت عددًا آخر من العلماء والمثقفين الإسلاميين[٤]. وكان أحد الأعمال المهمة للجمعية فضلًا عن قيامها بالدعاية والتحريض ضد الإنكليز، هو اهتمامها بالتوفيق بين رؤساء عشائر الفرات الأوسط وإزالة الخلافات بينهم، حيث ساهم ذلك في توسيع

(١) المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٢) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٨٤.

(٣) الطعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء، بيروت ١٩٨٣م، ص٤٠٩.
انظر أيضًا: الجبوري عبد الجبار: مرجع سابق، ص٥٣.

(٤) ومن أعضاء الجمعية الأولى: هبة الشهرستاني، عبد الوهاب الطعمة، عبد الكريم العواد، السيّد القزويني، عمر العلوان، عثمان العلوان، طليفح الحسون، مهدي القنبر، محمّد أبو الحب، الشيخ أبو المحاسن. وقد انضم إليها أيضًا عددٌ من وجهاء المدينة. أمّا الجمعية الأخرى فضمّت عدا الإمام الشيرازي: عبد الحسين المندلاوي، مهدي المولوي، الشيخ يحيى الزرندي.. وغيرهم. هذا فضلًا عن بعض أعضاء الجمعية الأولى.
– انظر: الطعمة، سلمان هادي: المرجع السابق، ص ٤٠٩.

نطاق الحركة المعادية للإنكليز[١].

أمّا مدينة الكاظمية، التي اتسم الوضع فيها بالصمت بعد احتلال بغداد[٢] بعد أن كانت إحدى المراكز المنشطة لحركة الجهاد عام ١٩١٤م فقد كان الرأي العام فيها قبل الاستفتاء(أواخر عام ١٩١٨م) شديد الكره للإنكليز وبرزت كمدينة متمسكة بالجامعة الإسلامية(**Pan- Islamic**)[٣] لكنها لم تشهد قيام منظمات سرية إسلامية – سياسية على غرار النجف وكربلاء.

كانت النجف أولى المدن العراقية التي اختار وكيل الحاكم العام أن يبدأ فيها الاستفتاء[٤] ولإدراكه لأهميتها الاستراتيجية سافر شخصيًا إليها في ١١كانون الأوّل ١٩١٨م حيث التقى عددًا من زعمائها الدينيين ووجهائها[٥]، وبعد أن التقى المرجع الأعلى السيّد كاظم اليزدي اجتمع في اليوم الثاني بمقر الحاكمية العسكرية بمن استدعاهم من العلماء، والتجار، والوجهاء، وغالبية زعماء عشائر المناطق المجاورة، وقد حضر الاجتماع أيضًا السيّد هادي الرفيعي وهو رئيس نقابة الأشراف السنيّة في النجف[٦]. وبعد أن تحدث «ولسن» طالبه الحاضرون بالاستقلال التام للعراق، باستثناء السيّد الرفيعي الذي طالب بدوام الحكم الإنكليزي دون قيد أو شرط، ثم قال«لا نريد

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٠٩.

(٢) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بيروت ١٩٦٨م.

(3) Bell L F op cit. vol 2 P. 393

(٤) الحسني، عبد الرزاق: المرجع السابق ص٥٦.

(٥) إيرلند، فيليب: مرجع سابق، ص ١٢٥.
انظر أيضًا: الحسني، عبد الرزاق: المرجع السابق، ص٥٦، ٥٨.

(٦) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص٥٦، ٥٨.

غير الإنكليز»[1]. وبتأجيل الاجتماع وانتقال الوفد إلى المرجع الأعلى السيّد اليزدي، لاطلاعه بالأمر قال لهم: إن القضية مهمة، ويجب أن تعقدوا اجتماعًا عامًا يحضره الجميع، من الطبقات جميعها، وأن لكل فرد الحق في إبداء الرأي سواء أكان تاجرًا أم بقالًا، زعيما أم حمّالا[2]. وبعد مشاورات استمرت أيام عدة عادوا لطرح الموضوع على السيّد اليزدي، فتراجع عن موقفه السابق وقال لهم: إنه كرجل دين لا يعرف غير الحلال والحرام، ولا دخل له بالسياسة مطلقًا فاختاروا ما هو أصلح للمسلمين[3]. ثم عقدوا، بعد ذلك، اجتماعات عدة وتوصلوا إلى الاتفاق على مضبطة جاء فيها: «أن يكون للعراق الممتدة حدوده من شمال الموصل إلى خليج فارس حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال الملك حسين على أن يكون مقيدًا بمجلس تشريعي». أمّا في كربلاء، فقد وضع أشراف ووجهاء المدينة وأعيانها مضبطة جاء فيها: «... وبعد مداولة الآراء وملاحظة الأصول الإسلامية وطبقًا لها، قرّ رأينا على أن نستظل بظل راية عربية إسلامية فانتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف ليكون أميرًا علينا مقيدًا بمجلس منتخب» في حين اتفق علماء وأعيان وأشراف مدينة الكاظمية على نص مضبطة جاء فيها: «... إننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة فإننا نطلب أن يكون للعراق الممتدة أراضيه من شمال الموصل إلى خليج فارس حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال جلالة الملك حسين على أن يكون مقيدًا بمجلس تشريعي وطني»[4].

---

(١) البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج٢ ص٨٣
-راجع أيضًا الحسني: المرجع السابق، ص٥٧.

(٢) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، -بغداد ١٩٦٩-١٩٧٢م ج٥، ص٧٢.

(٣) الحسني، عبد الرزاق مرجع سابق، ص٥٨.

(٤) الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب. ج١، ص٧٢-٧٣.

أمّا في بغداد، فقد اتفق عدد من وجهاء وأعيان بغداد المسلمين على تقديم مضبطة امتنع وجهاء اليهود والمسيحيين من التوقيع عليها وجاء فيها: «إننا ممثلو الإسلام من السنّة والشيعة من سكان بغداد وضواحيها، بما أننا أمة عربية وإسلامية، فقد اخترنا أن تكون لبلاد العراق الممتدة من شمال الموصل إلى خليج العجم دولة واحدة عربية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال سيدنا الشريف حسين مقيدًا بمجلس تشريعي وطني»[1].

إن ما يمكن ملاحظته هنا، هو أن مضبطة بغداد طالبت بدولة عربية واحدة، في حين طالبت مضابط النجف وكربلاء والكاظمية بحكومة عربية إسلامية. أمّا فيما يتعلق بحدود العراق وترؤس أحد أنجال الشريف حسين للدولة الجديدة فكانت المطالبة بها متوافقة في المضابط كافة.

على أن الأمر المثير هنا، هو أن إدارة الاحتلال، وعلى الرغم من تنظيمها مضابط مفردة في معظم أنحاء العراق مؤيدة لها، فإنها لجأت في هذه المدن، إلى تنظيم مضابط موازية لتلك المضابط التي اضطرت للاعتراف بها، وذلك من قبل شخصيات سبق لها أن وقعت على المضابط الأولى، وكذلك من شخصيات أخرى ثانوية، وذات تمثيل اجتماعي ضيق. وهكذا تقدّم السيّد هادي الرفيعي وعشرين تاجرًا من النجف، بمضبطة يطلبون فيها«الحكم البريطاني المباشر»[2]، كما وتقدّم عدد آخر من الأشخاص المغمورين، بمضبطة تطالب بأن يكون العراق تحت الوصاية الإنكليزية مدة من الزمن[3]. أمّا في

(١) المرجع نفسه، من٧٣ ـ ٧٤.

(2) Atiyyah Ghassan Iraq. 1908-1921، A political Study، Beirut، 1973 P 273

(٣) الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، ص٤٨.

الكاظمية، فقد سحب رئيس البلدية جعفر عطيفة وأحد رؤساء عشيرة بني تميم وعبدالحسين الصراف توقيعاتهم من المضبطة الأولى، ونظموا أخرى تطالب باستمرار الحكم الإنكليزي، وقد وقع عليها أيضًا بعض الرعايا الإنكليز من الهنود[1]. وفي بغداد نظم سبعة من أشرافها مضبطة مخالفة للمضبطة الأولى، وقد وقعها كل من، عبد الرحمن، جميل زاده، فخري جميل، صالح الملي، جميل صدقي الزهاوي، عبد الكريم الجلبي، موسى الباججي، وعبد المجيد الشاوي[2].

هذه المضابط الموازية المؤيدة لاستمرار الاحتلال إضافة للمضابط الأخرى المؤيدة التي نظمها الحكام السياسيون في مناطق العراق المختلفة كانت تعني أن إدارة الاحتلال ستعتمدها كمسوغات«شرعية» لتنصيب حاكم إنكليزي للعراق، وتشل بها من فاعلية الاعتراضات اللاحقة للسكان.

لقد أثار ذلك قلق العلماء والمثقفين الإسلاميين وزعماء عشائر الفرات الأوسط، ولا سيّما العشائر المجاورة للنجف وكربلاء. ومما زاد في هذا القلق، هو الموقف الذي اتخذه المرجع الأعلى السيّد كاظم اليزدي بانسحابه من دائرة الصراع، دون أن يبدي رأيًا محددًا بالاستفتاء يفترضه موقعه الديني- السياسي[3]، ويبدو أن هذا الموقف لليزدي قد مكن

---

(١) المرجع نفسه، ص٥١.

(2) Atiyyah G op cit. P 389

(٣) يذكر«الأسدي»، وهو من المعاصرين للأحداث، أن الصيغة التي كانت متداولة لدى الرأي العام هي المطالبة بالاستقلال التام الناجز أو الثورة ودون ذكر لتولي أحد أنجال الشريف حسين حكم العراق، وأن المضبطة التي وافق عليها بعض العلماء وزعماء العشائر، إنما تمت بإشارة من السيّد اليزدي، كحل وسط.

- انظر: الأسدي، حسن: مرجع سابق، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧.

إدارة الاحتلال من توظيفه لصالحها[1].

لذلك، بات من الطبيعي أن تتجه أنظار الرأي العام وقياداته الدينية والاجتماعية، صوب الشيخ محمّد تقي الشيرازي، لمعرفة رأيه وطلب توجيهاته حول ما يجري، لذلك بادر عدد من العلماء وزعماء العشائر إلى استفتائه في جواز أو عدم جواز انتخاب غير المسلم لتوليه الحكم في العراق[2] فأجاب بالفتوى الآتية: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين».

٢٠ ربيع الأوّل ١٣٣٧هـ

(الموافق٢٣/ ١/ ١٩١٩م) محمّد تقي الحائري الشيرازي»[3]

---

(١) جاء في أحد التقارير الإدارية لمنطقة الشامية لسنة ١٩١٩م، أن الإدارة الإنكليزية في النجف، وبمساعدة اليزدي توصلت إلى نتائج ناجحة في الاستفتاء. والواقع أن النتائج لم تكن كذلك – كما سنرى – على الرغم من تمكن الإنكليز من إيجاد مؤيدين لهم.

– انظر: إيرلند، فيليب: مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٢) كان نص سؤال الاستفتاء كالآتي: ما يقول شيخنا وملاذنا حضرة حجة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين الشيخ مرزه محمّد تقي الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه في تكليفنا معاشر المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخمة البريطانية العظمى في انتخاب أمير نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه، فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للإمارة والسلطنة علينا أم يجب علينا اختيار المسلم؟ بيّنوا تؤجروا.

– انظر: الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج١ ص٧٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٤.

لقب الشيخ الشيرازي بـ« الحائري» بعد انتقاله من سامراء إلى كربلاء نهاية ١٩١٧م، و« الحائر » هي الأراضي المنخفضة التي تضم موضع قبر الحسين عليه السلام، وتتجه إلى رواق منطقة القبر، وقد حار الماء حولها على عهد المتوكل العباسي عام ٢٣٦ هـ فسميت كذلك.

– انظر: الطعمة، سلمان هادي: مرجع سابق، ص٢٠.

لقد شكّلت هذه الفتوى، أحد الأحداث المهمة في تطور الأحداث في العراق حيث ترتب عليها هامشان: الأولى، خلق عوامل جديدة تعرقل تنفيذ الاستفتاء بفرض مندوب سامي، أو حاكم إنكليزي للعراق، فضلًا عن توجيهها ضربة قوية لأنصار الإدارة الإنكليزية [٤]. أمّا النتيجة الثانية فهي، بروز دور الشيخ الشيرازي، كزعامة دينية سياسية توازي وتنافس زعامة المرجع الأعلى السيّد اليزدي، وقد برزت بعض مظاهر هذا التحول في عدد من الوقائع التي أعقبت صدور الفتوى وتجلّت في تأييد علماء كربلاء لهذه الفتوى والاقتداء بالشيرازي في إصدار فتاوى مماثلة[٥]، وفي إصدار علماء الكاظمية، بتأثير فتوى الشيرازي، فتاوى تحرّم على المسلمين التصويت لغير تشكيل حكومة إسلامية في العراق[٦] واعتبارهم كل من يصوت للاحتلال الإنكليزي مارقًا عن الدين، ويعرض نفسه للطرد من الجوامع[٧]. ومما زاد في أهميّة فتوى الشيرازي وتأثيرها هو انتشارها بسرعة في معظم مدن ومناطق العراق، ولا سيّما بين عشائر الفرات الأوسط والأسفل[٨].

---

(٤) المرجع نفسه، ص٧٤.

ويشير المؤلف في الصفحة نفسها إلى مذكرة كانت قد رفعتها«المس بيل» إلى حكومتها في شباط ١٩١٩م أبدت فيها امتعاضها مما يجري في كربلاء بعد إصدار الفتوى، واتهمت جواسيس ودعاة عثمانيين بالوقوف وراء ذلك فقالت: لدينا أدلة تظهر أن جواسيس ودعاة من الأستانة كانوا يعملون ضدنا في هذه المدينة كربلاء، وقد وقعوا على أرض صالحة لما يزرعون.

(٥) الطعمة، سلمان هادي: مرجع سابق، ص ٣٩٥.

(٦) بيل، مس: مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٧) إيرلند، فيليب: مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٨) الطعمة، سلمان هادي: مرجع سابق، ص ٣٩٥.

- وانظر أيضًا: الحسني: مرجع سابق، ص ٧٤.

هذا التأييد الذي حظي به الشيخ الشيرازي والاستجابة الواسعة للفتوى التي أصدرها ساهم في توسيع نفوذه ودوره، وفي ترشيحه للزعامة الدينية –السياسية المطلقة، قبل أن ينعقد له لواؤها، بوفاة المرجع الأعلى السيّد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٩م[١] بعد تولي الشيخ – الإمام الشيرازي[٢] المرجعية العليا، اعتبارًا من ذلك التاريخ بدأت حقبة جديدة مهمة في مسار وتطور حركة المعارضة – المقاومة الإسلامية للاحتلال الإنكليزي، وبالتالي وجود ومصير هذا الاحتلال. وفي هذه الحقبة يمكن تحديد فترتين متمايزتين في الدور القيادي للإمام الشيرازي: الأولى، بدأت منذ توليه المرجعية في أيار١٩١٩م، واستمرت حتى آذار١٩٢٠م، حيث بدأت الفترة الثانية التي استمرت حتى وفاته في٣ ذي الحجة ١٣٣٨هـ(١٧آب ١٩٢٠م).

لقد تميزت الفترة الأولى بقيام الشيرازي بتعزيز دور القيادة الدينية في معارضة المشاريع الإنكليزية ومقاومة الاحتلال، وحل بعض المسائل التي كانت تواجهها حركة المقاومة الإسلامية، وذلك قبل أن يتخذ موقفًا حاسمًا للبدء بمواجهة شاملة ومسلحة ضد الاحتلال.

ويبدو أن من الأسباب الرئيسة لهذا الموقف هي تطلعه لتحقيق عدد من الشروط التي تضمن قدرًا كبيرًا من النجاح لمثل تلك المواجهة في حال البدء بها، ثم انتظار تطور

---

(١) الفيّاض، عبد الله، مرجع سابق، ص ٢٣٧.
– وانظر أيضًا: الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى ص٨٣.

(٢) إن أي مجتهد مقلد، يمكن أن يطلق عليه صفة«الإمام» لكن إطلاق هذه الصفة، الأكثر شيوعًا، هي على المرجع الأعلى، أو على المجتهد ذي الزعامة السياسية والشعبية. ومما يذكر أن هذا التعبير اصطلاحي، لأنَّ «الإمام» عند الشيعة هو الإمام المهدي الغائب عجل الله فرجه. والمجتهد المقلد هو بمثابة نائبه ويسمى«نائب الإمام».

الأوضاع باتجاه ملائم، وتكون فيه الحالة الثورية للسكان أكثر نضجًا، حتى تكون استجابتهم كبيرة لأيّة دعوة للمقاومة الشاملة ضد الإنكليز ومشاريعهم.

وفي حين شكل تولي الإمام الشيرازي للمرجعية العليا، بذاته، حلًا لمسألة غياب الزعامة الدينية السياسية القوية، والقادرة على أن تكون عامل جذب وتوحيد، خاصة بين المرجعية والمجتهدين الآخرين[1] فقد ساهم الشيرازي نفسه في حل مسألة مهمة أخرى كانت تواجه حركة المقاومة الإسلامية، وهي إنهاء أو الحد من الصراع والتناحر بين العشائر [2]حيث كان ذلك يعرقل من مساهمتهم الفاعلة في مقاومة الاحتلال. وإذ أولى الشيرازي اهتمامًا بهذه المسألة فقد تمكن بما له من علاقات وروابط«قوية جدًا » مع عدد كبير من رؤساء العشائر، من إضفاء صبغة سياسية واضحة على تلك العلاقات

(١) كان موقف الصمت والتردد، الذي اتخذه المرجع الأعلى السيّد اليزدي، من عملية الاستفتاء خاصة، يعرقل وحدة عمل المرجعية وكبار المجتهدين الذين أفتوا أو اتخذوا مواقف صريحة من الاستفتاء، كما فعل الشيخ الشيرازي مثلًا، لكن ذلك لم يبلغ عمل هؤلاء بمعزل عن المرجع الأعلى. وفي هذا الصدد يذكر«ويلسن» وكيل الحاكم المكي العام، أنه بالرغم من الصمت الذي كان يلتزم به السيّد اليزدي، فإن المجتهدين الذين هم دونه مرتبة، كانوا قد اتفقوا وقادة الحركة الوطنية(يبدو المقصود زعماء العشائر والزعامات السياسية في بغداد) في تحريض الأهالي والتأثير عليهم.

- انظر: Wilson A. T: op cit، vol. 2، P. 295

(٢) على الرغم من المشاركة الفاعلة للعشائر، ولا سيّما عشائر الفرات في حركة الجهاد والصلات القوية التي تربط رؤساءها بالعلماء في النجف وكربلاء والكاظمية فقد ظلت الانقسامات والتناحرات بينها قائمة باستمرار.

- انظر: الحسني، عبد الرزاق: المرجع السابق، ص١١٩.

والروابط، مكنته من بث الدعوة المطالبة بالاستقلال إلى صفوفهم[١] كما ومكنته أيضًا من إزالة الكثير من أسباب النفور والعداء بينهم[٢].

وفي هذه الفترة أيضًا عمل الشيرازي على توسيع طرح مسألة استقلال العراق والاحتلال الإنكليزي على المستويين العربي والـدولي، فأرسل مع عدد من العلماء مذكرة- رسالة إلى الشريف حسين، حملها الشيخ محمّد رضا الشبيبي[٣] مع مذكرتين أخريتين، الأولى وقعها رؤساء العشائر، والثانية مثقفو وشباب النجف[٤] وقد تضمّنت المذكرات مطالبة الشريف حسين بدعم مطالب العراقيين في الاستقلال، وذكرت بما تقوم به السلطات المحتلّة من أعمال. وقد رد الشريف حسين على رسالة الإمام الشيرازي مؤكدًا له بذل الجهد في حصول العراقيين على رغباتهم[٥]، كما وجه رسالة أخرى إلى الأمير فيصل في دمشق، طالبه فيها بدعم مطلب استقلال العراق، وكشف مظالم الاحتلال في المحافل الدولية، وخاصة عبر الصحافة العالمية[٦]. وفي الوقت نفسه أرسل نجله الشيخ محمّد رضا رسالة إلى ولي عهد أمير الحجاز الأمير علي بن الحسين تحمل المضمون ذاته[٧]. كما وأرسل الإمام الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني، رسالتين إلى الرئيس الأميركي

(١) البصير، محمد المهدي: مرجع سابق، ج ١، ص١٩٠.
(٢) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص١٣٥.
(٣) راجع نص الرسالة في الملحق رقم(٨).
(٤) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص١٢٥.
- انظر أيضًا: الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الانتداب والاحتلال ج١ ص ٧٧.
(٥) راجع نص جواب الشريف حسين إلى الإمام الشيرازي في الملحق رقم(٩).
(٦) راجع نص الرسالة في الملحق رقم(١٠).
(٧) راجع نص الرسالة في الملحق رقم(١١).

ولسن[١]، أعربا له في الأولى، عن مساندة الأمير فيصل الذي كان يفاوض في مؤتمر باريس[٢]. أمّا الرسالة الثانية، فقد عبرا له فيها عن رغبة العراقيين كأمّة مسلمة، في اختيار دولة جديدة عربية مستقلة إسلامية وملك مسلم مقيّد بمجلس وطني[٣].

وإلى جانب ذلك، وحيث اتخذت معارضة الاحتلال والإدارة الإنكليزية خلال تلك الفترة، طابعًا سلميًا اتسمت علاقة الشيرازي بهذه السلطات بالتوتر الشديد وذلك عبر المراسلات التي كانت تتم بين الشيرازي من جهة ووكيل الحاكم الملكي العام والحكّام السياسيين المحليين من جهة أخرى[٤]، وكان أبرز حدثين على هذا الصعيد رفض الشيرازي طلب وكيل الحاكم العام«ويلسن» الذي زاره في حزيران ١٩١٩م بإصدار فتوى جديدة تنقض فتوى الجهاد؛ وذلك بهدف وقف مقاومة المجاهدين في جنوب إيران للقوات البريطانية[٥] ثم تهديده بمغادرة العراق، بعد اعتقال السلطات المحتلّة لستة من رجال الدين والوجهاء في كربلاء وإبعادهم إلى الهند[٦] وهو الأمر الذي أثار

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو سياسي وأكاديمي أميركي ولد عام ١٨٥٦م، شغل منصب الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة من عام ١٩١٣ إلى ١٩٢١. كان ويلسون من الحزب الديمقراطي وترأس جامعة برينستون وكان حاكما على ولاية نيوجيرسي، وكان خلال رئاسته أحد أهم رموز الحركة التقدمية في البلاد، توفي عام ١٩٢٤. للتفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية، www. arado.org /ManagementNews /archives تاريخ الولوج ١٩/ ١٢/ ٢٠١٩.

(٢) راجع نص الرسالة في الملحق رقم(١٢).

(٣) راجع نص الرسالة في الملحق رقم(١٣).

(٤) راجع نصوص بعض هذه الرسائل في:

- الحسني، عبد الرزاق، مرجع سابق ج١، ص٧٥- ٧٦.

(٥) الوردي، علي: مرجع سابق ج٥، ص٦٥.

(٦) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق ج ١، ص٧٥.

ضجة كبيرة، اضطرت سلطات الاحتلال إلى إعادتهم إلى العراق في مطلع سنة ١٩٢٠م بعد خمسة شهور من الإبعاد[١].

أمّا الفترة الثانية من الحقبة التي برز فيها دور الإمام الشيرازي، وبدأت في آذار ١٩٢٠م، فقد اتسمت بحسم الشيرازي بضرورة القيام بثورة شاملة ضد الاحتلال، والإعداد لها بشكل يوفر شروط نجاحها، حيث استغرق ذلك أربعة شهور، وهي الفترة التي سبقت «ثورة العشرين» في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م.

(١) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ج ١، ص٧٦.
- وانظر أيضًا: كمال الدين، محمّد علي: مرجع سابق، ص١٨٧-١٨٨.

دور الحركة الإسلامية في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية للسيطرة على العراق ١٩١٨ – ١٩٢٠م[١]

-٢-

ثالثًا ـ ثورة العشرين والدور القيادي للعلماء المسلمين الشيعة:

مع مطلع ربيع ١٩٢٠م أخذت مقاومة الاحتلال تشهد تطورات مهمة في مسارها واتساع نطاقها. ففي حين كان العلماء في المدن الشيعية المقدّسة ورؤساء عشائر وزعماء الفرات الأوسط يحضرون لمواجهة شاملة ومسلحة ضد الاحتلال، كان عدد من العلماء والقادة السياسيين في بغداد، يتهيأون لتوسيع مقاومتهم السياسية السلمية للاحتلال[٢]. وفي الثلاثين من حزيران ١٩٢٠م بدأت نتيجة لتلك التطورات بشكل أساسي، سلسلة من الأعمال والهجمات العسكرية ضد قوات الاحتلال ومواقعها في الفرات الأوسط، سرعان ما تحولت إلى ثورة شاملة استمرت ما يقرب من خمسة شهور، وامتدت خلالها إلى معظم مناطق العراق. وقد اعتبر ذلك التاريخ بداية لقيام الثورة، التي أصبحت

(١) عبد الحليم الرهيمي، دور الحركة الإسلاميّة في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية للسيطرة على العراق(١٩١٨ – ١٩٢٠م)، مجلة العرفان، المجلّد الثاني والسبعون، الجزء الثامن، تشرين الأوّل ١٩٨٤م ص٦٧-٧٩.

(٢) حول هذه التطورات تذكر«المس بيل»، أنه قبل أن تبدأ«القلاقل» العلنية في بغداد، كان المسلمون الشيعة منهمكين في حبك الدسائس ضدنا.. وكانت كربلاء والنجف قبلة مزدوجة للهيجان السياسي.
- انظر: بيل، المس: مرجع سابق، ص ٥٢، ١٥٦.

تعرف بـ«ثورة العشرين» أو«الثورة العراقية الكبرى»[1]. والسؤال الذي يطرح هنا هو الآتي: ما هو الدور الذي قام به العلماء، وخاصة الإمام الشيرازي – المرجع الأعلى – في ثورة العشرين، سواء في فترة الإعداد لها، أو إبان قيامها وتطورها.. وحتى هزيمتها في تشرين الثاني ١٩٢٠م؟

(أ) دور العلماء في فترة الإعداد للثورة:

كانت الأسباب الرئيسة التي ساهمت في اتساع المقاومة وتطورها خلال ربيع وبداية صيف ١٩٢٠م هي: الانكشاف المستمر لمراوغة الإنكليز ومماطلتهم، في تنفيذ الوعود والتعهدات التي أطلقوها غداة احتلالهم بغداد سنة ١٩١٧م، وكذلك نقمة الأهالي الشديدة، ولا سيما سكان مدن وعشائر الفرات الأوسط، جراء سياسة القمع والإرهاب التي كان يمارسها الحكام السياسيون ضدهم، فضلًا عن الأضرار الناجمة عن الإجراءات الإدارية والاقتصادية التي كانت تتخذها إدارة الاحتلال. أمّا السبب المهم الآخر فهو، دور العلماء في توسيع نطاق المقاومة وتوجيهها، وفي تعبئة وتحريض الأهالي، وخلق حالة من العداء الشديد ضد الإنكليز، وهو دور أقلق إدارة الاحتلال التي عجزت عن إنهائه أو احتوائه[2].

---

(١) انظر على سبيل المثال البصير: مرجع سابق، ج١ ص ٢٠١ـ ٢٠٢.
– وأيضًا الحسني: مرجع سابق، ج ١ ص ١٨٧.
– وأيضا الفيّاض: مرجع سابق، ص ٢٦٣ – ٢٦٤.
– أما تسمية الثورة بـ«ثورة العشرين» فيعود إلى نسبتها للسنة التي قامت خلالها(١٩٢٠م). وقد سميت بـ«الثورة الكبرى» أيضًا نظرًا لشمولها معظم مناطق العراق، وتميزًا لها عن الثورات الموضعية والمحلية التي سبقتها.

(٢) عبرت «المس بيل» مثلاً، عن هذا القلق في رسائلها فقالت: «لقد باتت المشكلة عندها هي كيف نستطيع أن نتفاهم مع سكان المدن الشيعية المقدّسة، ولا سيما زعمائهم المجتهدين، الذين بالرغم

لقد قام فريق كبير من العلماء في كربلاء والنجف والكاظمية، بأدوار قيادية مختلفة، في توسيع نطاق مقاومة الاحتلال والإعداد لثورة العشرين. غير أن الدور الأساسي في ذلك كان للإمام الشيرازي، الذي كان يتمتع فضلًا عن موقعه كمرجع أعلى، بكفاءة وأهلية شخصيتين، ويحظى بتأييد الرأي العام، وباحترام سائر العلماء واعترافهم بدوره[1].

وبعد أن تمكن الشيرازي خلال فترة الشهور العشرة الأولى من توليه المرجعية العليا من توطيد زعامته الدينية السياسية، ومن حل بعض المسائل التي كانت تواجهها حركة المقاومة الإسلامية[2]، بدأت فترة جديدة من العمل على توسيع نطاق هذه المقاومة، والإعداد لمواجهة شاملة ضد الاحتلال.

كانت الخطوة الأولى في هذا المجال، إصدار الإمام الشيرازي في الأول من آذار ١٩٢٠م فتوى، يحرم فيها على المسلمين التوظيف أو العمل في إدارة الاحتلال الإنكليزي، وهي

من أن لنا علاقة مع عدد قليل منهم، فإن أغلبيتهم تعادينا عداء شديدًا»، انظر:

Bell، L. F.: op cit.، Vol. 2، P. 293.

(١) مثال ذلك، وصف السيّد محمّد علي بحر العلوم(العلاّمة).. أحد مؤسسي «جمعية النهضة الإسلامية» الذي حكم عليه الإنكليز بالإعدام – المزايا التي يتمتع بها الشيرازي، وتوقع زعامته للثورة قبل قيامها بالقول: إن المكانة الكبيرة للشيرازي ربما تودع إليه زعامة الثورة الروحية في الفرات«فهو ذو جرأة وحزم وإقدام لا تصده عن قصده إذ اندفع أية قوة».

– انظر: البازركان، علي: مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) من المسائل التي واجهتها حركة المقاومة وقادتها من العلماء إبان ولاية السيّد اليزدي للمرجعية العليا حتى ٣٠ نيسان ١٩١٩م هي مسألة الزعامة الدينية السياسية القوية التي تشكل مركز جذب واستقطاب. وقد حل تولي الشيرازي نفسه المرجعية العليا هذه المسألة. أمّا المسألة الثانية فكانت وضع حد للخلافات بين العشائر التي ساهم الشيرازي في الحد منها.

– انظر: الصفحات ١٧٩ – ١٨٠، من هذه الدراسة.

الفتوى التي أدت إلى حملة استقالات أخذت في التزايد بمرور الوقت[1]. لقد جاءت هذه الفتوى بعد حالة الركود النسبي التي سادت في الشهور التي سبقت صدورها، وشهدت توجه عدد من السكان للعمل في مؤسسات إدارة الاحتلال. غير أنها شكّلت في الوقت نفسه الخطوة الأولى لأعمال ومواقف تهدف إلى توسيع نطاق المقاومة وتحضر لمواجهة شاملة ضد الاحتلال، يبدو أن الإمام الشيرازي كان يرى أن الظروف باتت أكثر ملاءمة للمباشرة في القيام بها منذ مطلع ربيع ١٩٢٠م.

في أعقاب هذه الخطوة الفتوى وبتوجيه من الشيرازي، عقد في أواخر جمادى الأولى عام ١٣٣٨هـ(أواسط آذار ١٩٢٠م)، اجتماع سري في مدينة النجف حضره عدد كبير من العلماء ورؤساء عشائر وزعماء الفرات الأوسط تقرر فيه إطلاق حملة تعبئة واسعة النطاق، ضد الاحتلال، والدعوة إلى الاستعداد لمقاومته، ومن أجل تحقيق ذلك قرر المجتمعون، إرسال عدد من رجال الدين والخطباء للقيام بهذه المهمة في صفوف القبائل[2].

وبعد مرور أقل من شهرين على ذلك الاجتماع، عقدت في كربلاء خلال النصف الأول من شعبان ١٣٣٨هـ(حوالي الثلث الأخير من نيسان١٩٢٠م) سلسلة من الاجتماعات حضرها عدد من رؤساء عشائر وزعماء الفرات، ترأسها الشيخ محمّد رضا نجل الإمام الشيرازي، والسيّد أبو القاسم الكاشاني، أحد العلماء الذين برزوا في حركة الجهاد، وقد كانت مهمة هذه الاجتماعات هي التمهيد لاجتماع أوسع وأكثر أهميّة يعقد بعدها مباشرة[3].

---

(١) الكاتب، أحمد: مرجع سابق، ص٤٦.

(٢) الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، ط ٤ ص١٣٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٤.

وفي منتصف شعبان ١٣٣٨هـ/ ٣ آيار١٩٢٠م عقد هذا الاجتماع بصورة«سرية للغاية» في دار الإمام الشيرازي وبرئاسته، حضره عدد من العلماء البارزين في النجف وكربلاء، وعدد آخر من رؤساء العشائر والوجهاء[١] كما وحضر الاجتماع أيضًا الحاج جعفر أبو التمن، مندوبًا عن«الحركة الوطنية» [٢] في بغداد[٣]. وقد أقر المجتمعون بعد المداولة الإعداد للقيام بثورة شاملة ضد الإنكليز، ورسم خطة ثابتة للعمل من أجلها[٤]، وقد قضت الخطة البدء بمطالبة الإنكليز سلميًا بتنفيذ وعودهم بمنح الاستقلال للعراق، ومن ثم اللجوء إلى القوة وإشعال نار الثورة في حال رفضهم الاستجابة لهذه المطالب[٥]، وقد أقسم المجتمعون بحضور الإمام بالقرآن الكريم، على استعدادهم لتلبية نداء دينهم ووطنهم وطاعة أوامر الإمام[٦].

ثمّة تطور هام حدث خلال هذه الفترة، ولا سيما في فترة الإعداد لاجتماع منتصف شعبان وهو العمل على توسيع إطار الحركة المناهضة للاحتلال، بتوحيد عمل حركة

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٥.

(٢) يطلق مصطلح«الحركة الوطنية» على حركة المعارضة في بغداد التي تضم اتجاهات استقلالية وطنية أو قومية أو إسلامية، وتتمثل في حزب الاستقلال الذي تأسس في نهاية شباط١٩١٩م، وببعض شخصيات فرع«حزب العهد» الذي أعاد نشاطه أواخر١٩١٨م ثم عاد للاضمحلال، وكذلك بعدد من العلماء المسلمين السنّة والشيعة مثل الشيخين السنيّين يوسف السويدي وأحمد داود، ورجل الدين الشيعي محمّد الصدر(من الكاظمية) فضلًا عن بعض الوجهاء والشخصيات المستقلة، مثل جعفر أبوالتمن وهو أحد تجار الشيعة.

(٣) البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج ١ ص ١٤٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٣، ١٩١.

(٥) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٦) الدراجي، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص٨٥.

المقاومة الإسلامية في المدن الشيعية المقدّسة والفرات الأوسط، والحركة الوطنية في بغداد وتنسيق جهودهما، ومن ثمّ تحقيق وحدة عمل المسلمين الشيعة والسنّة ضد الاحتلال[1]، وقد كان للإمام الشيرازي الدور الأساسي في تحقيق ذلك.

وسواء كان السبب الذي يكمن وراء موقف الشيرازي لتحقيق ذلك، هو موقف مبدئي ينطلق من ضرورة وحدة المسلمين السنة والشيعة، أو من موقف عملي يفرض توحيد جهود كل القوى التي تقاوم الاحتلال، أو بسبب استخلاصه لتجربة ثورة النجف، التي كان أحد الأسباب الرئيسة لفشلها، هو موضعيتها، فقد أولى بشكل مبكر اهتمامه الكبير بالحركة الوطنية في بغداد وكان يبدي كذلك تأييده القوي لإقامة الصلات الودية المتبادلة بين الشيعة والسنّة حيث كان يقابل ذلك باحترام الكثير من العلماء والمفكرين السنّة لشخصه ومنزلته[2].

لقد برزت بعض مظاهر التقارب ووحدة العمل الإسلامي السني ـ الشيعي إثر وفاة المرجع الأعلى السيّد كاظم اليزدي في ٣٠نيسان ١٩١٩م[3]، غير أنه سرعان ما تعثر دون

---

(١) من المهم أن نشير هنا إلى أن المقصود بوحدة عمل المسلمين السنّة والشيعة هو تنسيق وتوحيد عمل الجماعتين عبر الربط الجغرافي بين منطقة الفرات ومدنها وبغداد، حيث لم يكن التباين المذهبي سببًا لعمل كل منهما على انفراد كذلك فإن كلًا من المسلمين السنّة والشيعة لم يقدموا أنفسهم على أساس مذهبي، هذا فضلًا عن أن الحركة الوطنية في بغداد، كانت مختلطة من السنة والشيعة بشكل أساسي، غير أن هذا الربط وتطور التنسيق والعمل المشترك أفاد في إزالة بعض الحساسيات التاريخية، وقطع الطريق على الإنكليز في الاستفادة من لعب ورقة التباين المذهبي، على الرغم من محاولتهم القيام بذلك.

(٢) البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج١، ص ١٩٠.

(٣) يذكر «البصير»، أنه عندما أكبر الشيعة وفاة مرجعهم، شاطرهم السنّة في أحزانهم، فأقاموا حفلات التأبين له تعبيرًا عن ذلك، وكان ذلك مناسبة لبدء التقارب السني ـ الشيعي.

أن يحقق نتائج مهمة[1] لكنه عاد ليتخذ في ربيع ١٩٢٠م مضامين وفاعلية أكثر شمولًا.

وشكّلت الرسالتان الجوابيتان[2] اللتان بعث بهما باسم الحركة الوطنية في بغداد، كلًا من الشيخ أحمد الداود أحد علماء السنّة في بغداد، وجعفر أبو التمن أحد رجال الأعمال الشيعة إلى الإمام الشيرازي، وأجابته عليها فاتحة حقبة من التعاون والتنسيق وتوسيع نطاق حركة المقاومة للاحتلال وكذلك فاتحة حقبة جديدة في تطور العلاقات الشيعية – السنيّة. وإذ أثنى الشيرازي على رسالة الشيخ أحمد وأعرب له عن تقديره في أن يكون على رأس قادة المسلمين[3]، أشاد في جوابه لأبي التمن باتحاد كلمة البغداديين واندفاع علمائهم وأعيانهم في المطالبة بحقوق الأمة[4].

لقد أعقب هذه الرسائل تطور مهم في العلاقة بين العلماء وزعماء الفرات الأوسط وعلماء بغداد والحركة الوطنية، تمثل في مواصلة تبادل الرسائل وزيارات المندوبين بين الجهتين حيث تمخض ذلك عن اتخاذ علماء بغداد وقادة الحركة الوطنية قرارًا في اجتماع عقدوه في ٣ شعبان ١٣٣٨هـ/ ٢٢ نيسان١٩٢٠م يقضي بتكليف جعفر أبو التمن

– انظر: المرجع نفسه، ص ١٨٩.

(١) يبدو أن سبب هذا التعثر هو عدم متابعة الجهود من أجل ذلك من الجانبين، فضلاً عن الأوضاع العامة، حيث لم تتسع بعد حركة المقاومة للاحتلال لتشكل عاملًا محفزًا للتقارب.

(٢) يذكر «كمال الدين»، أن حرص الإمام الشيرازي على توحيد الصفوف وجمع الكلمة وخشية من أن يؤدي خداع الإنكليز وإغراؤهم إلى تفتيت القوى وإيجاد الوهن بالرجال البارزين، بعث بكثير من الرسائل إلى مختلف الشخصيات الذين لديهم من القوى الفكرية والحربية مما ينجح الثورة.
– انظر: كمال الدين، محمّد علي: ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، ص ١٨٨ – ١٨٩.

(٣) انظر: الرسالة في الملحق رقم(١٤).

(٤) انظر: الرسالة في الملحق رقم(١٥).

ليكون نائبًا عنهم لدى الإمام الشيرازي وسائر علماء الإمامية[١]. وقد سافر أبو التمن إلى النجف فاجتمع إلى عدد من علمائها، ثم واصل سفره إلى كربلاء فالتقى الإمام الشيرازي، وحضر اجتماع منتصف شعبان الذي تقرر فيه الإعداد للثورة ضد الإنكليز[٢].

وهكذا بدأت حقبة من التنسيق في عدد من الأعمال والمواقف المشتركة بين كربلاء والنجف والفرات الأوسط من جهة، وبغداد من جهة ثانية، حيث ستترتب على ذلك نتائج غير قليلة الأهميّة، سواء على صعيد توسيع إطار ونطاق حركة المقاومة للاحتلال، أو على صعيد التقارب ووحدة العمل الإسلامي الشيعي ـ السني.

ففي مدينة بغداد، وعلى ضوء اجتماع النصف من شعبان في كربلاء التي حمل مقرراته إلى زعمائها أبو التمن، عقد في ٩آيار ١٩٢٠م / ٢٠شعبان ١٣٣٨هـ اجتماعٌ ضم قادة الحركة الوطنية، وعددًا من علماء بغداد تقرر فيه المباشرة في الدعوة لإقامة حكومة وطنية. في حين قرر حزب حرس الاستقلال، البدء بإقامة حفلات المولد النبوي ﷺ وذكرى مقتل الإمام الحسين عليه السلام (مجالس تعزية) في جوامع بغداد الكبيرة التي كانت تتحول بعد ذلك إلى مظاهرات سياسية[٣]. أمّا الدعوة لها فكانت تتم عبر بطاقات خاصة توجه للأهالي[٤]، وقد بوشر بإقامة هذه الحفلات لأوّل مرة، في آخر ليلة من شهر شعبان

---

(١) البصير، محمّد مهدي: مرجع سابق، ج١ ص ١٤٣.

(٢) كمال الدين، محمّد علي: مرجع سابق، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٣) وانظر أيضًا: الدارجي، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص٨٤ – ٨٥.
وأيضًا: البصير، محمّد المهدي، مرجع سابق، ج ١ ص ١٤٣-١٩١.
البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج١ ص ١٤٤.

(٤) كان نص بطاقات الدعوة كالآتي: «إن أهالي محلّة.. يتقدمون إلى حضرتكم بالدعوة للحضور إلى الحفلة التي يقيمونها كل ليلة.. في جامع.. للتبرك بتلاوة منقبة المولد النبوي الكريم ﷺ مشفوعة

١٣٣٨هـ/ ١٩آيار ١٩٢٠م[١]. وتأكيدًا للوحدة الإسلامية الشيعية – السنيّة، كانت جموع الأهالي تخرج إثر كل حفلة، يتقدّمها السيّد محمد الصدر أحد علماء الشيعة في الكاظمية، والشيخ أحمد الداود، أحد علماء السنّة في بغداد، ليرمزا إلى وحدة الطائفتين[٢]. وفي إحدى المظاهرات انتخب الأهالي لجنة مندوبين تتألف من خمسة عشر شخصًا لتمثيلهم أمام إدارة الاحتلال، وقد ضمّت اللجنة زعامات دينية وسياسية بارزة من السنّة والشيعة[٣]. وعبر لجنة المندوبين المشتركة واصلت الحركة الوطنية في بغداد والكاظمية معارضتها السلمية للاحتلال، بإقامة المظاهرات وتوزيع المناشير ومطالبة سلطات الاحتلال ومفاوضاتها حول استقلال العراق، حتى شنّت عليها هذه السلطات، بدءًا من ١٢ آب ١٩٢٠م حملة قمعية شتت شملها كما وألغت حفلات«المواليد » والمظاهرات ولاحقت أعضاء لجنة المندوبين وقادة المعارضة الآخرين[٤] الذين لجأ عدد منهم إلى مناطق الثورة التي كانت قد اندلعت في الفرات الأوسط منذ نهاية حزيران[٥].

أمّا حركة المقاومة الإسلامية في المدن الشيعية ومنطقة الفرات الأوسط، فقد اتخذت بعد اجتماع النصف من شعبان، منحى تصعيديًا اتسم بالمعارضة السلمية تارة وبالتصادم

بذكرى سيدنا الحسين عليه السلام» وكان اسم المحلّة والجامع يتغيران باستمرار لأسباب أمنية.
انظر: الدارجي، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٨٧.

(١) المرجع نفسه، ص ٨٧.
– انظر أيضًا: الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٤١.

(٢) الدارجي، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٨٧.

(٣) الحسيني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب. ج١ ص ٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٩٤– ٩٥.

(٥) البصير، محمّد مهدي: مرجع سابق، ج١،ص ١٨٤ – ١٨٥.
– وانظر أيضًا: الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، ص ١٠٤–١٠٥.

مع سلطات الاحتلال تارة أخرى، والاستعداد في الوقت نفسه، للمواجهة الشاملة.

ففي أعقاب هذا الاجتماع، وبعد اتساع نطاق المعارضة في بغداد وخاصة إثر البدء بإقامة حفلات المولد النبوي، وبعد انفجار حالة من الغليان في بغداد إثر قتل سلطات الاحتلال لأحد المتظاهرين، وجّه الإمام الشيرازي في العاشر من رمضان١٣٣٨هـ/ ٢٩آيار ١٩٢٠م نداءً «إلى العراقيين كافة»[١] دعاهم فيه إلى التضامن مع إخوانهم في بغداد، والاقتداء بعملهم في المطالبة بحقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق بحكومة إسلامية؛ وذلك بإرسال الوفود من المدن والمناطق كافة إلى العاصمة بغداد[٢] وقد طبع هذا النداء بآلاف النسخ ووزع في أنحاء العراق[٣].

هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى، فقد وزع العلماء وزعماء الفرات الأوسط إثر اجتماع النصف من شعبان منشورات في أنحاء الفرات كافةتدعو للقيام بالثورة[٤].

أمّا بعد نداء الإمام الشيرازي في العاشر من رمضان، فقد بدأت مدن ومناطق الفرات بتنظيم مضابط التوكيل لتقديمها لسلطات الاحتلال[٥]، وكانت كربلاء

---

(١) البازركان، علي: مرجع سابق، ص١١١.
ويذكر محمّد على كمال الدين، أن الشيرازي أصدر نداءه بعد أن رفضت سلطات الاحتلال الإصغاء لاحتجاجات ومطالب المتظاهرين، وبعد أن وثق بتصميم وقوة عزائم الزعماء الذين حضروا اجتماع منتصف شعبان وصدق أقوالهم.
كمال الدين، محمّد علي: مرجع سابق، ص٢١٧.
(٢) انظر: نص النداء في الملحق رقم(١٦).
(٣) الدارجي، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٩١.
(٤) محبوبة، جعفر الشيخ باقر: مرجع سابق، ج ١ ص ٢٦٣.
(٥) الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب. ج١ ص٩٨.

والنجف، وكذلك الحلّة، من أهم المدن التي تحوّلت فيها عملية تنظيم المضابط، إلى مقدّمات مباشرة لثورة العشرين.

ففي مدينة كربلاء، نظمت مضبطة توكيل حملت خمسة وستين توقيعًا بينهم عدد من العلماء البارزين، وقد وقعها أيضًا الإمام الشيرازي نفسه[١] وفي النجف، نظمت مضبطة توكيل أخرى وقع عليها ثمانية وسبعون من العلماء ورؤساء العشائر والوجهاء، وكان من بين الموقعين شيخ الشريعة والسيّد أبو الحسن الأصفهاني[٢]. وقد انتخبت لجنة سداسية لتنوب عن النجف وجوارها في تمثيل الأهالي أمام سلطات الاحتلال[٣].

عدا ذلك، فقد اتخذت المواجهة مع سلطات الاحتلال في كل من كربلاء والحلّة، وخاصة كربلاء طابعًا تصادميًا، أسفر عن تطورات خطيرة سرّعت في قيام الثورة. فحيث نظمت في مدينة الحلّة مظاهرات واجتماعات تليت خلالها رسائل الإمام الشيرازي ونداؤه الصادر في العاشر من رمضان، فأدى ذلك إلى إقدام سلطات الاحتلال على اعتقال وإبعاد ستة من الزعماء المحليين إلى جزيرة هنجام في الخليج[٤] فقد اتخذت في كربلاء بعدًا أكثر حدة، فبتوجيه من والده قام الشيخ محمّد رضا بإرسال رسائل باسمه، وأخرى مختومة بختم والده، إلى مناطق الفرات، يدعو فيها المسلمين لأداء فريضة الدفاع عن حوزة الدين والحركة الإسلامية[٥] في حين قام من ناحية أخرى، بتنظيم مظاهرات حاشدة ضد الاحتلال، كان أهمها تلك التي انطلقت في ٤ شوال ١٣٣٨هـ / ٢١ حزيران ١٩٢٠م في

(١) الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى. ص ١٣٨.
(٢) انظر: صورة المضبطة في الملحق رقم(١٧).
(٣) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص١٤٤.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٥٦.
(٥) انظر: نص نموذج لإحدى الرسائل في الملحق رقم(١٨).

صحني الإمامين(الحسين والعباس عليهما السلام) فأدت إلى اعتقاله مع أحد عشر رجل دين وشخصية سياسية آخرين وإبعادهم خارج العراق[1] بعد أن كانت سلطات الاحتلال قد طوّقت مدينة كربلاء بقوة عسكرية من جنودها، وهذا ما أثار ردود فعل مستنكرة قوية، ولا سيما في مناطق الفرات وكربلاء والنجف.

غير أن ردّ الفعل الشديد والحاسم صدر عن الإمام الشيرازي، فبعد أن رفضت سلطات الاحتلال الإجابة عن المطالب التي قدّمت في مضبطة كربلاء، وتطويقها المدينة عسكريًا، وبعد حملة الاعتقالات والإبعاد التي شنّتها في الحلّة وكربلاء، وشملت اعتقال وإبعاد نجل الشيرازي، شرع الإمام الشيرازي بتصعيد المواجهة فاستدعى لمقابلته الحاكم السياسي للمنطقة(الحلّة). غير أن رفض الحاكم السياسي ذلك دفع الشيرازي إلى توجيه رسالة إليه حذره فيها من مغبة التوسل بالقوة إزاء مطالب البلاد، وهدده من عدم قدومه إليه هذه المرة، بأن تصبح وصيته للأمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها، ويترك الأمة وشأنها[2] وفي الوقت نفسه، وجه إلى علماء النجف ورؤساء العشائر رسائل يطلعهم فيها على الحالة العامة، ولا سيما في كربلاء، ويطلب إليهم الاتصال ببقية العلماء ورؤساء العشائر للعمل سوية على اتخاذ خطة لإيقاف هذه الأعمال والأساليب[3]. واستجابة لهذه التوجيهات أرسل علماء النجف وزعماء العشائر بدورهم رسائل مرفقة برسالة الشيرازي إلى بقية العلماء والرؤساء، وقاموا بتوجيه رسالة احتجاج إلى حاكم النجف والشامية يحذروه فيها من نتائج الخواطر الهائجة بسبب استمرار اعتقال نجل

(١) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٥٢.
(٢) انظر: نص الرسالة في الملحق رقم(١٩).
(٣) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٥٨.

الشيرازي[1]، وتوجيه رسالة أخرى إلى مندوبي بغداد والكاظمية يطلبون فيها تضامنهم، ويبدون لهم الاستعداد للقيام بوجه السلطة من الاستقلال وإطلاق سراح نجل الشيرازي[2] وكان علماء الكاظمية المندوبون الخمسة عشر قد بادروا للاحتجاج على ذلك لدى سلطات الاحتلال[3].

هذه التطورات التي أعقبت اجتماع النصف من شعبان، وما أسفر عنها من نتائج، أدت إلى اشتداد الصراع مع إدارة الاحتلال، وإلى خلق حالة من الاستعداد الكبير، ولا سيما لدى العشائر، للدخول معها بمواجهة شاملة.

ب- وقائع وأحداث الثورة:

في ظل التأزم الحاد الذي اتسم به الوضع العام، وفي ظل حالة الاستعداد الكبير لمواجهة سلطات الاحتلال، يبدو أن الإمام الشيرازي بات يعتقد أن الظروف أصبحت مهيأة للبدء في المواجهة الشاملة والثورة ضد الاحتلال، لذلك عندما استفتاه عدد من زعماء ورؤساء العشائر، أي في جواز استعمال السلاح في وجه السلطة المحتلة أجابهم بالفتوى الآتية:

«بسم الله الرحمن الرحيم. مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. ويجب عليهم، في ضمن مطالبتهم، رعاية السلم والأمن. ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم.

---

(١) الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب، ج ١ص١٠٤.
- وانظر أيضًا: البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج ١ص ١٩٣.
(٢) انظر: نص الرسالة في الملحق رقم(٢٠).
(٣) البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج ١ ص ١٩٣.

الأحقر: محمّد تقي الحائري الشيرازي»[1].

كان لهذه الفتوى وقع كبير في نفوس العراقيين، حيث أصبحوا، بصدورها أمام قيد وثيق تجاه حكم شرعي ملزم[2]، وأصبح جواب المرجع الأعلى(الشيرازي) لكل سؤال يوجه إليه: «اعملوا ما شئتم، حان وقت أخذ حقوقكم»[3].

هذا الحكم الشرعي للمرجع الأعلى، أصبح قاعدة العمل التي تحرك العلماء ورؤساء العشائر في إطارها، واستمدوا منها خطط المواجهة العسكرية مع قوات الاحتلال. لذلك تداعى في ضوء هذه الفتوى أبرز علماء وسادة النجف لاجتماع قرروا فيه توجيه رسائل إلى رؤساء العشائر وخاصة رؤساء الرميثة والسماوة يحثونهم فيها على الثورة، كما وجهوا رسالة عامة كفتوى لكل المسلمين ناشدوهم فيها مقاومة الإنكليز وطردهم من بلاد الإسلام[4]. وفي منطقة المشخاب، القريبة من النجف، اجتمع أيضًا في١٢ شوال ١٣٣٨هـ / ٢٩ حزيران ١٩٢٠م عدد كبير من رؤساء وسادة الفرات، قرروا فيه إعلان

---

(١) انظر: البصير، محمّد مهدي: مرجع سابق، ج١ ص ١٩٣.
- وانظر أيضًا: الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ج ١ ص ١٠٣- ١٠٤.
- وأيضًا الياسري: عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٥٧.
ويلاحظ أن هذه الفتوى، كما وردت في هذه المراجع غير مؤرخة. وأن تاريخها المفترض يعود على الأرجح إلى ما بين ٦و١٣ شوال١٣٣٨هـ / ٢٣و٣٠ حزيران١٩٢٠م أي قبل اندلاع الثورة.

(٢) محبوبة، جعفر الشيخ باقر: مرجع سابق، ج ١ ص ٢٦٣.

(٣) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ج١ ص ١٠٤.

(٤) كان أبرز العلماء الذين حضروا هذا الاجتماع هم: الشيخ عبد الكريم الجزائري، الشيخ جواد الجواهري، الشيخ حسين كاشف الغطاء، الشيخ عبد الرضا راضي، الشيخ جواد الشبيبي، ونجل شيخ الشريعة.
- انظر: الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص١٦٢-١٦٤.

الثورة وتحديد تاريخها في ١٦ شوال/ ٣ تموز، على أن تبدأ في الرميثة، وأرسلوا مندوبين عنهم لاطلاع العلماء والسادة في النجف على قرارهم[١]، غير أن عملية عسكرية مهمة شنّت ضد أحد مقرات إدارة الاحتلال قدمت موعد بداية الثورة ثلاثة أيام.

ففي الثالث عشر من شوال ١٣٣٨هـ الموافق الثلاثين من حزيران ١٩٢٠م قامت مجموعة مسلحة من عشيرة الظوالم[٢] بالهجوم على مقر الحاكم السياسي الإنكليزي في الرميثة [٣] فتمكنت من إطلاق سراح رئيسها، الشيخ شعلان أبو الجون، الذي كان قد اعتقلته سلطات الاحتلال في اليوم ذاته، بسبب اتساع نطاق الأعمال والهجمات العسكرية لعشيرته ضد قوات الاحتلال [٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص١٦٨.
ويذكر الحسني، أن من بين الحاضرين في هذا الاجتماع الشيخ رحوم الظالمي، كمندوب للإمام الشيرازي، وكذلك الشاعر المشهور الشيخ محمّد باقر الحلي.
- انظر: الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، ص ١٦٠.

(٢) عشيرة الظوالم: إحدى بطون قبائل بني احجيم التي يبلغ تعدادها نحو ٤٠ ألفًا ولديها الآف المسلحين. وتتميز هذه القبائل بالفقر والحرمان من ملكية الأراضي، وبشدة مراسها في القتال، وبارتباط أفرادها ورؤسائها بعلماء النجف وكربلاء وانصياعهم لفتاويهم وأوامرهم. ولعشيرة الظوالم ٦٠٠ مسلح.
- انظر: الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص٢٨٥- ٢٨٦.

(٣) الرميثة: إحدى نواحي قضاء السماوة التابع للواء الديوانية، وتقع على ضفتي فرع الحلّة لنهر الفرات بين الديوانية والسماوة وتبعد عن الأولى ٦٢كم وعن الثانية ٢٦كم. وتسمى«العوجة» و«الأبيض» بالتصغير، أمّا أهم العشائر التي تقطنها فهي: الظوالم، الأعاجيب، البو حسان، الخزاعل، بنو عارض، بنو ازيرج.
- انظر: الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص١٨٥.

(٤) البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج ١ ص ٢٠١.

لقد جاءت عملية الرميثة نتيجة لحملات التعبئة والتحريض، والدعوات التي كان يوجهها علماء النجف وكربلاء وزعماء عشائر الفرات الأوسط للقيام بالثورة، وأن تقدم موعدها ثلاثة أيام عن الموعد الذي حدده العلماء وزعماء عشائر الفرات، لم يقلل من أهميتها بوصفها مثلت«الشرارة الأولى» لثورة العشرين[١]، حيث تصرّفت سلطات الاحتلال إزاءها منذ البدء على هذا الأساس[٢]. فانطلاقًا من هذه العملية، بدأت العمليات العسكرية التي أخذ نطاقها يتسع بسرعة في معظم مناطق الفرات الأوسط، حيث قامت العشائر المسلحة بقطع خط سكة حديد بغداد – البصرة، ومحاصرة ضباط الارتباط والحاميات العسكرية، ومن ثم طردها من أكثر القصبات والقرى، وإحكام السيطرة على مدن الفرات الأوسط كافة [٣]. وخلال الشهور الخمسة التي استغرقتها الثورة، امتدت رقعتها ونفوذها إلى معظم مناطق العراق. فبالرغم من تمركزها في ثلاث مدن رئيسيّة هي كربلاء الحلّة والديوانية، فقد امتدت إلى الفرات الأدنى والأعلى، وإلى لوائي المنتفك وبعقوبة اللذين كانت مساهمتهما غير قليلة، كما وامتدت أيضًا إلى«دلتاوة» شمالي بغداد وإلى مندلي وشهربان وخانقين، فضلًا عن امتدادها، لفترة قصيرة إلى كركوك

(١) كان الموعد الذي حدده العلماء وزعماء عشائر الفرات لبدء الثورة هو ١٦ شوال ١٣٣٨هـ وبعد وقوع عملية الرميثة في ١٣ شوال– ٣٠ حزيران ١٩٢٠م، اعتبر هذا التاريخ بداية الثورة، المتعارف عليه.

– انظر: الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٦٨

(٢) يذكر الجنرال هالدن، القائد العام للقوات البريطانية في العراق، أن العملية لم تكن محلّية ومحصورة في الرميثة، إنما كانت تنبئ بالتمخض عن ثورة دموية كبرى كانت القبائل تتأهب لرفع لوائها، انظر: **Haldane، A. L.. op. cit.، P. 74**

(٣) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٣٧ – ١٣٨.

وأربيل[١]. وقد قام السيّد محمّد الصدر[٢] بنشاط كبير في تحريض بعض عشائر وسكان الدليم وسامراء وديالي – وغالبيتهم من المسلمين السنّة – على الثورة والمشاركة فيها، فقام الشيخ ضاري المحمود رئيس عشيرة «زوبع» في الدليم بقتل الحاكم السياسي في المنطقة، الكولونيل ليشمان، وأبدى الشيخ حبيب الخيزران، رئيس عشيرة عزة في منطقة ديالي، بإعلان ولائه للثورة، وتعهده للسيّد الصدر بحشد الآف المقاتلين من العشائر لمحاربة الإنكليز، في حين شارك أهالي بلد التابعة لسامراء، في الهجوم الذي قاده السيّد محمّد الصدر، على مقر القيادة العامة للقوات البريطانية في سامراء في أواخر آب١٩٢٠م[٣].

أمّا عدد المسلحين، من العشائر وسكان المدن، الذين شاركوا في الثورة فقد قدر، بحسب المصادر الإنكليزية، بين ١٣١ –١٣٥ ألفًا[٤] بينما قدر عدد القوات البريطانية في بداية الثورة(حزيران١٩٢٠م) بـ ٩٠ ألفًا[٥] دعمت بقوات إضافية كبيرة خلال قيام الثورة[٦].

---

(١) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص١٧٩، ١٨٣ – ١٨٤.

(٢) يذكر«النفيسي» بأن السيّد محمّد الصدر كان مبعوث المرجع الأعلى للوائي الدليم وسامراء.
– انظر: النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٣) للاطلاع على المزيد من التفاصيل، انظر:
– النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص١٤٣–١٤٩.
وأيضًا الفيّاض: عبد الله: مرجع سابق، ص٢٩٨–٣٠٢.

(٤) انظر: **Haldane, A. L. : op. cit. , p. 328**
ويقدر محمّد علي كمال الدين، وكان معاصرًا للثورة ومشاركًا فيها، أن عدد الثوار الذين شاركوا في الحرب لم يكونوا بأقل من ربع مليون رجل، لكن أكثرهم لم يكن يملك سلاحًا ناريًا.
– انظر: كمال الدين، محمّد علي: مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٥) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص١٣٦(الحاشية رقم ٢).

(٦) يذكر«كوتولوف» استنادًا إلى المصادر والصحف البريطانية الصادرة آنذاك إلى أن إدارة الاحتلال

مع مطلع خريف ١٩٢٠م بدأت القوات البريطانية شن هجومًا واسعًا على مواقع الثوار في الفرات الأوسط اعتبارًا من١٢ تشرين الثاني[١]. وخلال أكثر من شهر تمكنت من السيطرة عليها وفرض الاستسلام، وقد انتهت الثورة عمليًا[٢] بتوقيع اتفاق لوقف القتال في ٢٠تشرين الثاني ١٩٢٠م، بين زعماء قبائل بني احجيم والسلطات الإنكليزية[٣].

جلبت ما بين ١٤ – ١٧ ألف جندي تم سحبهم من القوات المتمركزة شمال غربي إيران. كما ووصلت إمدادات عسكرية في نهاية آب بلغت عشرة أفواج من المشاة من إنكلترا والهند. كما واستقدمت وحدات ميكانيكية كبيرة وقطعات جوية.

كوتولوف: «ثورة العشرين..». ص١٤٥ ، ١٦٧.

(١) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(٢) استمرت بعض العمليات العسكرية في الغراف وسوق الشيوخ حتى منتصف كانون الثاني١٩٢١م.

(٣) نشر نص البلاغ الإنكليزي حول الاتفاق في جريدة «العراق»، العدد١٤٩، في٢٦/ ١١/ ١٩٢٠م.

دور الحركة الإسلامية

في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية

للسيطرة على العراق ١٩١٨ – ١٩٢٠م[١]

-٣-

ج- دور العلماء القيادي المباشر في الثورة[٢]:

أظهرت الشهور الأربعة التي سبقت قيام الثورة، الدور القيادي الحاسم للعلماء، في الدعوة والتحضير لها. أمّا بعد قيام الثورة فقد تمثّل في الإشراف العام الديني والسياسي على الشؤون العسكرية والسياسية والإدارية للثورة، وفي قيادة وتوجيه الهيئات والمؤسسات التي أنشئت إبان الثورة بشكل مباشر، وإذ تبوأ المرجع الأعلى الإمام الشيرازي موقع ودور الزعامة الدينية والسياسية العامة للثورة، منذ قيامها وحتى وفاته في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ(١٧آب ١٩٢٠م)، ثم تولى هذه المكانة من بعده، وحتى نهاية الثورة، الإمام شيخ الشريعة الأصفهاني، فقد استند كل منهما للقيام بهذا الدور، على عدد كبير

---

(١) عبد الحليم الرهيمي، دور الحركة الإسلامية في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية للسيطرة على العراق(١٩١٨ – ١٩٢٠م)، مجلة العرفان، المجلّد الثاني والسبعون، الجزء التاسع والعاشر، تشرين الثاني، كانون الأوّل ١٩٨٤م، ص٨٠-٩٠.

(٢) هذا هو القسم الثالث والأخير من الفصل الثاني من الأطروحة القيمة التي أعدّها الأستاذ العراقي عبد الحليم الرهيمي في مادة التاريخ وذلك بإشراف الدكتور وجيه كوثراني أستاذ التاريخ في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية(الفرع الأوّل).

من العلماء، الأقل مرتبة علمية دينية، وعلى عدد آخر من رؤساء عشائر وزعماء الفرات الأوسط كمستشارين أو مساعدين أو وكلاء لهما في المناطق المختلفة، حيث كان أغلبهم، يقوم بدور القيادة المباشرة(الميدانية) للثورة. إن عرضًا مكثفًا لتلك الهيئات والمؤسسات ومهماتها ونشاطها، سيساعدنا في توضيح ذلك.

فبعد قيام الثورة أنشئ في مدينة كربلاء – التي شكّلت المركز الأساسي للثورة في عهد الشيرازي–مجلسان[1] لقيادة شؤون الثورة، سمي الأول بـ « المجلس الحربي الأعلى» وقد تألف من خمسة علماء[2]، أمّا الثاني، فأطلق عليه اسم«المجلس العلمي» وكان يضم عددًا من سادات كربلاء ورؤساء العشائر فيها، وكان الشيخ محسن أبو المحاسن ممثلًا للعلماء في المجلس. أمّا الإمام الشيرازي فكان يتولى مهمة الإشراف على كلا المجلسين[3]. وحيث قام«المجلس الحربي» بتوجيه وقيادة الأعمال والشؤون العسكرية، كان«المجلس العلمي يدير الشؤون السياسية والإدارية العامة وتنظيم شؤون الأهالي، وقد كان من أبرز أعماله تشكيل«مجلس إدارة كربلاء» وتعيين السيّد محسن أبو طبيخ متصرفًا للواء، وطليفح الحسون مديرًا عامًا للشرطة، وخليل عزمي مديرًا للتحريرات[4].

---

(١) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٢٧٨.
ويذكر«الطعمة»، أن مجلسًا ثالثًا كان قد تشكل وسمي«مجلس جمع الإعانات للمعوزين من الثوار»
– انظر: الطعمة، سلمان هادي: مرجع سابق، ص ٣٩٧.

(٢) من هؤلاء العلماء، السيّد هبة الدين الشهرستاني، السيّد أبو القاسم الكاشاني، الشيخ أحمد الخراساني، الشيخ عبد الحسين، النجل الثاني للإمام الشيرازي.
– انظر: كمال الدين، محمّد علي: مرجع سابق ١٧٨.

(٣) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص٢٧٨.

(٤) كمال الدين، محمّد علي: مرجع سابق، ص ١٧٨ – ١٧٩.

أمّا مدينة النجف التي أصبحت تدعى«عاصمة الثورة » بعد وفاة الإمام الشيرازي، وتولي الإمام شيخ الشريعة – الذي يقطن فيها، منصب المرجعية العليا – فقد أنشئ فيها بعد قيام الثورة ثلاث هيئات، سميت الأولى«المجلس البلدي» والثانية«هيئة القوة التنفيذية». وقد تألفت الهيئتان من أعيان المدينة وزعمائها المحليين، وتحددت وظيفتهما ولا سيما الأولى، في جباية الضرائب والرسوم والإشراف على الشؤون الصحية والبلدية والاقتصادية والأمنية[1]. أمّا الهيئة الثالثة، فسميت«الهيئة العلمية الدينية العليا» وقد ترأسها شيخ الشريعة وضمّت في عضويتها خمسة عشر عالمًا بارزًا من علماء النجف منهم عبد الكريم الجزائري، جواد الجزائري، السيّد محمّد على بحر العلوم[2]. وقد كان للهيئة دور قيادي محلّي قبل وفاة الشيرازي، فقد أصبحت الهيئة بمثابة مجلس استشاري تنفيذي أعلى للثورة، تعرض عليه أهم القضايا التي تتعلق بالسياسة العامة للثورة سواء داخل النجف أو خارجها[3]. أمّا«المجلس الحربى الأعلى»[4] فقد استبدل بعد وفاة الشيرازي، بهيئة جديدة سميت«القيادة العليا للثورة » ووضعت تحت إشراف الإمام شيخ الشريعة في النجف، وقد ضمّت عددًا من كبار رؤساء العشائر، وعهدت قيادتها المباشرة إلى

(١) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق ص٢٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٣) الفرعون، فريق المزهر: مرجع سابق، ج١ ص ٢٠٩ – ٢١٠.

(٤) [مركز تراث كربلاء] وأبرز مهماته هي تنظيم الخطط العسكرية وقيادة الثوار وتنظيمهم وتعيين قادة الحملات في الهجوم والدفاع ، أما أعضاؤه فأبرزهم : علوان الياسري وعبد الواحد الحاج سكر ومجبل آل فرعون وشعلان الجبر ورابح العطية . للتفاصيل ينظر: فريق المزهر آل فرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها ، ط٢، (بغداد: مطبعة النجاح ، ١٩٩٥)، ص ٢٤٨.

الشيخ محمد العبطان رئيس عشيرة الخزاعل[١].

وإضافة إلى تشكيل الهيئات المركزية في كربلاء النجف، فقد تشكلت في بقية المدن والمناطق التي جرى تحريرها من الاحتلال «مجالس محلية» لتنظيم شؤون الأهالي، وكان رؤساء العشائر الذين يتصدرون عضوية هذه المجالس، يفصلون في المنازعات طبقًا لأحكام الشريعة[٢].

ولم يقتصر دور الإمام الشيرازي، ومن بعده شيخ الشريعة، في الإشراف العام على الشؤون العسكرية للثورة، عبر الهيئات القيادية التي تشكّلت بهذا الخصوص، وإنما أيضًا عبر العلاقة التي كانت قائمة بينهما من جهة، وبين رؤساء العشائر المسؤولين عن قيادة العمليات العسكرية[٣] وعبر الرسائل – التقارير التي تردهم مباشرة من وكلائهم، أو من أشخاص آخرين في جبهات القتال[٤]. ومن خلال هذه الوسيلة، كانا يطلعان على سير المعارك ويقدمون توجيهاتهم. وكمثال على ذلك التقرير الذي بعثه السيّد

(١) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٢٧٧ – ٢٧٩.
ومما يجدر ذكره هنا، أن عددًا من الضباط العراقيين، الذين خدموا في الجيش العثماني، قاموا بتقديم المساعدة الفنية لرؤساء العشائر في قيادة العمليات العسكرية. وكان عددهم يتراوح بين ١٣ – ١٤ ضابطًا.
– انظر: الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٢) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص ٢٨٠.

(٣) على سبيل المثال، كان الشيخ عبد الواحد سكر رئيس الفتلة، والسيّد علوان الياسري، والسيّد هادي زوين – وهم من السادة الأعيان – يديرون الحرب في منطقة الهندية وكربلاء، بينما كان السيّد كاطع العوادي يقود الحرب في منطقة الحلّة. – انظر: البصير، محمد المهدي: مرجع سابق، ج١ ص٢٤٦.

(٤) انظر إلى أحد هذه التقارير – الرسائل كنموذج، في الملحق رقم(٢١).

علوان الياسري، أحد السادة البارزين، إلى الإمام الشيرازي عن الوضع في الرميثة بعد اندلاع الثورة فيها[١] وكالرسالة التي بعث بها شيخ الشريعة إلى السيّد هادي المكوطر -أحد الأعيان السادة البارزين- يوصيه فيها بالتأليف بين المسلمين، وبكيفية التصرف بالأسلحة والعتاد الذي لديه والاحتفاظ بآلات الحرب الحديثة[٢].

وبالإضافة إلى ذلك، قام عدد من العلماء بالتوجه إلى جبهات الحرب للإشراف على العمليات العسكرية والمشاركة في القتال. وكمثال على ذلك توجه كل من السيّد أبو القاسم الكاشاني، والشيخ جواد الجزائري، والسيّد هبة الدين الشهرستاني، وهم أعضاء في المجلس العلمي الذي كان قد تشكّل في كربلاء، إلى جبهة الحلّة في الفرات الأوسط، وقيادتهم المباشرة، للعمليات العسكرية ضد القوات البريطانية[٣] وكذلك توجه الشيخ محمّد نجل المجتهد حبيب الله والشيخ عبد الحسين لاستنهاض العشائر في جبهة الناصرية والقتال معها[٤].

أمّا دور العلماء في التعبئة والتوجيه، وفي طرح الأهداف والشعارات التي تعكس المضمون الإسلامي للثورة، فقد تجلّى من خلال إشرافهم المباشر على أعلام الثورة وتوجيهه. فضلًا عن دور وتأثير الخطباء والشعراء[٥] في المناطق القبلية، وفي المساجد

---

(١) الياسري، عبد الشهيد، مرجع سابق، ص٢١٧.

(٢) انظر: نص الرسالة في الملحق رقم(٢٢).

(٣) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص٢١٨.

(٤) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص٢٥٢.

(٥) من الشعراء الخطباء الذين برزوا إبان ثورة العشرين: الشيخ محمّد علي الجسام، الشيخ محسن أبوالحب، الشيخ باقر الحلي، الشيخ علي البازي، السيّد محسن أبو المحاسن، الشيخ علي الماجدي. انظر: المرجع نفسه، ص ١٣٤.

والحسينيات، التي أصبحت مراكز للتعبئة الدينية والسياسية، فقد أولى العلماء وقيادة الثورة اهتمامًا بالإعلام المكتوب، وبوشر بإصدار المنشورات وتوزيعها على الأهالي منذ بداية الثورة [١]، وأنشأت «الهيئة العلمية الدينية العليا»[٢] بعد ذلك، لجنة «إرشاد ودعاوة» للإشراف على إصدار المنشورات والبلاغات وصحافة الثورة[٣]. وقد أصبحت المنشورات التي تنقل أخبار المناطق وتحمل المقالات التعبوية والتوجيهية، تصدر يوميًا، وكان يتولى إصدارها الشيخ محمّد باقر الشبيبي[٤]. وكان التطور المهم على هذا الصعيد، صدور صحيفتين أسبوعيتين في النجف هما، صحيفة«الفرات» التي كان يشرف عليها الشيخ باقر الشبيبي[٥] وقد صدر منها خمسة أعداد[٦] وصحيفة«الاستقلال» التي كان

(١) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] وهي الهيأ المختصه بتعبئة ونوجيه الناس وتثقيفهم من خلال طرح الشعارات والأهداف التي تعكس المضمون الإسلامي لثورة العشرين، والعمل على بث الروح الحماسية من خلال الخطب التي تلقى في المساجد والحسينيات والعمل على إصدار المنشورات وتوزيعها، ومن ابرز اعضائها الشيخ محسن أبو الحب والشيخ باقر الحلي والسيد محسن أبو المحاسن والشيخ عبد علي الماجدي. ينظر: عبد الحليم الرهيمي، تأريخ الحركة الإسلامية في العراق ...، ط٢، (بيروت: الدار العلمية، :١٩٨٥)، ص٢٢٦.

(٣) الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص٢٧٦.

(٤) محبوبة، جعفر الشيخ باقر: مرجع سابق، ج ١ ص ٢٦٧.

(٥) كان الشيخ باقر الشبيبي من علماء النجف العاملين في الحقل السياسي، وقد انتقل إلى بغداد بعد فشل ثورة النجف سنة ١٩١٨م وساهم في تأسيس«حرس الاستقلال» لكنه عاد إلى النجف مع قيام ثورة العشرين.

(٦) صدر العدد الأوّل من«الفرات» في ٢١ ذي الحجة ١٣٣٨هـ ٦ آب ١٩٢٠م.
- انظر: صورة لأحد الأعداد، الملحق(٢٣).

يشرف عليها السيّد محمّد عبد الحسين[١] وقد صدر منها ثمانية أعداد[٢].

هاتان الصحيفتان، ولاسيما «الفرات» عكستا مع البيانات والمنشورات التي صدرت بإشراف لجنة «الإرشاد والدعاوة» توجهات القادة الدينية ومفهومها الإسلامي للثورة والاستقلال. فمثلًا يشير عبد الله النفيسي، إلى مضمون أحد البيانات السياسية التي صدرت في كربلاء بعد قيام الثورة، وخصص للتعقيب على قول لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني، بأن حملة الجنرال اللنبي على فلسطين كانت آخر حملة صليبية وأعظمها شأنًا، فيرد البيان بالحديث عن الحروب الصليبية القديمة وما رافقها من وحشية وفظائع.. ويخلص إلى القول إنه ينبغي للمسلمين أن يقاوموا بقوة السلاح جميع هذه المحاولات الغادرة الماكرة التي تقوم بها الدول المسيحية في كل من فلسطين وسوريا والعراق، تلك المحاولات التي تهدف إلى تقويض أركان الدين الإسلامي[٣]. وفي الرسالة المفتوحة التي وجهها الشيخ باقر الشبيبي إلى الحاكم المدني العام في العراق، عبر صحيفة «الفرات»، وذلك ردًا على رسالة هذا الأخير إلى المرجع الأعلى شيخ الشريعة[٤] عبر الشيخ

(١) كان عبد الحسين، أحد المثقفين الإسلاميين العاملين في الكاظمية. وقد انتقل إلى النجف إثر عملية القمع التي شنّتها سلطات الاحتلال ضد «الحركة الوطنية» في بغداد بدءًا من ١٢ آب ١٩٢٠م.

(٢) صدر العدد الأوّل من «الاستقلال» في ١٨ محرم ١٣٣٨هـ - الأوّل من تشرين الأوّل ١٩٢٠م. انظر: صورة لأحد الأعداد، الملحق رقم (٢٤).

(٣) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص١٣٨. وفي مقارنة أجراها النفيسي بين المنشورات التي كانت تصدر في كربلاء وبين تلك التي كان يصدرها فرع «العهد» في بغداد، فيذكر في الصفحة ذاتها، أن منشورات كربلاء كانت تشدد على ناحية الدين، بينما منشورات العهد تهدف إلى تبيان حقوق العرب في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم.

(٤) كان الحاكم المدني قد وجه رسالة إلى شيخ الشريعة نال فيها من مقامه الديني، مما أثارت رد فعل لدى الرأي العام، فضلًا عن شيخ الشريعة نفسه، والرسالة المفتوحة للشيخ الشبيبي جاءت في هذا السياق، كمناسبة للتشهير بالاحتلال وعرض بعض أفكار الثورة.

الشبيبي عن دور العلماء ومفهومهم لمضمون الثورة والاستقلال، وعن مكانتهم الدينية والسياسية، فقال مخاطبًا الحاكم المدني العام: إن هدف العراقيين من الثورة هو إقامة دولة عربية قانونها القرآن.. وإن العلماء هم زعماء النهضة وطلّاب الاستقلال، وهم رؤساء الدين وهم أئمة المسلمين[1].

هذا الدور الذي قام به العلماء في قيادة وتوجيه الثورة عسكريًا وفكريًا، كان قد شكّل الأساس لدورهم السياسي، الذي برز بشكل واضح عندما واجهت الثورة والمقاومة الشاملة للاحتلال، مسألة تحديد مصيرهما بعرض إدارة الاحتلال التفاوض مع القيادة الدينية للثورة.

ففي أواخر آب ١٩٢٠م، حيث كانت الثورة في وضع قوي، وجه نائب الحاكم المدني، إلى الإمام شيخ الشريعة – الذي تولى المرجعية العليا وقيادة الثورة حديثًا، بعد وفاة الإمام الشيرازي – رسالة اقترح فيها عليه التفاوض[2]. أدى هذا الاقتراح إلى إحداث انقسام داخل قيادة الثورة، وداخل الرأي العام المتعاطف معها، أسفر عن بروز اتجاهين: الأوّل، يرفض التفاوض، ويعتقد بأنه قد يؤدي إلى نتائج غير محمودة، والثاني، يؤيد التفاوض ويدعو إلى مصالحة سلطات الاحتلال[3]. وقد مثل الاتجاه الأوّل، أكثرية أعضاء«الهيئة العلمية» في المقدّمة المرجع الأعلى شيخ الشريعة، ويؤيدهم في موقفهم هذا قادة الثورة من رؤساء العشائر الذين كانوا المبادرين إلى المواجهة المسلحة مع الاحتلال. وعبر هذا

(١) جريدة«الفرات» النجفية، العدد ٥، في ٢ محرم ١٣٣٩هـ-١٤ أيلول ١٩٢٠م، وفي الجريدة النص الكامل للرسالة المفتوحة التي وجهها الشيخ باقر الشبيبي إلى نائب الحاكم العام.

(٢) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص١٧٣ – ١٧٤. وقد ثبت المؤلف نص رسالة نائب الحاكم العام إلى شيخ الشريعة.

(٣) البصير، محمّد المهدي: مرجع سابق، ج ١ ص ٢٦٠

الاتجاه عن موقفه بإصدار بيان أكد فيه أن«لا مفاوضة قبل الجلاء» وأنه إذا ما أعوزتهم الأسلحة الحديثة فسيستعينون بالسلاح الأوسد – المكوار[١]– لمقاتلة الغاصبين وإخراج المشركين [٢]، كما وعارض التفاوض أيضًا«المجلس الحربي الأعلى»[٣]. أمّا الاتجاه الثاني، فقد مثله، كما يذكر الحسني، ثلاثة من أعضاء«الهيئة العلمية» الخمسة عشر، وهم الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الجواهري، والشيخ عبد الرضا راضي. أمّا من خارج «الهيئة العلمية» فتمثل بفريق من زعماء القبائل[٤] وبقسم من الطبقة المثقفة[٥]. وقد حاول هؤلاء ممارسة ضغط على أنصار الاتجاه الأوّل، فتوجه عدد من المثقفين والكتّاب إلى النجف لمواصلة الدعوة إلى التفاوض وإنهاء القتال[٦]. ويبدو أن هذا الضغط لم يسفر عن نتيجة، في حين حسم الإمام شيخ الشريعة أمر الإجابة عن رسالة نائب الحاكم العام، فوجه إليه في ٢ محرم ١٣٣٩هـ -١٤ أيلول ١٩٢٠م رسالة جوابية انتقد فيها ما جاء في رسالته السابقة، واختتم رده بالقول: أمّا أمر المفاوضة فلم تتضح لي غايته، ولم أثق بحسن نهايته، وعلى كل فهو أمر دقيق يحتاج إلى جلاء فكر وتأمل[٧] هذه النتيجة التي وصل إليها اقتراح التفاوض ووقف القتال كانت تعني استمرار المعارك التي لم تنحسر أو تتوقف إلّا في أعقاب الهجوم العام الذي شنّته القوّات البريطانية بدءًا من ١٢ تشرين

---

(١) المكوار: وهو عصا غليظة ينتهي أحد طرفيها بكتلة من القار الصلد وتستخدم كسلاح فردي(احتياطي) لدى العشائر والفلاحين.

(٢) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص١٧٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧٥.

(٤) البصير، محمد المهدي: مرجع سابق، ج ١ ص ٢٦٠.

(٥) العمر، فاروق: حول السياسة البريطانية في العراق. ص٨٥.

(٦) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص١٧٦.

(٧) انظر: نص الرسالة في الملحق رقم(٢٥).

الأوّل١٩٢٠م ضد مواقع ومناطق الثورة وأسفر عن فرض الاستسلام عليها في أواخر تشرين الثاني ومن ثم اعتقال أو إبعاد عدد من العلماء في كربلاء والنجف[١].

ومهما تكن الآراء حول صحة أو عدم صحة موقف«الهيئة العلمية » والإمام شيخ الشريعة من مسألة التفاوض مع سلطات الاحتلال والوقف الطوعي للمعارك فإن هذه المسألة أكدت أيضًا، الدور السياسي القيادي الحاسم للعلماء في تحديد مسار الثورة وتقرير مصيرها، وهو الدور الذي دفع سلطات الاحتلال إلى اقتراح مفاوضة القيادة الدينية، بسبب من دورها هذا، ومن صفتها التمثيلية الفعلية، وامتلاكها زمام القرار في قيادة الثورة.

هذا الدور القيادي العسكري والفكري والسياسي للعلماء في ثورة العشرين، وكذلك تحديدهم هدف الثورة ومواجهة الاحتلال، بالاستقلال التام وإقامة حكومة إسلامية[٢] عبّر عن المضمون والمنطلقات الإسلامية التي قامت الثورة على أساسها حيث شكل العامل الديني(الإسلام) أهم وأبعد العوامل أثرًا في تحريض العراقيين، ولا سيّما عشائر وسكان مدن الفرات للقيام بالثورة ضد الإنكليز[٣].

---

(١) محبوبة، جعفر الشيخ باقر: مرجع سابق، ص٣١١.

(٢) لقد ورد شعار«الحكومة الإسلامية» كهدف للثورة في فتاوى العلماء وفي المذكرات التي قدّمت لسلطات الاحتلال، وفي عدد من البيانات، غير أنها بقيت كفكرة مبدئية ولم تعطِ شرحًا محددًا. ويبدو أنها كانت تعني سلطنة مقيّدة تستند إلى الشريعة الإسلامية وأحكامها، وربما يكون نموذجها المقصود الدولة العثمانية مشذبة من الاستبداد، أو ملكية مقيدة، كملكية إيران مقيّدة بدستور سنة ١٩٠٦م الذي كان للعلماء دور في إقراره. وكانت بصيغتها التي طرحت بها شعارًا سياسيًا إيديولوجيًا في مواجهة المشاريع لإقامة حكم إنكليزي مباشر في العراق.

(٣) الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص٢٢٢، ٢٣٥.

ولعل من أبرز مظاهر هذا العامل وأهميته، هو التفاف غالبية السكان، ولا سيما عشائر وسكان مدن الفرات حول العلماء كقيادة دينية للثورة، وانصياعهم للفتاوى والأوامر التي يصدرونها. وحيث أدت فتوى الجهاد، والتوسل بالقوة الدفاعية ضد الإنكليز لتحقيق مطلب الاستقلال، إلى اندفاع عشرات الآلاف من أفراد القبائل وسكان المدن للقتال، فإن الاستجابة لفتاوى تقديم الدعم المادي للمقاتلين وعوائل المحتاجين منهم، قد وفر القسم الأكبر من نفقات واحتياجات الثورة، دون الاعتماد على دعم خارجي[١] حيث اعتمدت الثورة، بشكل أساسي على الحقوق الشرعية التي صرفت على الأوجه المختلفة لاحتياجات الثورة[٢] وكذلك على التبرعات التي قدّمها أغنياء رؤساء العشائر والأعيان[٣].

كذلك، فقد شكّل العامل الديني(الإسلام)، كفكر وثقافة، عاملًا توحيديًا مهمًا، لجماعات السكّان الإسلامية، فطغت، وبدرجة مهمة، الدعوة للجهاد ضد الإنكليز على

---

(١) أثارت مسألة تقديم دعم مادي للثورة من بغداد ودمشق لغطًا. وقد وجه الحسني أسئلة لبعض العلماء والقادة الذين ساهموا في الثورة، حول الموضوع، نكتفي بإجابة اثنين من العلماء. الأوّل الشيخ عبد الكريم الجزائري الذي قال، بأنه لم تأتِ أيّة مساعدة من الخارج، وإنما مساعدات خرجت من النجف بما جمعته من أموال إلى الخارج. والثاني، الشيخ جواد الجواهري الذي نفى المساعدات من خارج النجف، وأشار، إلى أن النجف كانت تحمل بفضل رجال الدين كل المساعدات والتجهيزات للثوار، ولولا ديالى لكانت الثورة فراتية بحتة.

- انظر: الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج١ص١٧٦-١٧٧.

(٢) لقد أوقف الفلاحون والملاّكون، إبان الثورة فوائد مزارعهم وبساتينهم للثوار والمارين على الطريق للالتحاق بالجبهات. كما وصدرت فتاوى بإنفاق جانب من الحقوق الشرعية على الأسرى.

- انظر: الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى. ص ٢٨٤ - ٢٨٧.

- وأيضًا **Haldane، A. L.: op cit.، P. 125.**

(٣) الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص٣٢٦.

الاختلافات المذهبية والأثنية، وعلى العزلة بين المناطق[١] وأدت إلى انحسار التناحر بين عدد من العشائر المتعادية، ومن ثم انضمام بعض من أيّد الإنكليز منها، إلى القتال في صفوف الثورة[٢]. هذا فضلًا عن دفع العديد من أفراد القبائل و«الشبانة»[٣] إلى التمرد على زعمائهم الموالين للإنكليز بدوافع إسلامية[٤].

من ناحية أخرى، فقد عكس الشعر الشعبي ولا سيّما الأهازيج و«الهوسات» المفهوم الشعبي الإسلامي للثورة، الذي شكّل الدافع الأساسي لانخراط العشائر فيها واستجابتهم لفتاوى العلماء وأوامرهم. فالقصائد و«الهوسات» التي نظمت إبان الثورة وبعدها، كانت تعبّر عن مدى التأثير القوي لهذا العامل ودوره في الثورة. فعلى سبيل المثال تعكس الأهزوجة التي رددتها إحدى النساء أمام أفراد عشيرتها(الظوالم) مع بدء معركة الرميثة، مفهوم العشائر لمحاربة الإنكليز، على أنه واجب ديني، فقالت وهي تستحثهم على القتال«ها.. ها.. حلّ فرض الخامس كومولة[٥]»[٦]. كما ويعكس المعنى ذاته، معاتبة

(١) على سبيل المثال، شكّلت حفلات«المولد» المشتركة مظهرًا للوحدة بين السنّة والشيعة. وانتفاضات الأكراد في بعض مناطقهم، واشتراك الإيرانيين في العراق من علماء وطلبة علم ورعايا في الثورة تعبيرًا عن تجاوز العامل الديني – الإسلام – للفروقات الأثنية. أمّا امتداد رقعة الثورة إلى خارج مناطق الفرات، فعبر عن تجاوز العزلة بين المناطق.

(٢) جريدة«الفرات» النجفية: العدد(٢)، ٢٨ ذو القعدة ١٣٣٨هـ -١٣ آب ١٩٢٠م.

(٣) الشبانة: عناصر من السكّان، العشائر غالبًا، جندتهم إدارة الاحتلال للعمل لصالحها، كقوة محلّية مسلحة.

(٤) الحسني، عبد الرزاق: مرجع سابق، ص٢٠٣، ٢٠٧، ٢٥٠، ٢٧٧.
- وانظر أيضًا: الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ١٨٣.
- أيضًا النفيسي: عبد الله: مرجع سابق، ص ١٤٥.

(٥) الفرض الخامس، يعني الجهاد. وكومولة تعني، قوموا له، أي انهضوا.

(٦) الفيّاض، عبد الله: مرجع سابق، ص ٢٥٥.

شاعر آخر للشيخ خيون، أحد شيوخ العشائر الذي تخلّف عن الجهاد، بهذه«الهوسة »[1]:

يـا خـيـون شـنـهـو[2] المـانـعـك لليوم تندّله[3] فرض مثل الصلاة والصوم
أظـن إبليس غشك بالطمع والنوم سـوجـنـه [4]عـــاد أسـكـن بـيـهـا..
ظـل خيون جـاعـد[5] شنهو المعطلة يـكـنـز لـلـدنـيـا وديـنـه أمـبـطـلـة
اكصور يريد فضه يو[6] ذهب حطله[7] ايـكـنـزه وبـيـيـه[8] يجـوونـه [9]

وقال شاعر آخر يذم ثلاثة شيوخ تقاعسوا عن الجهاد وتعاملوا مع الإنكليز:

«كـالـولي»[10] ثلاثة صايرين ايهود ابـن زويـد مـع منشد وابـن شـدود
كلت ما ظنتي أيكفرن[11] بيت الجود يا الشايل بـاصـه[12] بزند ايـده»[13]

وهكذا شكّلت ثورة العشرين، مظهرًا أساسيًا من مظاهر الحركة الإسلامية التي

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢٢.
(٢) شنهو: ما هو؟
(٣) تندّله: تعرفه.
(٤) سوجنه: أي منطقتنا«سويج».
(٥) جاعد: قاعد، أي متقاعس عن الجهاد..
(٦) يو: أم.
(٧) حطله: حط له.
(٨) وبيه: وبه.
(٩) يجوونه: يكوونه.
(١٠) كالولي: قالوا لي.
(١١) أيكفرون: يكفرون.
(١٢) باصه: هويته.
(١٣) المرجع نفسه، ص٢٢٣.

نشأت في العراق خلال الربع الأوّل من القرن العشرين، وذلك بما مثّله دور العلماء في الإعداد لها، وفي قيادتها وتوجيهها، وبالمنطلقات الإسلامية التي ارتكزت إليها، والأهداف التي رمت إلى تحقيقها، وكذلك بما مثّله العامل الديني من دافع أساسي قوي لانخراط السكان، ولا سيما عشائر سكّان مدن الفرات فيها، ثم ما عكسه الأدب الشعبي من مفهوم إسلامي لمضمون الثورة ومحاربة الإنكليز.

إن هذا المضمون الذي حملته ثورة العشرين وشعاراتها وأهدافها، سيتجلى مرة أخرى من خلال قيادة وتوجيه العلماء لمعارضة محاولات احتواء مضمون وأهداف ثورة العشرين، التي سيسعى إليها الإنكليز، عبر مشروعهم لإقامة «دولة محلية» تابعة في ظل الانتداب. وسيكون على سلطات الانتداب كما يقول«إيرلند» إنزال ضربة قوية بالقيادة الدينية التي يمثّلها العلماء، باعتبارهم قوة الحل والعقد التي تشكل«العقبة الكأداء» في وجه تأسيس حكومة عربية «واجهة»[1].

(١) إيرلند، فيلب: مرجع سابق، ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

الفَصْلُ الثّانِي

الْأَدَبُ وَالتُّرَاثُ الشِّعْرِيّ

فريدة كربلاء[1]

أضاءت سعود الملك جالية زهرا ... وراقت رياض العيش جانية زهرا
وجاءت لنا بيض الأماني بأنعمٍ ... لبسنا بلا خلعٍ مطارفها خضرا
فبات يعاطينا الهنا أكؤسًا لها ... سكرنا ولم نشرب سلافًا ولا خمرا
شربنا سلاف الروح لا الراح فاغتدت ... بها الروح نشوي فهي مرتاحة بشرا
إلّا أن ثغر الدهر أصبح باسما ... إلينا فدام الدهر مبتسمًا ثغرا
وأشرقت الدنيا جمالًا وبهجة ... ترينا المحيا الطلق والخلق النضرا
شفى غلّة الآمال سلسل نيلها ... فأوري الحشا من بعدما كان قد أورى
فسرّت نفوس كابدت طول همها ... ويا ربما فاز الحزين بما سرّا
هي الملّة الغراء تطلب مجدها ... وحق طلّاب المجد للملّة الغرا
فقد خطبوا العلياء بالسيف وانبروا ... يسوقون من غالي النفوس لها مهرا
وقد طلبوا من قبل إسعاف أهلها ... فلما أبوا حازوا عقيلتهم قسرا
إذا حجبت بيض الكواعب فلتكن ... وسيلتك البيض القواضب والسمرا
ألا برزت من خدرها ذات عفة ... على رقبة من قبل لم تبرح الخدرا
كعاب من الغيد الأوانس حرّة ... فما تصطفى إلّا الفتى الماجد الحرّا
وتبسم عن ثغر فتنظم مثله ... نسيبًا كلا العقدين قد نظما درّا

(١) محمّد حسن أبو المحاسن، فريدة كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الأوّل، الجزء السابع، تموز ١٩٠٩م، ص ٣٣٩-٣٤٢.

وترنو بأجفان المهاة إذا رنت ... فتنفث في الألباب من لحظها سحرا
من الجفن إلّا أن بارع حسنها ... بإبداعه قد تيم البدو والحضرا
وددنا غير الوصل منها وربما ... شكونا لها حاشا سجيتها الهجرا
لتهنَ أمير المؤمنين خلافة ... تشاد مبانيها على هامة الشعرى
وسلطنة تصفو وتصفو ظلالها ... على الأرض حتى تملأ البر والبحرا
تقلد قانون العدالة أمرنا ... وأجدر به أن يملك النهى والأمرا
وكائن ترى فوق البسيطة دولة ... به كبرت شأنًا وكانت هي الصغرا
ولا سيما في ملّة قد تعاضدت ... على الحقّ حتى نالت العز والنصرا
تسامت إلى أوج الترقي وطنبت ... بيوت المعالي حيث طالت به النسرا
وقد صبرت حزمًا فأنجح سعيها ... كذلك من يستصحب الحزم والصبرا
جنت ثمر العلياء حلوًا وطالما ... جنت من تجني من مضى ثمرًا مرّا
ورب عزيز ذل في الناس قدره ... ورب ذليل عزّ بين الورى قدرا
فبعدًا لأيام تولّت ذميمة ... إذا أرخت [1] ساءت أحاديثها ذكرا

١٩١٣م

حقيق بنشر الحمد محمود شوكت ... فاهد له النظم المهذب والنثرا
هو الماجد الحامي حقيقة مجده ... تضوع مساعيه إذا نشرت نشرا
ولما طغى أمر البغاة وأعلنوا ... بما قد أسرّوا من خيانتهم جهرا
رماهم من العزم الشديد بعسكر ... وقاد إليهم مثله عسكرًا مجرا
بأبطال صدق يقدمون على الفنا ... إذا أحجمت عنه أسود الشرى ذعرا

(١) (١٩١٣م) هذا التأريخ حسبناه فوجدناه يمتد إلى أربع سنوات على الحساب الميلادي ولعلّه يتم الإصلاح الحقيقي في ذاك الزمن إن شاء الله.

وقد صدم الثغر المنيع بحملة ... تهد رواسي الهضب أو لثغر الثغرا
ولم يكتفئ حتى أباد جموعهم ... وحكّم في الهام المهندة البترا
فكان لأهل الاتحاد وقد دجا ... عليهم ظلام الخطب في غلس فجرا
ألا فاذخرى يا ملّة العدل مثلة ... فقد عزّ من أضحى له مثله ذخرا
ومثل رئيسيها نيازي وأنور ... هما سهلا والله من نهجها الوعرا
وشادا بناء المكرمات وخلّدا ... كرام المساعي والمآثر والفخرا
وأهلًا بأيّام زواهٍ ذواهرٍ ... تضئ لياليه موسمة غُرا
فتجلو علينا تلك شمس سعودها ... وتجلو علينا هذه قمرًا بدرا
بإشراق سلطان المعالى محمّد ... ترنح عطف الملك منشرحًا صدرا
وبالخامس المسعود نيطت خلافة ... وسلطنة جاءت بشائرها تترى
سعدنا بنعمى أسبغ الله ظلها ... علينا فجلت أن نقابلها شكرا
هو البدر إلّا أن غرّ صفاته ... نجوم سماء لا نطيق لها حصرا
طوى الجور عنا ناشرًا ظل عدله ... فاحسن به ضيا وأطيب به نشرا
ومذ قام فرد الدهر بالأمر أرخوا ... محمّد سلطان الرشاد به البشرى

١٣٢٧ هـ[1]

(١) تنبيه يزيد هذا التاريخ سنة وهو مغتفر.

مشرقية كربلاء[1]

قد صحّ جسم الملك من سقامه ... واستيقظ الراقد من منامه
ساورت الشرق زمانًا غفلة ... أغرت رجال الغرب باهتضامه
كم حملوا على البلاد حملة ... هدّت بناء العزّ عن دعامه
فعجّ بأفريقا وسلّ أقليمها ... ماذا جرى منهم على إسلامه
ومن أوروبا استلبوا معظم ما ... قد فتح الأسلاء في أيامه
إن أبرموا عهد الصفا نقضوا ... عهد الصفا بعد ما إبرامه
إذا أتتك ذمة من خائن ... فارقب وشيك العذر من ذمامه
يا نهضة الشرق ثقي بفوزة ... تدني قصيَّ الهم من مرامه
أمامك النجح وفاز من سما ... لحاجة والنجح من أمامه
آلك آل المجد والملك الذي ... كانت ملوك الأرض من خدامه
هم طردوا هرقل في سريره ... حتى وهى ما اشتد من قوامه
وانعلوا كل طمرٍّ سابح ... تاج عظيم الملك مستدامة
فسل بوغاز طارق إذ عبرت ... إله أسد الروع في لهامه
تجد هناك نجدة وسطوة ... يذكو بها عزمك في ضرامه
مآثر طاولت الشهب سنًا ... أسفر فيها الدهر من ظلامه
ومنك قد شاموا سنا تمدن ... أنواره لاحت على أعلامه

(١) محمّد حسن أبو المحاسن، مشرقية كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الأوّل، الجزء الثامن، آب ١٩٠٩م، ص٣٨٢- ٣٨٤.

نـالـوا بـمـا نـلـنـا قـديـمًا منهم ... مـن اتحـاد الأمـر وانـتـظـامـه
إذا افـتـخـرت بـقـديـم سـطـوة ... أحـلـلـت الـفـخـار في سـنـامـه
فـهـل لـديـك في الحـديـث نبأ ... يـشـفـي غـلـيـل الـقـلـب مـن أوامـه
إن فـقـد المـرء عـصـاميّ الـعـلا ... لم يجـده الـدارس مـن عـظـامـه
طـبـع الـتـرقـي فـيـك إلّا أنـه ... قـد بـرد الـعـزم مـن احـتـدامـه
ومـعـدن الـتـبر الـثـرى وإنـمـا ... يـسـمـوا إذا استخلص من رغامه
أنـت الـذي ألـقـى الـزمـان أمـره ... إلـيـه وانـقـاد إلى أحـكـامـه
عـزّ عـلـى الـغـيـر بـأن يـراك في ... حـال ذلـيـل الـعـزّ مستضامه
قـد محـقـت سـعـدك دهـرًا ظلمة ... والـيـوم قـد عـاد إلى تمـامـه
فـروض آمـالـك غـض يجتلي ... نـوّاره الجـنـيّ مـن أكـمـامـه
واتـسـق الأمـر عـليّ رغـم الـعـدا ... مـثـل اتـسـاق الـعـقـد في نـظـامـه
وهـبّـت المـلّـة تحـمـي عـزّهـا ... هـبـوب ليـث الـغـاب مـن آجـامـه
نـصـت سـيـوف عـزّمـهـا وإنـمـا ... يـعـزّ ركـن المـرء بـاعـتـزامـه

نداء إلى أهالي كربلاء[1]

إلى الواقفين بوجه المؤامرة..

أحبتي..

أهالي كربلاء.!

١

يا صامدون في دوامة الإعصار

يا حاملي مشاعل الإنسان في أقبية النهار

يا كل شعبي العظيم، في مدينة الحسين

«البعث» قابع على كرسي«انتحار»

فلتشعلوا الشموع

ولتصبغوا السهول والقلوع

وليلبس الرجال والنساء

معاطفًا، جميلة، خضراء

ولينظروا للجانب الشرقي، من أرصفة السماء

فهذه بوادر الطلوع

الشارة الحمراء لن تدوم في مدينة الحسين

وفي غد ستصبح الشارة، يا مدينتي خضراء

(١) جعفر رهب، نداء إلى أهالي كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد السابع والخمسون، الجزء السادس، تشرين الأوّل ١٩٣٥م، ص٨٨٠-٨٨٢.

٢

يا أيها الرجال

يا أيها الأطفال والنساء

استمعوا لصرخة السماء

لا بد من نضال

لا بدّ من تساقط الأشلاء

كي ترتفع التلال

لا بدّ من ضريبة ليبرق النهار

من أدمع النساء، فليكن

ومن حناجر الصغار

يا من على الأشواك زاحفون

«فليكن الموت الضريبة التي ستدفعون!..

٣

أحبتي.!

القبة التي تشاهدون

القبة التي تسخر من هرولة القرون

ليست سوى تجسد الصمود

إطلال خيمة الحسين

هذي القبة التي تشاهدون.!

وطبعة النيران فيها..

الذهب الذي يدغدغ العيون

والمأذنات يا أحبتي،
ذراع طفله الصغير
كبرها الصمود
كبرها صراعه المرير
كبرها سجوده الأخير
على النبال في تهويمة الصمود
٤
التافهون والطغاة
ليصنعوا القلاع والحصون
ليغرسوا الأشواك في معابر الحياة
وليملأوا القبور والسجون
وليرفعوا المشانق الطوال
وليرقصوا على جماجم الرجال
فلم يزل..
فلم يزل.. على التلال من يراقبون
ولم يزل من داخل البلاد
من يقاتلون
ولم يزل من سوف يصنعون من عظامهم نبال
ويصمدون
يصمدون
يصمدون

٥

غدًا.. أحبتي المعذبين.!

غدًا.. نعيش مهرجان الانتصار

غدًا.. نعيش بعد ظلمة الليال

في النهار

إلى غد..

إلى غد..

أحبتي المعذبين

مصرع الحسين[1]

يرفع الستار عن خباء في وسطه زينب ورباب وقربها سكينة طريحة الفراش من عبء المرض زينب إلى رباب:

ما بال عينك باكية ودموع شجوك هامية
عيناك وقف للبكا ء وللدموع الجارية
ما لاح رسم دارس في معزل أو ناحية
أو ناح ذو وجد على آمال نفس ذاويه
إلّا ودمعك كان أسـ رع من هطول الساريه

رباب:

أألام إن فاضت أسى نفسي وضجت باكيه
إن كان أقصى حظنا في العيش رؤيا فانيه
وحياتنا مهما تطل في الأرض عدت ثانية!!
ماذا نؤمل من غد ويد المنايا عاتية؟!
لا تأل تهزأ في مدا معنا وتسخر هازيه

زينب:

أرباب لا تدعي فؤادك نهب سهم الراميه

(١) عدنان مردم بك، مصرع الحسين، مجلة العرفان، المجلّد السادس والعشرون، الجزء السادس، تشرين الثاني ١٩٣٥م، ص ٤٤٢- ٤٤٨.

أو تجزعي فرقًا على طيب الليالي الخاليه
خل الدموع لعاجز أو للصغار اللاهيه
وعليك بالصبر الجميـ ل لدى الخطوب القاسيه
فالدمع لا يشفي الصدو ر ولا النفوس الداميه!

رباب:

إن كان دمعي لا يرـ دّ علي ذكرى غاليه
ويعيد أيام الشبا ب أو الليالي الماضيه
في الدموع سلوى لا تحس بها النفوس الخاليه
أو ليس دمع الصبّ في البلوى صلاة ساميه!!

زينب:

إن نحن لم نكتم أسا نا عن عيون الرائيه
ونعلم الصبر الجميـ ل الناس عند الداهيه
من كان أولى في الدنى منا بهذي الناحيه

رباب:

من لي بقلب كالمنية لا يرق لشاكيه
أو كالحجارة لا تحر كه نشيج الباكيه
حتى أعيش العمر في أمن وظل العافيه

تشير نحو فراش سكينة متممة قولها:

أو تعجبين إذا شكو ت يد الزمان الباغيه
وهنا فتأتي نهب أد واء السقام القاسيه

تستفيق سكينة من المرض قائلة: أماه

رباب: ما بك

سكينة:

أيـــــن أنـــــت فـلـقـد مـلـلـت مـــن الـسـقـم
أمـــــاه قـــد هـــدّ الـضـنـى جـسـمـي وأورثـنـي الـسـأم
هـــات يـديـك فـقـد وهـى عـــزم وأقـعـسـنـي الألم
إن قـمـت يـقـعـدني الـعـيـا ء ووطـــأة الـــداء الأصـم
وإذا نهـضـت يـــزل بي يـــا أم لـــلأرض الـقـدم
فـــأدب كـالـشـيـخ الـــذي زاغـــت خـطـاه مـن الهـرم

رباب:

ســـكـــينُ لـبـيـك يـــا مـنـيـة الـنـفـس

سكينة:

أمـــــاه قـــد ضـقـت مـــن دهـــري لـلـنـكـس
لم يـــبـــقِ لي الهـــم خـــدنًـــا ســـوى بـؤسي
فـالـنـار في قـلـب والجـهـد في الـرأس
وأدت أحـــلامـــي يـــا أم مـــع أمـــي
وشـــمـــس آمـــالي في هـــوة الـرمـس

رباب:

ســـكـــينُ رفـــقًـــا بي لا تـــوقـــظـــي يـــأسي

سكينة:

أشـجـاك أن تخـبـو ضـيـا ء شـبـيـبـتي مـن نـاظـريـا
وأمـــوت في عـهـد الـشـبـا ب ولم أمـتـع مـنـه شـيـا

أم راع قلبك ما قرأ ... ت من الأسى في مقلتيا
لا تكتمي عني أسا ... ك وتستري الداء الدويا
نطقت دموعك حينما ... عجز اللسان وصار عيا
أماه كم زرهت يدا ... ي وأغرست زهرًا جنيا
لكنني لم أجن إلا ... الشوك والمرض العصيا
هذي زهور شبيبتي ... ذبلت وماتت في يديا
أسفًا أأذوي في ر ... بيع العمر أو يقضي عليا

رباب:

وقيت الردى ووقيت الظنون ... وزال الأسى عنك للحاسدين
فدى لك روحي وما أثمرت ... يداي وما ملكته اليمين
سكينة لا تقنطي من غد ... لعل غدا يسعف القانطين
دعي الهم عنك ولا تذكري ... ليالي الأسى وزمان الشجون
أمّا كان فجر الضحى ابن الدجى ... ورؤيا الفتى من سواد العيون
فكل مصاب له آخر ... وما قتل المرء غير الظنون!!
وكل نعيم إليّ زائل ... يصير وإن حرص الباخلون
وما كان شيء بهذي الحياة ... يدوم بها مع كر القرون

سكينة:

اعطني جرعة من الماء عليّ ... اطفئ النار من غليل فؤادي

رباب هامسة:

أين لي الماء يا سكين وأهل الـ ... شر سدّوا بوجهنا كل ناد
منعوا الماء عن بنات رسول اللـ ... ـه ظلمًا وأهله الأمجاد

واستباحوا حمى النبي وظلوا في دياجير غيهم في تمادي
لم يرقوا لعاجز مستكين أو يلينوا لمدمع الأولاد
ويح شعب أباح غير ضنين عترة المصطفى النبي الهادي
ويرجى منه الشفاعة والنصل دفين في أضلع الأحفاد

تخرج رباب مفتشة عن الماء.

زينب:

ما لرأسي مثقل وفؤادي يتلظى من جمرة الأحقاد
ايه يا دهر كم ظلمت كرامًا وتحكمت في رقاب العباد
وأسلت الجفون من حرق البين دماء ومن رسيس البعاد
نحن قوم لم نقبل الظلم يومًا أو رضينا بالذل كالأوتاد

يسمع أصوات قوافل من بعيد وصوت حاد يقول:

منزل الأحباب حييـ ت وبلغت السلامه
وسقاك الله يا مر بع أصواب الغمامه
لا أراك الله مكرو هًا ولا ذل الندامه
إن لي فيك غرامًا شب في القلب ضرامه
منزل الأحباب ما با لك قد طأطأت هامه
أين سكان حكوا البد ر إذا وافى تمامه
وظباء فاقت الحو ر رواء ووسامه
طمس الموت بكيفه لهم كل علامه

سكينة:

عمتي ذكرني الحادي ... عسيرًا وتهامه
وربوعاً لي بيثرب ... حلوة كالابتسامه
طفحت بالبشر حينًا ... دون أن تدري السآمه
وزمانًا كالأماني ... حسر البشر ظلامه
إنما ريب الليالي ... جعل البشر جهامه
فغدا الربع خلاء ... خاشعًا يبكي ندامه
وغدا أهلوه شتى ... عزلًا من كل لامه

زينب:

لا يرعك الدهر إن الد ... هر خصم الشرفاء
كم بدور لمعت دهرًا ... بأجواز الفضاء
غالها الدهر فأمست ... رهن أحكام القضاء

حاد:

يا دار مية ما الذي ... أعياك عن رد الجواب
ما كنت أعهد فيك ذ ... ل الصب أو حرص المرابي
لكنها الأيام والأيا ... م مقراض الشباب!!
ما بال ربعك خاويًا ... والقصر مهدوم الجناب
يا ويح قلبي أين ... سكان علوا متن السحاب
أين العذارى والدمى ... أين الحسان من الكعاب
أصبحت بعد فراقهم ... مرعى الكواسر والغراب

أصوات القوافل...

تدخل رباب حاملة معها إناء ماء وهي تقول: خذي.

سكينة:

لم تطفِ لي الماء غليلًا بعد يا أمي
فنار القلب ما زالت مسلطة على عظمي
وإن ثارت بأضلاعي يذوب لحرّها لحمي

رباب:

سكينة لو علمت اليوم ما قاسيت من أجلك
وما حملت من البلوى وكم أتعبت في أمرك
علمت بما تضحي الأ م في الدنيا وما تسفك
فؤاد الأم قربان لفتياها وما تملك

سكينة:

ما الذي أسطيع أن أو فيكه من حسنات
وجنان الخلد كانت تحت نعل الأمهات

المشهد الثاني من الفصل الأوّل

قرب الخباء[1] يقف قرظة وحبيب بن مظاهر

قرظة:

مظاهر ما لدموع العيون ... على وجنتيك لها أسطر
أمن صبوة ببنيك الصغار ... تسبح جفونك أو تمطر

حبيب بن مظاهر:

أتسألني عن شجوني وعن ... أساي وما أنت عني غريب
أأبكي صغاري وآل النبي ... حفاة عراة تعاني الكروب
وشيخي الحسين حفيد الرسول ... عظيم الرزايا كثير الخطوب
وحيدًا أمام صفوف الطغاة ... وأرماح كل عدو رهيب
يرومون شرًا به والحسين ... يروم لهم كل عيش خصيب

قرظة:

ولكن ابن سعد [2] على ما يقال ... يحب الوئام وجمع القلوب

حبيب بن مظاهر:

ولكنَّ شمّرًا طاغ عنيد ... يحب الدماء وخوض الحروب
إذا لم يجد فارسًا في الوغى ... يساجله طعنات الحروب
يصارع من حنق نفسه ... كذي جنة أفزعته شعوب

---

(١) [مركز تراث كربلاء] الخباء هو بيت صغير من صوف او شعر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٤.

(٢) هو عمر بن سعد.

ومن حبه الحرب لم يتقِ ال إله بأهل بنات الحبيب

يدخل عباس ويبتدر حبيب بن مظاهر قائلًا:

ماذا وراءك من خبر السمع لا يحكي البصر

حبيب بن مظاهر:

عباس أضحى كيد أهل الشر صعبًا لا يطاق
في كل يوم بدعة يسعون فيها واختلاق
زعموا الحسين فتى أثيما لا يطيب له الوفاق
ولقد تمادوا في الضلا ل إلى أن اتسع النطاق
زعموه سفاكًا له في الشر أنجية عتاق
قالوا الحسين ثائر وأبوه [1] في الإسلام عاق
دفعوا الجموع لقتل عثما [2] ن وفي النفس اشتياق
و أبى الترفق بالخليفة حينما ضج الوفاق
وبكوا عليه والدمو ع على الخدود لها انبثاق

عباس مغضبًا:

أأبي الذي دفع الجو ع لقتل عثمان الحسير
وهو الذي لم يأل جهد ا في الدفاع عن الأمير
هذا جزاء العرف في الدنيا وإحسان الصبور!!
إن كان إحسان الفتى ضربًا يعد من الشرور

(١) الإمام علي عليه السلام.
(٢) عثمان بن عفان.

الموت خير للفتى من دهره العاتي الضرير

حبيب بن مظاهر:

العدل في الدنيا غريـ ـب كالشباب أو الحبور
ومن البلية ما ترى عيناك من هزل الأمور
كل يقول به وما للحـ ق أمسى من نصير
وكذاك كان أبوك في الدنيا مع القوم العسير

عباس:

ويح الحياة إذا تحكمت الأسافل في العباد
وغدا الكريم مسفهًا في كل مجتمع وناد
أنى تولى لا يرى غير الكآبة والحداد
حيران من مضض النوى لا يستقر من الجهاد

حبيب بن مظاهر:

أمن العجيبة أن ترى الأشرار أسياد البلاد
وذوي الفضائل في الورى غلبانة في كل وادي
لا تعجبين لفتى كريم ذل من بعد الرشاد
فالنار يعلوها الدخا ن وكل فضل في كساد
قد يبشم الكلب العقور وكل ضار في الوهاد
وتموت من مضض الطوى والجهد آساد البوادي

من وسط الخباء تصرخ سكينة:

أماه أجهدني العياء ولم يعد لي من جلد

عباس:

لنا الله آل البيت كم ذا على البـ ـؤس صبرنا وأخفينا المرارة في النفس
صبرنا على حلو الزمان ومره وكل بلوناه بأفئدة شوس
فما أبطرتنا نعمة في رضائنا ولا ذللتنا غضة الزمن النكس

حبيب بن مظاهر:

حبيب يا لهف أبي على بنيات النبي
أمين من غير يد أمام كف النوب
لا ساعد يذب عنهن سهام الحرب
وعبد شمس لم تز ل تسعى لأبناء النبي

قرظة:

ليس بعد الكفر من ذ نب وبعد الشرك أثم
إن من يشرك بالله ولم يردعه حكم
وهو لا يرثي لآل البـ ـيت أو يثنيه حلم
ليس للخير قمينا ذلك الصخر الأصم
ما الذي نؤمل في الدنيا وملء العيش سقم
نتمنى والأماني ملؤها سقم ووهم

حبيب بن مظاهر:

أنزلي الظلم في رقاب البرايا عبد شمس ولا ترقي لمدمع
و أبيحي ما حرّم الله في الأر ض وبثي الفساد في الكون أجمع
و اخنقي الحق واخرسي كل من قال بقول الحقّ أو كان يسمع

إنـــما الـبـطـل لا يـطـول إذا ما نـطـق الحـــق بـالـيـقـين وشرع
لـيـس بـعـد الـظـلام غـير ذكـاء ودجـى الـلـيـل غـير فـجـر مرصع
رب شـيـخ قـضى شـهـيـدًا ولـكـن شـاد صرحًـا لـلـحق لا يـتـزعـزع
لـيس سـيـف المـظـلـوم أكـثـر بـأسًـا مـن دمـوع المظـلـوم أو كـان أروع
صرخـات المظـلـوم كـانـت سهامًا مـنـه تـتـرى عـلى الـظـلـوم وتـتـبع
فـأكـثـري الـظـلـم عـبـد شـمـس فإنا عـن قـريـب عـنـد الإلـــه سنجمع

ذكرى الحسين[1]

يا لدأب الشهيد من غُر دأب ... مترع بالظبا ولمع الحراب
يهب المجد مهجتيه ويفديه ... بدفء الصبا وعزم الشباب
ما ذكرت الشهيد إلّا وغشاني ... اهتزاز من حدة وانجذاب
أتخطى به حدود النهايات ... وأرنو مفتح الأهداب
أرقب الله مثل أحمد في الغار ... وأم المسيح في المحراب
فأرى الله في انفلات القنا الحمر ... وفي ثورة الجباه الغضاب
وأرى الله في الشهيد منىً تسمو ... وذكرى تبقى على الأحقاب
تبعث الخفق في الحنايا التي ... ذابت وجفت على الضمير المذاب
فاذكروا لي الشهيد يا قوم ذكراه ... اقتحام القرضاب للقرضاب
اذكروه لعلها تثب الدنيا ... ويجفو الحسام سكنى القراب
أجهد الكون من بغاة أذلّوه ... فهلا للكون يوم انقلاب
يحمل البشر والترنح واليمن ... ويهمي بالذكريات العذاب
غير كف الشهيد ما أروت الظامي ... ولا سطرت طموح الشباب
غير كف الشهيد ما نجت ... الأرض من الظالمين والغلاب
فألا تستفيق مكة للبعث ... وتعلو قريش سرج الركاب
ونغني بأمة العرب أنشودة ... مجد العروبة الخلّاب

(١) أحمد أبو سعد، ذكرى الحسين، مجلة العرفان، المجلّد الثالث والثلاثون، الجزء الثاني، كانون الأوّل ١٩٤٦م، ص١٢٢.

غير كف الشهيد ما أرسلت شعرًا ... و لا لحنت لشدو رباب
وبغير الحسين ما صفقت بيد ... ولا أججت لظى الأعصاب
فحسين تبهرج البطل الملقى ... على كل فيلق صخاب
وحسين ماذا حسين لو ... أن الله لم ينطلق على الأنصاب
كان أنشودة القداسة في النجوى ... ورمز العليا على الأعتاب
أيها القوم أرسلوا كفكم نذكر ... حسينًا ذكرى هوى واقتراب
ليس ذكرى موت وذكرى انتحاب ... ليس ذكرى لطم وشق ثياب
لا يموت الشهيد لكنما يحيا ... تراث الأعقاب للأعقاب
قد مللنا الشكوى سئمنا المناحات ... سئمنا لحن الردى والعذاب
روحنا تستجيش للنار حمراء ... وللسيف عبقري الذباب
يوم نشدو لحوننا نغمر الدنيا ... ونشدو بلحن أم الكتاب
يوم أرواحنا سطور على المجد ... وموج يطغى كطغي العباب
يبعث الخفق في الحنايا التي ... ذابت وجفت على الضمير المذاب

ذكرى الحسين[1]

قيلت بمناسبة مهرجان أقيم بقرية ميعار شاكر[2] يوم العاشر من شهر المحرّم سنة ١٣٦٧هـ

آيــة الــبــؤس والــشــقــاء المـريـر ... خطّها الـدهـر في سجل الـعصورِ
في كـتـاب الـوجـود في صحف ... الـدنـيـا انـطـلاقـا عـلى جـنـاح الأثـيرِ
في خـضـم الحـيـاة تـلـفـظـهـا الـ ... أمـــواج حـــرّى كـاهـلـة المـقـهـورِ
في حـنـايـا الـضـلـوع تـشـتـدّ ... لـهـيـبًـا كـعـاصـفـات الهـجـيرِ
في خـفـايـا الـقـلـوب تـنـسـاب ... أنـيـنًـا كـأنّـه المـصـدور
لفّها الكون، وانطوى تحت برديها ... انـطـواء الـزفـير تحـت الـزفـيرِ

***

صـورٌ لـلـوجـود، ذكـراك يـا بن ... الـنـور يـا بـن الـعـلا وبـاعـث الـنـورِ
يـا شـهـيـد الـتـاريـخ، يـا حـجّـة الله ... عـلى الخـلـق في اكـتـشـاف الأمـورِ

***

(١) عبد الهادي محمود عيسى، ذكرى الحسين، مجلة العرفان، المجلّد الرابع والثلاثون، الجزء الثاني، كانون الأوّل ١٩٤٧م، ص٢٥٧.

(٢) [مركز تراث كربلاء] قرية تتبع محافظة طرطوس بسوريا، أطلق على قرية "ميعار شاكر" هذا الاسم نسبة إلى بنت الملك الذي حكمها منذ القديم حيث كان اسمها ميعار واسم الملك شاكر . للتفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية، ميعار شاكرwww.ar.wikipedia.org /wik، تاريخ الولوج ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٩.

المنى الباسمات كفنها اليأس ... ببردٍ من نسجه المهجورِ
والرؤى الذاهلات صوّرها ... اليتم التياعيًا بلوعة التصويرِ
كلنا الثورة على الظلم فلنمشِ ... مع الله من صميم الشعورِ
ويل دنيا الطغيان مما تلاقي ... من لهيب السعير يوم السعيرِ
من جحيم الشقاء يوم انزهاق ... الشك والشرك وافتضاح الستورِ
أمّة الله، فالحسين على التاريخ ... ذكرى التقديس والتكبيرِ
هاشمي نور النبوة من جنبيهِ ... ينساب في سماء الدهورِ
فانفضي اليأس عن عيونك يا ... دنيا الأماني وعن صفاء الضميرِ
وافتحي في الحياة فتحًا جديدًا ... ضاحكًا في جديده المنظورِ
كلنا ثورة على الظلم فلنمشِ ... مع الحق من صميم الشعورِ

***

شاعر يدفق الشعور على عطفيه ... من فيض خاطرٍ مسرورِ
عبقري، يمشي مع الناس في ... الأرض فيهتز هزة المقرورِ
عاطفي، يلقى من البؤس والسخر ... حقولًا مزروعة من شرورِ
ينثني، والشعور يلفح برديه ... وفي العقل دفقة من خمورِ
سائل الناس، هكذا قيل في الـ ... شاعر طبعا ما قيل في السكيرِ
كلنا ثورة على الظلم فلنمشِ ... مع العدل من صميم الشعور

الحركة الأدبيّة في كربلاء[1]

لقد قرأت في العدد الخاص عن العراق من مجلّة العرفان الغراء بحثًا مجحفًا في حق مدينتي حيث وصفها بالبعد عن العلم والأدب، مع العلم أنّ في مدينة كربلاء مجموعة من الأدباء المحترمين اللامعين.

وجدير بنا – ونحن في معرض حديثنا عن أدب مدينة الحسين – أن لا نهمل الإشارة إلى موجة القراء التي طغت على هذا البلد منذ أوائل الحرب الأخيرة، وعلى الأخص المجلّات المصرية. ففي عام ١٩٤٠م أسّست جمعية في كربلاء باسم «ندوة الشباب العربي»[2] التي كان قوامها رفع المستوى الأدبي والثقافي وإصدار جريدة أدبية بإسم (الندوة) التي كان رئيس تحريرها المحامي محمّد مهدي آل وهّاب، ولم يظهر منها إلّا أعدادٌ قليلة، وقد كانت مجالًا تتنفس فيه الأقلام بعض الشيء ولكنّها لم تعمّر طويلًا.

وقد ظلت الحركة الأدبية في كربلاء تعتمد في الغالب على المطالعة والهضم إلا أفرادًا لمعت أسماؤهم بنسب متفاوتة في عدد من المؤلفات المطبوعة وفي صحف بغداد والنجف التي كانت تصدر قبل الوثبة وبعدها، ونذكر منهم: مظهر اطيمش، صالح جواد الطعمة، حسين فهمي الخزرجي، عبد الباقي رضا. وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٥١م حيث ولدت فيه جريدة أدبية أسبوعية تدعى(القدوة)[3] التي أصدرها الأستاذ رحيم الكيال،

---

(١) سلمان هادي الطعمة، الحركة الأدبية في كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الثاني والأربعون، الجزء العاشر، آب ١٩٥٥م، ص١٢٠٦-١٢٠٧.

(٢) ومن الذين وضعوا حجر الأساس في بناء هذه الجمعية الأديب اللبناني الكبير السيّد صدر الدين شرف الدين صاحب المؤلفات القيمة.

(٣) [مركز تراث كربلاء] مجلة اسبوعية صدرت في مدينة كربلاء عام ١٩٥١م ، لصاحبها الاستاذ

وقد اشترك في تحريرها فريق من شباب كربلاء المثقف كان من بينهم: حسن عبد الأمير[1] حسين فهمي الخزرجي، مظهر اطيمش، مهدي جابر، محمّد القريني، عباس أبو الطوس ولكن مع هذا كله لم تعمر أيضًا.

أمّا بعد ذلك بفترة لا تقل عن ثلاث سنوات ظهرت مجلّة أدبية شهرية عرفت باسم(رسالة الشرق)[2] التي كان يصدرها السيّد صدر الدين الشهرستاني، وقد صدر منها عشرة أعداد فقط، وممّا أدى إلى احتجابها هو صدور القانون العام للمطبوعات. ولعل من الضروري هنا أن نشير إلى بعض الأسماء التي لمعت في المحيط الأدبي خلال الوثبة، وإلى بعض نتاجها الأدبي، ومن هذه الأسماء نذكر في الطليعة الشاعر الكبير عبد الحسين الحويزي صاحب دواوين القيمة، والشاعر مظهر اطيمش وقد صدر له ديوان شعر منذ مدّة بإسم (أصداء الحياة) والشاعر صالح جواد الطعمة وقد أصدر ديوانين من الشعر هما(ظلال الغيوم) عام ١٩٥١م و(الربيع المحتضر) الذي أعقبه بعام والشاعر مهدي جاسم وقد صدرت له ملحمة شعرية باسم(الحمأ المسنون) وكما صدرت له مجموعة شعرية باسم أفيون وجبال وفاكهة، والأديب حسين فهمي الخزرجي[3] والشاعر عباس أبو الطوس الذي أصدر قصيدة طويلة بعنوان(يوم الحسين الخالد) والشاعر السيّد

رحيم خضير الكيال. ينظر: " القدوة" ، (جريدة)، كربلاء، العدد الخامس، ٥ آذار ١٩٥١.

(١) ومن الأشياء النفيسة التي ظهرت في هذه الجريدة والتي تخص حركة كربلاء الأدبية مقالات حسن عبد الأمير في الأدب الكربلائي في القرن التاسع عشر.

(٢) [مركز تراث كربلاء] من المجلات الرائدة في كربلاء، صدرت في الرابع والعشرون من شهر شباط عام ١٩٥٤م، لصاحبها السيد صدر الدين الشهرستاني. للتفاصيل ينظر: عبود جودي الحلي، الادب العربي في كربلاء، (كربلاء: جامعة اهل البيت، ٢٠٠٥) ، ص٣٥ .

(٣) ولهذا الأديب أبحاث قيمة في تاريخ كربلاء الأدبي الحديث وتراجم كثيرين منهم ظهرت في مختلف المجلّات العربية، كما أنها أذيعت في مناسبات مختلفة من محطة إذاعة الشرق الأدنى.

مرتضى القزويني والشاعر محمّد هادي الشربتي. وعلاوة على ذلك توجد لدى بعضهم كتب ودواوين ما زالت في طريقها إلى الطبع. كل هذا ممّا يدل على وجود حركة أدبية في كربلاء.

وختامًا أقول إنّ في كربلاء حياة أدبية حديثة صادرة عن النشئ الجديد، ولا يخفى علينا أنّ للمرأة كان لها نصيب لا بأس به في هذا المضمار إذ كانت هناك فئة من الطالبات اللواتي ساهمن في التحرير، وأخص من بينهن الأدبية(فاطمة جواد الطعمة) التي كانت يوم ذاك تواصل دراستها في دار المعلمات الابتدائية ببغداد.

ومن الشاعرات الفاضلات (آنسة نبيلة) نشرت عدّة قصائد تتسم بالطابع التحرري وهي(فاضلة أحمد) وقد حدّثني صديقي حسن عبد الأمير بأنّه قد وقف ضدّها –من حيث لا يشعر– في أول ما نشرت وهو من النادمين جدًا وكم يتمنى أن تمحى هذه الحادثة من حياته. كما أنّ هناك عدة شاعرات وقف الحجاب وضيق المجتمع ومحاسبة الناس ضد التصريح بأسمائهن ومن هؤلاء الأدبيات باحثات وقصاصات وناقدات وهنّ في طريقهنّ إلى الاستقرار الزوجي في تكوين حياة الأسرة.

هكذا نشأ الأدب الحديث في كربلاء وهكذا كان الأدباء والأديبات.

الحسين الخالد[1]

لـك في صراع البغي يـوم أكـبرُ ... لا زال يـرويـه النـجيـع الأحمـرُ
يـزهـو عـلى هـام الـزمـان فتنجلي ... بـسـنـائـه ظـلـم الحـيـاة وتـدحـرُ
وتـعـيـده الأيـــام لحـنًـا ثـائـرًا ... ينساب في سمع الـزمـان ويهـدرُ
فـتـشـعّ في سـفـر الـكـرامـة أسطر ... مـنـه وتـسـتـوحي الحـقـائـقَ أسـطـرُ
لـك مـثـلـمـا لأبـيـك ذكـــرٌ خـالـدٌ ... بـــاقٍ، بـقـاء الـدهـر لا يـتـغـيّرُ
وفـضـائـل يـقـف الأعـاظـم خـشّـعًـا ... لجـلالهـا. ويـقـرهـا المـتـنـكّـرُ
تـزكـو بطابعها الـسـلـيـم فـتـزدهي ... بـشـعـاعـهـا طـرق الإبـــاء وتـزهـرُ

***

أحـسـين يـا طـهـر الإبـــاء. وعـالمًـا ... بـالـنـور والـوحـي المـقـدّس يـزخـرُ
ومـنـاعـة الإســـلام حـين يـمـسّـه ... عـوجٌ مـن الخطب البغيض ومنكرُ
يـا قـــدوةَ المـتـسـابـقـين إذا دنـا ... يـوم الـقـتـال وجمـــره المـتـسـعّـرُ
يـا قـائـدَ الأنـصـار لا ينـتـابـه ... جـــزعٌ. ولا صـمـصـامُـه يـتـكـسّـرُ
يـا دوحـــةً نـبـتـت بـروضـة هـاشـم ... هـديًـا، فـحـيّـاهـا الـنـبـيُّ وحـيـدرُ

***

مـــولاي يـا وهـــجَ الحـيـــاةِ تحيّـة ... مـنـي تـطـوف عـلى دمـــاك وتـنـشرُ
مـــاذا أقـــول فـكـلّ قـافـيـةٍ غـدت ... لهـبًـا تـسـيـلُ وجـــذوة تـتـسـعّـرُ

(١) عبـاس أبـو الطوس، الحسـين الخالد، مجلة العرفـان، المجلّـد الثالث والأربعون، الجـزء الأوّل، تشرين الأوّل١٩٥٥م، ص٧٩.

قطعٌ من القلب الجريح نثرتها ... شعرًا يفيض أسى عليك ويزخرُ
ملأ العروق على مصابك لاهبًا ... يتمزّق السلوان فيه وينتشرُ
كم مهجةٍ تلوى لرزئك لوعةً ... ولحزن يومك آهة. تتفجّرُ
في كلّ قلب حرقةٌ لا تنطفي ... وبكلّ عين دمعةٌ تتحيّرُ
سحقًا لقومٍ شايعوك فأضمروا ... لك ما يشين وللصواب تنكّروا
وتكالبوا زُمَرًا عليك وهلّلوا ... باسم الطغاة الفاجرين وكبّروا

الأدب الحديث في كربلاء[1]

مقدّمة الجزء الثاني لكتاب -دراسات أدبية- المعد للطبع

حينما بدأت بكتابة الدراسات لم أضع أمامي غاية الإثراء والربح ولم أفكّر في يوم من الأيّام ما سأطبعه سيدر عليَّ أرباحًا، ولكنّني رأيت أنَّ هؤلاء الذين يحرقون أنفسهم كشمعات عيد الميلاد ليضيئوا ليلة طربة لمن يحيطون بها لا بدّ أن يكون إنسان ذا غيرة يقوم فيشعرهم بأنّ هناك من يقدّر عملهم ويكبر روحهم ويشيد بمآثرهم ليزدادوا حماسًا واندفاعًا.

وعلى هذا الأساس وضعت حب الذات – الأنانيّة – التي تحرق أدباءنا كما تحرق النار نفسها وهي لا تشعره جانبًا وسافرت واتصلت وتحمّلت أعباء لا تخطر على البال وبعد زرع خمس سنوات حصدنا الجزء الأول فماذا كان؟.

كان الأدباء الذين كتبت عنهم لا يريدون أن يشتروا الكتاب وإنّما من الواجب عليّ أن أهديه إليهم -كما يعتقدون- لماذا؟ لأنّهم أصحاب فضل عليَّ وذلك لسماحهم لي بالكتابة عنهم، وفاتهم أن(ألف أديب على كحف أزرق) ولو أنّني عاملتهم بالمقايضة كما يفعل غيري من تجار الكتابة لما تحمّلت ما تحمّلت. وفوق كلّ هذا يقولون إنّ تشجيع الأديب واجب ولكنّهم يطالبون بأنفسهم فحسب، ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد بل إنّ بعض الناس ممن شجّع في المساعدة ببيع بعض النسخ، وعلى سواد هذه الحال

(١) غالب الناهي، الأدب الحديث في كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الثالث والأربعون، الجزء العاشر، تموز ١٩٥٦م، ص١١٠١.

يوقفني فلان ويقول: لماذا مدحت فلانًا أكثر منّي. ويقول فليتان: أنا صديقك وتبخل علي بكذا وكذا. وغيرهما من أدنياء النفس ومعدومي الكرامة يتصوّرون أنَّ عندي سوقًا أبيع فيه مكاييل المدح لزيد أو عمرو. ويدّعون الأدب بعد ذلك.

إن الأديب الذي يشره ويساوم على مكانته بالمدح لهو إنسان ذليل. وصدق الدكتور قيصر معتوق حينما قال: (يجب أن تكون أخلاق الأديب العامة وتصرفاته هي التي توحي بالكتابة عنه، فلا قيمة لأدب إنسان وضيع ولا سيّما وإنّ الأدب مرآة النفس).

وقضيت مدّةً وأنا أرد عتاب هذا وأقنع ذاك، ولقد صرفت في الجزء الأول من راحة البال واطمئنان النفس ما لو عود لنا بأبهظ الأثمان لما شالنا. حتى قلت في نفسي سأحطم القلم وأنزوي وأترك الدراسات للشيطان ولكنّ(الذي فينا ما يخلينا) كما يقول المثل الدارج، حيث سلّط عليّ شيطان أدب جديد من كربلاء هو الأستاذ سلمان هادي الطعمة ونثر أمامي قائمة لأسماء أدباء بعد مطالعة تراثهم رأيتهم لا يمكن السكوت عن ثلاثة أرباعهم.

والحقيقة أنّني ما كنت أعتقد أنّ في كربلاء نهضةً أدبيّة كما اتضح لي مؤخرًا. في كربلاء أدباء تشرق أفكارهم بكل بديع وتحلّق خواطرهم في أجواء اللانهاية وتسمو خيالاتهم لاجة في العلو فتفيض بأعذب الألحان وأجمل التغاريد في كربلاء شعراء مجيدون، وفي كربلاء كتّاب مبدعون، وفي كربلاء نهضة أدبيّة نسويّة عقدتها(فاطمة جواد الطعمة وفاضلة أحمد وابنة الفرات وغيرهن)، وفي كربلاء طاقة أدبيّة لو وزعت على العراق لكفته. إنّ أدباء كربلاء يمتازون بروحهم العالي، وخلقهم الرفيع لذلك جاء أدبهم وهو يزخر بالخلود وسيرغم الزمن على ذكره إذا ما طويت صحف الآباء وتكشفت أوراق الأجيال القادمة.

وعليه أيّها القارئ الكريم يجب أن لا تكون ممن يؤاخذ فلقد عمدنا إلى ذكر البارع والناشئ والمزمن للتشجيع وللاعتراف وللثناء كل بحسب مقدرته الفنية كما هي عادتنا، وأنا لا أرجو من وراء كل هذا غير خدمة الأدب وحده والله الموفق والمسدد للصواب.

حديث الشعر والأدب[1]

«وجهت -رابطة الفرات الأوسط - في كربلاء سكرتيرها السيّد سلمان هادي الطعمة لغرض طرح أسئلة عدّة تخص الحركة الأدبية والنشاط الأدبي المتوقّع، على أدباء كربلاء. فكان أوّل من وقع عليهم الاختيار هو الأستاذ الشاعر عباس أبو الطوس[2]...

والأستاذ عباس غني عن التعريف، فهو شاعر معروف في الأوساط الأدبية وله مكانة مرموقة في دنيا الأدب...».

س: الأستاذ عباس...

ما رأيكم في الشعر؟ أيعيش الشاعر لنفسه أم للمجتمع؟

ج: الشعر هو التعبير الذي ينطلق من مركز الإحساس والشعور الصادق، وكلما كان الإحساس حادًا كان الشعر قويًّا كالزوبعة. والشاعر أو الأديب هو ذلك الفنّان المبدع الذي يمسك ريشته بيد ويحدّق في وجه الحياة طويلًا بلا ملل، فإذا بالحياة تنتشر أمامه صورًا رائعة الحياة بأفراحها وأتراحها بقبيحها وجميلها، فإذا أدركنا هذا عرفنا أنّ

---

(١) سلمان هادي الطعمة، حديث الشعر والأدب، مجلة العرفان، المجلّد السادس والأربعون، الجزء السابع، آذار ١٩٥٩م، ص ٦٤٧- ٦٤٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو الشاعر عباس بن مهدي بن حمادي آل أبو الطوس، ولد في مدينة كربلاء عام ١٩٢٩م وفيها قضى حياته القصيرة ، كان له نشاط سياسي فاعتقل وسجن غير مرة في العصر الملكي (في العراق) حتى أصيب بروماتيزم القلب، مما أدى إلى رحيله شابًا عام ١٩٥٨م . سها صاحب القريشي، الاتجاه الديني في شعر عباس ابو الطوس، " تراث كربلاء"، كربلاء، العدد الاول، المجلد الخامس، السنة الخامسة، ٢٠١٨م ، ص ٢٦٩-٣٠٣.

الشاعر له حريّته وانطلاقه، إنّه يتأثر بكل شيء، إنّه مرهف الشعور«يا سيدي» فقد يتأثر الشاعر بموكب الغيوم السائر في الأفق وقد يتأثر بروعة الجمال وبالقمر وبمشاهد البؤس وبكل ما يمس الشعور والإحساس، فمن الظلم إذن نقيّد الشاعر أو الأديب بفكرة ما فليس هناك الفن للفن أو الفن للمجتمع وأظنّك«يا سيدي» ستجعلني برأيي هذا موضع السخط عند بعضهم وعند الآخرين بالعكس.

س: بأيّ شاعر عربي«شرقي» من القدماء والمحدثين تأثرتم؟

ج: إنّ هذا السؤال«يا سيدي» يثير لي ذكريات حلوة ومرة في آن واحد. إنّني أحببت بل وقدّست الشاعر العربي الذي وصل إلى القمّة بجدارة ألا وهو«المتنبي»، أمّا المحدثون فتأثرت إلى حد بعيد بأسلوب الشاعر الكبير المرحوم الأستاذ علي محمود طه المهندس والأستاذ الكبير الجواهري، كما أحببت أسلوب الأستاذ الشاعر الياس أبو شبكة وذلك في ديوانه«أفاعي الفردوس».

وبعد برهة قصيرة تناول فيها الشاعر سيجارة للراحة.. ألقيت عليه هذا السؤال:

س: ما رأيكم في أدب كربلاء الحديث؟

ج: إنّ الأدب الكربلائي مازال طفلًا لم يدرك النضوج والمستوى العالي بعد، ولكنّي آمل أنّ هذا الطفل سيكون له شأن عظيم في ميدان الأدب العربي، وسيسبق فرسان الأدب بحماس وتدفق. وإنّي في كل آونة وأخرى أشم رائحة البحتري وابن الرومي والمتنبي تذكو من خلال قصائد الشاعر الكبير عبد الحسين الحويزي، والدكتور الشاعر صالح جواد الطعمة والشاعر مهدي جاسم والأستاذ زكي الصرّاف. أمّا الأدباء الآخرون كالأستاذ مشكور الأسدي والدكتور محمّد جواد رضا«دعبل» والأستاذ حسن عبد

الأمير والأستاذ حسين فهمي الخزرجي والأستاذ عبد المجيد حسين السالم وغيرهم فلا عجب إن قلت هم المصابيح التي تنير الطريق للنشء وتبدد الدياجير الحالكة بأنوارها الساطعة.

س: هل هناك تجديد في أدب الفرات الأوسط؟ وكيف؟

ج: إنّ الأدب في مناطق الفرات الأوسط مازال متأخرًا لم يلتحق بقافلة الأدب العربي ولم يكن معاصرًا بالنسبة لعصرنا ومتطلباته والانقلابات الفكرية الهائلة به متأخرًا من ناحية التجديد ولا أقصد بالتجديد التجريد من القافية والوزن.. إنّ شعراء هذه المناطق لا يحاولون ولا أدري لماذا لا يحاولون دراسة التيارات الأدبية والاستفادة من النقد والمتناقضات إنّهم شعراء مناسبات لا غير خاصة في«النجف» ومن ينهل من فيضهم، إن شعر هؤلاء شعر تقليدي لا غير متأثر بالشاعر السيّد حيدر الحلّي والكواز والطباطبائي وباقي شعراء الفترة المظلمة؛ لأنهم لا يحاولون الابتعاد من هؤلاء بسبب لا أعرفه. بصراحة أقول إن هذا الشعر لا يشق من متطلبات العصر الحاضر ولا يمثّله بكل الوجوه.

وكما تعلم ويعلم الآخرون أن الشعر العصري لا يعتمد على إجادة اللغة: حصر المفردات الغريبة والعبارات البدوية«المعنجرة» فحسب، وإنما الأسلوب والأفكار والبحث على ضوء علم النفس الحديث.

وأخيرًا فإن مثل هذا النوع من الأدب يجب أن يمرّ عليه مقص التطور لبتر ما فسد منه وأعتقد أنّني أديت غرضك باختصار.

وكانت خاتمة المطاف أن ودعت الشاعر مصافحًا يده الكريمة شاكرًا إياه على هذه

الآراء الموجهة التي تخص الأدب والحياة، وسيكون مدار حديثنا القادم مع الأستاذ الشاعر مهدي جاسم، على أن نعود بالشاعر المبدع أبو الطوس مرة أخرى إذا سنحت لنا الظروف...

دمعة على أبي الطوس [1]

فقد الطف منك نجلًا وفيًّا ... وأدبيًّا وشاعرًا وطنيًّا
فاحتواك الأفول نجمًا مضيئًا ... وعراك الذبول غصنًا نديا
كنت للشعب مقولًا ولسانًا ... وعلى الغاصبين غصبًا جليا
فجزاك المستعمرون اعتقالا ... ولوتك السجون عودًا طريا
أنت جاريت في روائعك الشابي ... وقاسمته المنون فتيا
لم تزل تجرع الخطوب اضطهادًا ... وتقاسي الحرمان مرًّا رديا
صابرًا مرغمًا على شظف العيش ... غريبًا بأرضه منسيا
ظلّت حتى لشعبنا قيض الله ... بتموز منقذًا عبقريا
من صميم البلاد هب لتحطيم ... قوى الظلم والفساد جريا
دق عبد الكريم حصن الطواغيت ... وعفاه في التراب سويا
حيث فوجئت بالسرور وأحمتك ... طلا الانتصار مت نشيا
نمت بالعز في ثرى الوطن الحر ... وخلدت راضيًا مرضيا
بمراثيك للحسين افتخار ... وبها صرت بالرثاء حريا
لك من سيّد الأباة نصير ... يا أبا الطوس يوم تبعث حيا

(١) مرتضى الوهاب، دمعة على أبي الطوس، مجلة العرفان، المجلّد السادس والأربعون، الجزء السابع، آذار ١٩٥٩م، ص٦٤٣.

حي الوصي الطهر[1]

أُلقيت في مهرجان كربلاء بمناسبة مولد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ليلة ١٣ رجب ١٣٧٨هـ.

العدل يهتف في بليغ سروري ... قد جاء أكبر رائد ونصيرِ
والحقُّ يصرخ في وجوه خصومه ... قد جاء أفضل قائدٍ وسفيرِ
قد شرّف التاريخ أعظم ناشر ... صوت العدالة في أجل عصورِ
وأضاءت الدنيا لأشرف حامل ... علم الجهاد ومشعل التحريرِ
قد جاء خير مدمر صرح الفسا ... د ومنذر الطغيان بالتدميرِ
قد جاء عون الكادحين وراحم الـ ... مستضعفين وغوث كلّ أسيرِ
بطلٌ يخلّده الزمان معظما ... ويديمه التاريخ بالتكبيرِ
بطلٌ تمجده العصور وكلما ... حلمت به ذكرته بالتوقيرِ
بطلٌ تحييه الدهور وتنحني ... لجلاله أعناق كلّ فخورِ
بطلٌ وما أدراك من هذا الذي ... أعنيه في شعري وفي تعبيري
هذا عظيمٌ فوق كل معظّم ... هذا أمير فوق كلّ أميرِ
هذا علي سيّد الأبطال في ... عزم وفي حزم وفي تدبيرِ
هذا عليٌّ قدوة الأجيال في ... الأقوال والأعمال والتفكيرِ
ملأ الزمان مناقبًا ومآثرًا ... لم تبلَّ بالترديد والتكريرِ

(١) مرتضى القزويني، حي الوصي الطهر، مجلة العرفان، المجلّد السادس والأربعون، الجزء الثامن، نيسان ١٩٥٩م، ص٧٥٧.

ويسجّل التاريخ عنه مواقفًا ... جلّت عن الترقيم والتسطيرِ
شهدت ميادين الجهاد بأنّه ... أقوى نصير للهدى وظهيرِ
ولديه ساحات الوغى قد أذعنت ... بضرابه وطعانه المشهورِ
ليثٌ يكرّ على الطغاة فلم يعد ... إلّا ويحصد رأس كلّ كفورِ
قرم يمزّق بالحسام صفوفهم ... فيطيح صارمه بكلّ حقيرِ
صقرٌ يقضُّ على أشم فريسة ... من معتدٍ أو ظالم شرّيرِ
يدر الطغاة سوابحًا بدمائهم ... فيعيد للطغيان شرّ مصيرِ
تقتصُّ سيرته الشعوب وكم لنا ... في سيرة العظماء من مذخورِ
أحيى العدالة في أتمّ وجوهها ... ومحا أساس الكذب والتزويرِ
لكنّما الأقدار حالت دونه ... ما حيلة المخلوق للتقديرِ
وله خصال لا يحيط بوصفها ... عقلي ويقصر عن مداه شعوري
خلقٌ أرقّ من النسيم يزينه ... صبرٌ تجاوز صبر كلّ صبورِ
غضبٌ لوجه الحق برسله فيكسـ ... ـح كلّ غدار وكلّ كفورِ
حلمٌ وصفحٌ قد طواه بصدره ... ليكاد يطمع كلّ ذي تقصيرِ
ورعٌ وزهدٌ بالغان وعفة ... ومروءة قرنت بخير ضميرِ
كرمٌ يطير له الحجى وسماحة ... عنها ليقصر دقة التعبيرِ
علمٌ وعاه عن النبي وحكمة ... وفصاحة كانت بغير نظيرِ
وبلاغة لو خضت فيها لم تجد ... (نهج البلاغة) نقطة لبحورِ
أمّا شجاعته فلم يرَ مثلها ... وعصت على التعريف والتقديرِ
والحق يشهد أنّ فطرة حيدر ... جلّت عن التحليل والتفسيرِ
حي الوصي الطهر حيدرة الذي ... أثنت عليه آية التطهيرِ

ولــه رســـول الله خــصّ ولايــة أوحـــى بهـا الـقـرآن يـوم غـديـرِ
وبـفـضـلـه نـطـق الـكـتـاب ويـا له لـلـمـصـطـفـى مـن وارث ووزيـرِ
حـي الـوصي وحـي فـيـه جـهـاده واشـــدد بـكـلّ مجـاهـدٍ وغـيـورِ
لا سيما البطل الـذي قـهـر العـدى مـن كـلّ جـبّـار وكـلّ أجـيـرِ
ضـحّـى بـمـهـجـتـه لخـير بـلاده وأبـــاد كـلّ مـنـافـق مـأجـورِ

أبو الشهداء [1]

ألقيت في مهرجان كربلاء بمناسبة مولد أبي الأحرار الإمام الحسين بن علي عليه السلام في ليلة ٣ شعبان الموافق ١٠-٢-١٩٥٩م.

أرى في قاعة العليا صراعا ... وبين الحق والبطل النزاعا
أرى ظلمات بغي وهي تسطو ... على الأنوار تدفعها دفاعا
وموج النور يخرجها برفق ... ويبعث في خلاياها الشعاعا
وقفت أجيل في التفكير عقلي ... وقد أوقفت من عجبي البراعا
لأني لم أصدق أن يوماً ... أرى الإلحاد يعلونا ارتفاعا
فلم الحظ سوى الأمواج صالت ... فعمّت بالسنا تلك البقاعا
وصوت الحق هلل والبرايا ... لذاك الصوت قد خروا انصياعا
وزيّن مسمع الدنيا هتاف ... ألا يا تائهون لنا سماعا
لقد ولد الحسين وفيه شعّت ... سمانا والدجى انقشع انقشاعا
لواء العدل رفرف في الأعالي ... فركن الظلم جهرًا قد تداعى
وطأطئ أيها الإلحاد رأسًا ... فداعي الحق بالتوحيد ضاعا
وأنشد أيها القمري لحنًا ... مثيرًا كلّ من في الحب لاعا
ورتح أيها الإسلام عطافا ... فان الشرك من بشراك ريحا
وصارع إن رأيت الكفر ينوي ... صراعًا لا تخف هذا الصراعا

(١) صدر الدين الشهرستاني، أبو الشهداء، مجلة العرفان، المجلّد السادس والأربعون، الجزء الثامن، نيسان ١٩٥٩م، ص٧٤٢- ٧٤٣.

فـــإن الحـــق يـعـلـو ثـم يـعـلـو ... فـلا يخـشـى الجـهـالـة والـرعـاعـا
وسر إثـــر الحـسـين بـكـل شـوق ... تـعـيـد لـديـنـك الـــشرف المضـاعـا
أبـا الـشـهـداء قـد أعـطـيـت درسًـا ... مـفـيـدا وهـــو حـــق أن يـذاعـا
وقـفـت مـنـاضـلًا كـالـطـود تحمي ... كـيـان الحـــق لا تخـشـى الـقـراعـا
وقـفـت مجـاهـدًا تـبـغـي قـضـاءً ... عـلى الـطـغـيـان مـقـدامًـا شـجـاعًـا
وقـفـت مـشـيـدًا صرحًـــا بـنـاه ... لـنـا الإســـلام فـارتـفـع ارتـفـاعـا
وقـفـت مـوضـحًـا نـهـجًـا قـويـما ... لـتـحـريـر الـشـعـوب أتـى وذاعـا
وقـفـت فـصرت لـلـثـوار رمـــزًا ... ولـلـمـسـتـضـعـفـين أبًـــا مـطـاعـا
ومـثـلـت الـعـدالـة وهـــي نـور ... يـشـعّ لـذي الـنـجـوى مـثـلًا مشاعا
أبـــا الـــشـهـداء والـدنـيـا تحـيـي ... نـضـالـك بـل ثـبـاتـك والـدفـاعـا
وإنـــك قـــدوة الأحـــرار تـعـطـي ... دروسًـــا لـلـذي يـهـوى انـتـفـاعـا
أراد الـظـالـمـون لـنـا فـنـاءً ... وأهـلـك لـؤمـهـم مـنـا الجـيـاعـا
ولـكـن الأســـود إذا أهـيـجـت ... فـلا تـبـقـي الـثـعـالـب والـضـبـاعـا
وهـا هـو ذا الـعـراق يـعـيش حـرًا ... بـثـورة عـبـقـري لـن يـضـاعـا
فـــذا عـبـد كـريـم أتي لـيردي ... بـقـوتـه الـبـطـالـة والخـداعـا
ويـبـنـي مجـد شـعـب هـدمـتـه ... يـد قـطـعـت بـصـارمـه انـقـطـاعـا
فـحـيـاه الإلـــه وعـــاش ذخـــرًا ... ونـــورًا يـمـلأ الـدنـيـا شـجـاعـا

أخي عباس[1]

إلى روح شاعر كربلاء الخالد عباس أبو الطوس

مـررت حلـمًا بجفني نعـمًا رطبا ... وطفت لحنًا بفكري رائعًا عذبا
نبعت غصن حياة مائسًا لدنًا ... وثبت منية قدس أنبتت عجبا
وكنت مثل الربيع الطلق ذي أرج ... يشع لطفًا وبدرًا يخرق الحجبا
وكنت كأس حياة لم تزل ثلثًا ... لكن سرعان ما ينبوعها نضبا
عجبت للبلبل الغريد سكتته ... قد أوقدت بفؤادي المبتلي لهبا
عجبت كيف استحالت نغمة شحنت ... لطفًا وأنسًا وذاك الصوت كيف خبا
آمنت بالله.. واستنكرت من قدر ... قد خط موتك.. يا بئس الذي كتبا
لعنت ذاك الغراب الشؤم ينبئني ... بما أصبت.. ويبكيني بما نعبا
غنيت للناس ألحانًا مرنمة ... أرقه خمره تسبي الذي شربا
وقلت شعرًا إذا ما سال منهمرًا ... تدفق العزم منه وابلًا سكبا
نظمت تلك القوافي الحمر شاربة ... دم الفؤاد.. بكأس أثقلت حببا
مزية تلك يمتاز الهداة بها ... أن يعصروا للأنام القلب والعصبا
قد عشت عمرًا قصيرًا ملؤ أشهره ... جوع.. وقد شحنت أيامه تعبا
قد ضاع ما بين سقم دائم وأذى ... وهمة لغريف يدفع السغبا
وصنت شان الألى كانت مناهجهم ... سوية.. فلقيت الويل والحربا

(١) محمّد هادي الشربتي، أخي عباس، مجلة العرفان، المجلّد السابع والأربعون، الجزء الخامس، شباط ١٩٦٠م، ص٤٤٩-٤٥١.

نافحت والناس مشغولون مندفعًا ... لنصرة الشعب والحق الذي ذهبا
وقلت غير مبال ما ستحصده ... قول الحقيقة واخترت العلى سببا
لم تبقَ بعدك لا مالًا ولا نشبًا ... ولا عقار تدر المال.. والذهبا
لكنها سيرة بيضاء يحمدها ... فم الزمان وجلّت تلك مكتسبا
قدّست خالصة لله تضحية ... وللبلاد.. وقد أحسنت منقلبا
قدّمت غصن ذراع للجديد ومن ... دم الفؤاد خططت المنهج اللحبا
نهضت رغم سقام كنت تكتمه ... وثرت رغم فؤاد يشتكي العطبا
وجلت لا شرطًا تخشى ولا خدمًا ... للبغي أو حارسًا في الليل مرتقبا
أو جلدة من سياط البغي إن نزلت ... على الظهور يعود الجلد ملتهبا
من قعر مظلمة قد كنت تسكنها ... أخرجت للعالمين الشعر والأدبا
وفوق جرد حصير كنت تملكه ... كافحت لا منصبا تبتغي ولا رتبا
قنعت بالعيش مرًا دون ما مللٍ ... ولم ترد مغنمًا أو مرتقى كذبا
تقضي نهارك في كدٍّ وفي تعب ... للقمة.. وتقضي الليل محتسبا
ترمي الدجى شررًا في الصدر تنفثه ... قصائدًا تتمشى خردًا عربا
وتكظم الغيظ في قلب أخي تعب ... حيران لا يشتكي سقمًا ولا رعبا
وتأكل الحقد مثل النار تمضغه ... في حين كنت بكذب البشر منتقبا
وتشتكي من أوار لا تطيق لها ... دفعًا وتحضن ما بين الضلوع ظبا
عباس تلك سنون قد مضت وقضت ... وذكرها لم يزل في العين منتصبا
أيام قد كان ثالوث على رعدٍ ... أنا وأنت وهم يورث اللغبا
ثالوثًا الثالث المسعور من نهمٍ ... يسلّ من مقلتينا الدمع والهدبا
أيام لا تملك الفلسين تنفقها ... وكنت مثلك لا مال ولا نشبا

كنا وخرق قميص كان يسترنا ... إذ يرتدي الأرذلون الخز والقصبا
وجلّ ما ملكت أيماننا قبس ... من الضمير..يمد المقول الذربا
وألسن يشهد السماع أن لها ... وقعًا عظيمًا يفوق الصارم القضبا
مواقف لك لازالت ترددها ... أفواهنا إن ذكرنا الشعر والخطبا
ألست أنت الذي إن قلت قافية ... ضجّ المكان من التمجيد واصطخبا
حلفت بالكون والسجن الخضيب دمًا ... من كل حر.. كمثل السيل منسكبا
وأذرع تتلقى الموت باسمة ... وبالصدور انتشت أضلاعها غضبا
والميتين عطاشًا دون ما جرم ... والماء يجري زلالًا سائغًا عذبا
وبركة من دم قد بات يلعقها ... طاغٍ لمستعمرٍ باغٍ غدا ذنبا
بأن ذكراك لما تنجلي أبدًا ... يخطها من حكى أو قال أو كتبا
آمنت بالدم بناء لدولتنا ... يصون للشعب ما أملى وما كسبا
آمنت بالدم يغدو اليوم محكمة ... للشعب.. تسقي الطغاة الويل والحربا
وأضلع ناثرات تغتدي قفصًا ... به يطير متاع المجرمين هبا
آمنت بالدم يغدو مصفحة ... تدك للآثمين المعقل الرحبا
آمنت بالدم دستورًا يخط لنا ... حقًا ويكتب تاريخًا بما وهبا
عباس قد كنت أرجو غير مكتئب ... والدهر غير الذي أرجوه قد رغبا
مررت حلمًا بجفني ناعمًا رطبًا ... وطفت لحنًا بفكري رائعًا عذبا

النشاط الأدبي في كربلاء[1]

إنّ الكتابة عن أدب كربلاء تتطلب وقتًا طويلًا وعملًا متواصلًا، فبالرغم من الكتابات والبحوث الأدبية التي كتبت عن أدب كربلاء وشعرائها لم تزل هنالك جوانب أدبية جديرة بالاهتمام والبحث لم يكتب عنها حتى الآن، وفي آفاق هذه الجوانب تلتمع بين الحين والآخر إشراقات أدبية جديدة تعكس أضواءها الشاعرية على الجبل فينثر الهمم وتتنبأ بمستقبل طيب، ولا غرو فإنّ كربلاء بسبب مركزها الديني في العالم الإسلامي كانت ولا تزال قبلة أنظار المسلمين ومهدًا للحركة الأدبية والعلمية والسياسية أيضًا. ومن يتطلع إلى تاريخ العراق يجد أنّ أوّل صرخة وطنية دوت في سمائه فأرعبت الدخلاء كان مصدرها من كربلاء وفتوى عالمها الكبير المرحوم الشيخ محمّد تقي الشيرازي الحائري قائد ثورة العشرين فضلًا عن الاجتماعات والمؤتمرات السياسية الكبرى التي كان يحضرها رجال الدولة العراقية ونتيجة لهذا النشاط والحركة المستمرة بلا ركود أثّرت على أحاسيس شعرائها وأدبائها تأثيرًا بالغ الأهميّة، ولهذا السبب بالذات نلمس في قصائدهم حرارة وقوة لا مثيل لها، ولو نشرت دواوين هؤلاء النجوم لأسدت خدمة ثمينة إلى الأدب العربي، ولكن لعدم توافر أسباب النشر وأسباب أخرى بقي هذا التراث الضخم أسير الظلمة ينتظر النور. وظل أدب كربلاء يتقدّم حثيثًا ليساير ركب الأدب في العالم العربي على الرغم من الصعوبات والعراقيل المبثوثة أمامهم حتى يومنا هذا...

---

(١) عباس أبو الطوس، النشاط الأدبي في كربلاء، مجلة العرفان، المجلد السابع والأربعون، الجزء الثامن، نيسان ١٩٦٠م، ص٧٦٥-٧٦٧.

وقد يتساءل القارئ عن أدبائها المعاصرين فأقول: إنّ هناك بواكير أدبية جديدة ظهرت وبرزت إلى عالم النور، وهذه البواكير لا تقل روعة وفنًّا عن الأدب العربي بصورة عامة، ومن بين هذه الأدبيات الناضجة ديواني(ظلام الغيوم) و(ربيع المحتضر) للدكتور الشاعر صالح جواد الطعمة[١]، وديوان الشاعر المجدّد الأستاذ زكي الصرّاف[٢] الموسوم بـ(ليالي الشباب) وكتاب(مع الشعب الإيراني) و(العمّة لؤلؤة) للأستاذ مهدي جاسم[٣]. وهناك مؤلّفات جديرة بالإعجاب والتشجيع كقصة(الأمل الضائع) الشعرية

---

(١) [مركز تراث كربلاء] وهو أديب ومؤلف وشاعر وباحث أكاديمي عراقي، ولد في كربلاء عام ١٩٢٩م وتخرّج من دار المعلمين في بغداد عام ١٩٥٢ ثمّ حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد في أميركا عام ١٩٥٧م ثم عمل مدرّسًا في كليّة التربية في العراق ثمّ ملحقًا ثقافيًا في السفارة العراقية في واشنطن، وأشتهر بالتأليف والبحث العلمي. له عدد كبير من المقالات والأبحاث المنشورة. ينظر: علي عباس سلمان، صالح جواد ال طعمة شعره واسهاماته النقدية ، اطروحة دكتوراه ، (جامعة كربلاء: كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٤).

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو زكي عبدالحسين بن مهدي الأسدي الشهير بالصّراف، ولد في مدينة كربلاء عام ١٩٣٢م، قضى حياته العملية بين بغداد ولندن، وقد غلبت مهنة والده (الصرافة) على لقبه، تلقى تعليمه الاولي كربلاء ، ثم التحق بكلية الآداب في جامعة بغداد، وتخرج مدرساً في التعليم الثانوي، ودفعه طموحه إلى استكمال الدراسة العليا فحصل على الماجستير ثم الدكتوراه، وغدا مدرسًا في كلية الآداب بجامعة بغداد. توفي بلندن عام ١٩٩٦م. ينظر: كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ، (بغداد: مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٩م)، ج٢، ص٣٤.

(٣) [مركز تراث كربلاء] هو مهدي بن جاسم الشماسي، ولد في مدينة كربلاء عام ١٩٢٠م، تلقى تعليمه الأولي في مدارس كربلاء، ثم قصد بغداد فالتحق بدار المعلمين الابتدائية وتخرج فيها، كما أتقن اللغة الفارسية.

عمل مدرسًا في مدارس كربلاء الابتدائية، ثم مديرًا لمدرسة الحسين الابتدائية للبنين، ثم عمل موظفًا في الإدارة المحلية لمدينة كربلاء، توفي بكربلاء عام ١٩٧٩م تاركاً العديد من الاعمال الادبية. للتفاصيل ينظر: كوركيس عواد، المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٢.

وكتاب(شاعرات العراق المعاصرات) للشاعر الناهض سلمان هادي الطعمة، وهنا أود أن أشير إلى أنّ هذا الأخير قد لمع نجمه فجأة في سماء الأدب الكربلائي وله بحوث وقصائد غير مطبوعة في ديوان، ومن العاملين المتحمسين في تشكيل الندوة الأدبية الجديدة في كربلاء(رابطة الفرات الأوسط) ومن بين هؤلاء الذين لم أذكر أسماءهم شاعر الملاحم المطوّلة والدواوين القيّمة الشاعر الكبير الشيخ عبد الحسين الحويزي[1] الذي جاوز عمره التسعين عامًا، والشاعر المبدع الأستاذ السيّد مرتضى الوهاب، والأستاذ الأديب مشكور الأسدي والأستاذ الأديب حسين فهمي الخزرجي والمؤرخ الدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة والأستاذ ضياء الدين أبو الحَب وغيرهم. إنّ هؤلاء الذين ذكرتهم يستغلون كل فرصة وكل مناسبة في سبيل تنشيط الحركة الأدبية وبعث الروح فيها، على الرغم من أنّ هؤلاء يؤلّفون جزءًا يسيرًا من الكثير. فلم تحل هناك مناسبة كذكرى ميلاد الرسول الأعظم ﷺ ومولد الحسين عليه السلام والمهرجانات الدينية الأخرى إلّا ونرى المئات والألوف تحتشد في الروضتين المقدّستين للاستماع لما تتفجر من القرائح الفياضة التي يثيرها الإلهام والنبوغ الأدبي، وأكثر هذه المهرجانات الأدبية تحتوي مناهجها على مواد أدبية(دسمة) تطفح بالتوجيه والإرشاد وإثارة الهمم نحو المثل العليا، وهذه المواد يحق لها أن تنشر وتذاع. وخليق أن نشير إلى ناحية أخرى هي تلك الاجتماعات والحلقات الأدبية

(١) [مركز تراث كربلاء] هو عبدالحسين بن عمران بن حسين بن يوسف الحويزي، ولد في مدينة النجف عام ١٨٦٧م، لقب «الحويزي» نسبة إلى الحويزة التي هاجر منها جده من الأهواز إلى العراق، كان أبوه بزازًا (تاجر أقمشة) فلازمه واحترف مهنته. وتتلمذ على يد شعراء زمانه وعلمائه، وقد قرأ عليهم علوم البلاغة، كما قرأ الفقه والأصول، كان يملك القدرة على ارتجال الشعر، كما كان جريئًا في شعره وفي مواقفه توفي بكربلاء عام ١٩٥٧م .للتفاصيل ينظر: علي الخاقاني، شعراء الغري، (قم: مكتبة اية الله المرعشي، ١٤٠٨هـ) ، ج٥، ص٢٣١-٢٦٤.

المنتشرة هنا وهناك صباحًا ومساءً في أرجاء مدينة الحسين عليه السلام المقدّسة كاجتماع أسرة آل القزويني وما يرافقهم من العلماء والأدباء في الروضة العباسية، والاجتماع الذي ينعقد عند الأستاذ الأديب حسن عبد الأمير والذي يزوره بين حين وآخر شعراء النجف ومنهم الشيخ محمّد اليعقوبي، والاجتماع الذي ينعقد عند السيّد صدر الدين الشهرستاني[1] في الروضة الحسينية، والاجتماعات الممتعة التي تنعقد مع الأستاذ المحامي مهدي عباس الحائري، واجتماعات أخرى نكف عن ذكرها الآن.

وفي الآونة الأخيرة ضمّت كربلاء ابنها البار الأستاذ جاسم آل كلكاوي مطبعة جديدة لتسهيل حركة الطباعة والنشر. كما ظهرت مكتبات عامة عدة تحتوي على الآف الكتب الأدبية والدينية القيّمة وهي كما يلي: المكتبة الجعفرية ومقرها في مدرسة الهندية، ومكتبة سيد الشهداء، ومكتبة الإمام الباقر عليه السلام، ومكتبة التهذيب، وغيرها، فضلًا عن وجود مكتبات قديمة يعجز عن حصرها القلم مثل مكتبة السيّد عبد الحسين آل طعمة سادن الروضة الحسينية.

(١) صاحب مجلة(رسالة الشرق) الكربلائية الصادرة عام ١٩٥٤م.

أيها الشهيد الأبي[1]

دون المبادئ قد فديت وجودا ... ورميت رميًا في السلاح سديدا
ومضيت محمود الخصال منزها ... وتركت ذكرًا لا يزال مجيدا
ونهجت نهجًا في الفضيلة حائز الـ ... شرف المؤثل طارفًا وتليدا
ونهضت نهضة سيد غدرت به ... ضعة العبيد وأخلفته رعودا
ووثبت وثبة ضيغم قد غاظه ... شر الكلاب فهب يردي الصيدا
حلقت في جو الإباء مشمرًا ... عن ساعديك ومشرئبًّا جيدا
وسللت سيفك في وجوه طالما ... تخذت لها طيش الهوى معبودا
وشرعت رمحك في صدور أضمرت ... لبني النبي ضغائنا وحقودا
قابلت وجههم بوجه عابس ... وفللت جمعهم وكنت فريدا
تبت يدا فئة جفتك ونافقت ... في الدين واختارت عليك مزيدا
تنسى الدهور الذكريات فتنقضي ... وتزيلها مهما اقتضت تشييدا
وتخف وقع الفادحات إذا مضى ... زمن، وإن كان المصاب شديدا
لكن ذكرك يا بن بنت محمّد ... يبقى على مر السنين بديدا
وبكل عام ينجلي متحليّا ... للمجد ثوبًا والفخار برودا
يا قدوة الأحرار قبرك مخبأ ... الأسرار لاذ به العفاة وقودا
هو مهبط البركات قد حفّت به ... زمر الملائك ركعًا وسجودا

(١) مرتضى القزويني، أيها الشهيد الأبي، مجلة العرفان، المجلّد الثامن والأربعون، الجزء الأوّل، أيلول ١٩٦٠م ص٧٩-٨٠.

يـرنـو إلـيـك المصـلـحـون ليقتنوا ... درس الـفـضـيـلـة غـيـبـا وشـهـودا
يـلـقـي بـه درس الإبـــاء لمـن له ... قـلـب وألـقـى الـسـمـع ثـم شهيدا
يـدعـو هـتـافًـا بـالـذيـن تحـمـلـوا ... ضـيـمًا وأحـنـوا لـلـمـذلـة جـيـدا
ضحوا النفوس لتستعيدوا مجدكم ... واستبسلوا كي تـدركـوا المقصودا
ثـوروا على الظلم العتيد وقاوموا الـ ... طـاغـي الـعـنـيـد لـتـبـلـغـوا المنـشـودا
واسترخصوا الإدراج في نيل المنى ... لا تخـشـوا الإرهـــاب والـتـهـديـدا
فـلـيـحـي مجـدك يـا حـسـين مخـلـدًا ... ولـيـبـقَ ذكـــرك يـا شـهـيـد مجـيـدا
يـا سـيـد الأبـــرار قـد هـزت شجا ... ك الـراسـيـات وشـقـت الجـلـمـودا
يـا بهجة المختار ضعضع قلبك الإ ... ســلام والإيـــمان والـتـوحـيـدا
ورفـعـت رأس الفخر تـرنـو للعلا ... حـزت الـسـعـادة إذ مضيت حميدا
وتركت صوت الحق يدوي صارخًا ... بيّـضـت وجـهـي إذ صرعـت فقيدا
لـك في محـاني الطف صيحتك التي ... مـــلات ســـماع الـعـالـمـين نـشـيـدا
أنـا قـــدوة لـلـمـصـلـحـين أقـودهـم ... نـحـو الـفـضـيـلـة سـائـعًـا وشـهـيـدا
هـــذا دمـــي فـلـترو ظـامـيـة الـظبى ... مـنـه، ولي تـعـزى الـسـيـوف وريـدا
هـــذي نـسـائـي تـسـتـبـاح حريمها ... قـــسـرًا وتهـــدي لـلـبـغـي يـزيـدا
عـش خـالـدًا فالبيض في صفحاتها ... كـتـبـت لـذكـرك يـا حـسـين خـلـودا

الأشواق الحائرة[1]

ديوان شعر للأديب سلمان هادي الطعمة

قدم له الدكتور يوسف عز الدين[2]

شاعرية مبكرة، تطالعك في هذا الديوان اللطيف الذي يضم إحدى وأربعين قصيدة لا بل باقة من عطر الزهر وأريجه.

لقد توقفت عند قصائده التالية:

أ- لقاء مع الربيع.

ب- حنين.

ج-بين الظلال.

د-ليل بغداد.

أجل وقفت وقفة غير قصيرة اتنسم شاعرية عبقة، تعرف كيف تختار الكلمة الشاعرة التي تنطوي على النفحة العاطفية العطرة.

---

(١) روكس بن زائد العزيزي، الأشواق الحائرة، مجلة العرفان، المجلّد الخمسون، الجزء العاشر، آيار ١٩٦٣م، ص٩٤٧-٩٥٠.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو شاعر وأستاذ جامعي عراقي. ولد في مدينة بعقوبة عام ١٩٢٢م، ودرس فيها دراسته الاولية، ثم التحق بكليّة الآداب في جامعة الإسكندرية قسم اللغة العربية، ثم اكمل الماجستير والدكتوراه في جامعة لندن، عمل في عدة مناصب ادارية وعلمية ، توفي في بريطانيا عام ٢٠١٣م . اميل يعقوب، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤)، ج٣، ص ١٤٠٨.

لا أنكر أنّ بعض قصائد الشاعر تفيض بالهنم المادي نتيجة لما يعاني الشاعر وكل شباب في مثل سنِّه من تزمت المحيط، وحدة التقاليد، التي تكاد تبلغ الجمود أحيانًا...

أمّا عاطفة الشاعر الوطنية فصادقة، فيها عمق، وفيها عنف، وقد تتحول أحيانًا نقمة حائرة، تشبه صمصمة الجواد الجريح في المعركة، وتضرعات المتصوف!

والذي أعتقده غير محاب، أن هذا الشاب سيكون له شأن في عالم الشعر، إذا هو واصل ما اختط لنفسه من نهج واضح قويم.

فأشعاره الوطنية فيها كما قلت نقمة وفيها ثورة جامحة، ترى ذلك في قصيدته(الجزائر الدامية) فمن قوله في هذه القصيدة:

زحف الفيلق يا نفس اشهدي موكب الظلم، وهول المشهد
وأعبري جسر المنايا واصمدي واكسري بالعزم قيد المعتدي
لا نهاب الموت مهما بلغت سطوة المستعمر المستعبد

ولعل أروع ما في ديوانه أنه يصوّر نفسية الشبّان في محيطه أدق تصوير.

أمّا غزله فتغلب عليه المادية، وهو حب صادق.

أمّا الفستان الوردي، فتكاد تكون أعرق في مادتها من(ليل بغداد). ولعل من رفيق الشعر وشاعره مقطوعة(ندى في يوم مولدها).

يا حلمًا مر على خاطري أعبق من نفح الشذى العاطر
يفوح منها المسك في رقّة يا للهوى والعاشق الساهر
ويسطع النور بأبرادها ووجهها كالقمر الباهر
ويبسم الورد لها بهجة كبسمة الإشفاق للناظر

ومن أرق شعره(لوعة القبل)، ولعل قراءتها خير من الاقتطاف منها، وقصيدته (دوامة السأم) تفيض بالحيرة النفسية والألم، إلى حد يقرب الشاعر من التشاؤم المظلم، لولا أنه يعود إلى آخرها فيقول:

ألا يا نفسي كفي اللوم فالبشرى تناجيني!

وتلمس اللوعة القاسية من قصيدته:

يا أخي هذا وبال ومصاب وبلاء!

ليس إلا غصب حقّ واضطهاد وافتراء!

إننا لنزرع والآخر يجني ما يشاء!

أفنرضى، ينهب الزرع أناس دخلاء؟

وقد قرأنا في الديوان قصائد تكاد تكون عناوينها نفسها شعرًا.

أ -الأماني المخفية.

ب ـ أشجان.

ج ـ أحلام.

لا أنكر أني لم أكن راضيًا عن بعض التعابير لأنها في رأيي ليست فيها رواء شعر الشاعر كقوله:

ذبلت بموتك دوحة الأمجاد وطغى المصاب وشب في الأكباد

فخير من عجز البيت قوله: نار المصاب تشب في الأكباد

وقوله:

وتزودت بندى يديك مكارم وتفجرت كالسيل دون نفاد

فخير من عجز البيت القول:

وتتابعت أو وتفجرت كالسيل ذي الأزباد:

وقصيدته دموع الشعر فيها ذبول:

وقوله في قصيدته(آية عميد الدين):

فالنفس في لجب من الكرب والقلب رهن الحزن والكرب

لا أراني راضيًا عنه، وخير منه عندي القول:

فالنفس في لج من الألم والقلب رهن الحزن والكرب

وقد تميز الشاعر بالوفاء بقصيدته المنوّه بها هذه(دموع الشعر) فإذا كان العرب قديمًا قد أنكروا هذه الأشعار وعدوها من المآخذ على أبي نواس يوم قال:

بحّ صوت المال منك مما يشكو ويصيح

فأخذوا عليه إثباته الصوت للمال، وانكروا بحة الصوت هذه، فإني أرى في دموع الشعر شعرًا:

وأرى في قوله:

عبس الفجر واحتواه الذهول حينما لفه المصاب الجليل

لوعة عميقة.

ولعل الذي يعرف ما اتصف به هذا الشاعر الشاب من الصفات التي تقربه إلى القلب، يرى أن الشعر فيه سجية، فهو جم التواضع، شديد الوفاء لأصدقائه، ومبادئه وعهوده، دائب على البحث والكتابة فقد طبع له إلى الآن.

أ- الأمل الضائع – شعر سنة ١٩٥٤م.

ب ـ شاعرات العراق المعاصرات سنة ١٩٥٥م.

ج ـ ديوان الحسين الكربلائي جمع وتحقيق سنة ١٩٦٠م.

د ـ أبو المحاسن دراسة أدبية سنة ١٩٦٢م.

وهذا الديوان.

وله كتب مخطوطة تنتظر الطبع، وهو لا يفتأ يتصل برجال الفكر والأدب، وله مقالات في العديد من الصحف والمجلات، وهو من أسرة السادة آل طعمة التي كانت تعرف فيها مضى بقبيلة(آل فائز) وهي من أقدم القبائل العربية التي تدبرت كربلاء سنة ٢٤٦ للهجرة وينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام تلقى علومه في مدرسة باب الطاق، وثانوية كربلاء، والتحق بدار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٥٦م وعيّن معلمًا بعد نجاحه في الامتحان سنة ١٩٥٦م، وما زال يمارس مهنة التعليم الشاقة المقدّسة.

وقد نشر بعض قصائده في مجلّة العرفان الشهيرة، ومجلّة الأديب المعروفة، وأسس سنة ١٩٥٧م ندوة أدبية اسمها (رابطة الفرات الأوسط) كان من أعمالها تنشيط الحركة الأدبية في كربلاء.

وله سهم رابح في دعم الحركة الأدبية والفكرية في تلك الربوع.

وفي ديوانه هذا يشير إلى أن هذا الشاب سيكون له شأن في عالم الأدب، وإن كانت بعض قصائده لم تبلغ المستوى الذي كنا نرجو لها.

بقيت نقطة لا بدّ من التنبيه عليها، وهي انّ نشاط شاعرنا إذا استمر، ولا أخاله إلّا مستمرًا، فإنه سيضمن له، ولإنتاجه طيب الذكر، وحسن الاحدوثة.

إلى شهيد كربلاء[1]

(بمناسبة ذكرى عاشوراء)

على روح الحسين، على الرفات ... على البطل الشهيد تأوهاتي
سأحبسها سعيرًا في فؤادي ... وأخنقها زفيرًا في لهائي
فما موت العظيم سوى حياة ... وما عيش الذليل سوى الممات
وما كان الحسين إلى الدموع ... بمحتاج ولا لتنهدات
بمصرعه على الأجيال نصر ... لأصحاب النفوس الطيبات
فيا سبط الرسول ووالديه! ... على أرواحكم أزكى الصلاة
أبوك حمى العقيدة يوم راحت ... جيوش الشرك تعبث بالهداة
وثار على الضلال فكافأته ... بأحقر طعنة زمر الجناة
ألا شلت يد الجاني وسحقًا ... لها عند الأبالس من أداة
وجدك علم الإسلام دينًا ... بآيات السماء البينات
وبالقرآن وحيّ الحق أجرى ... ينابيع الهدى المتفجرات
فأروى الجاهلية بعد قيظ ... كمثل الغيث في الأرض الموات
فكوفئ باضطهاد وانتقام ... وما سلم النبي من الأذاة
وأمك درّة الإسلام كانت ... وسيدة النساء الفاضلات
تلألأ ذكرها بأب وزوج ... وبابنيها، بسفر الخالدات
هو التاريخ يهتف في ذراه ... ويرشقنا بمحموم العظات

(١) يوسف أبو رزق، إلى شهيد كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الخامس والخمسون، العددان الأوّل والثاني، حزيران وتموز١٩٦٧م، ص١١٣-١١٥.

ضمير الشر لا تفرح بقتل الحسـ ـين وبانتهاك مقدّساتي
ضمير الشر ذلّ الموت دون انتصارات النفوس الفضليات
دم الأحرار بركان انتقام تفجره السماء على البغاة
هناءك كربلاء! بكل طيب نشقت من الدماء العاطرات
هناء التراب فيك يشع تبرًا تضمخ بالنفوس الذاهبات
شهيد الحقّ! عفوك عن جموع تنوح عليك نوح الثاكلات
تنوح على الحسين، على أبيه على آل الهدى بتفجعات
وتجل أن مصرعه استضاءت به الأيام في ماض وآت
لأنك ثورة في كل جيل.... على المتسلطين، على الطغاة
سليل الهاشمية! من علي وفاطمة أم السيدات
وحقّك! لو قضى المولى فداء فديت بمؤمنين ومؤمنات
سلالة هاشم، يا خير عرق وأشرف محتد في الكائنات
بنو بيت النبيّ قباب مجد كأعمدة السماء الراسخات
شهيد الروح مجد الموت حين البطولة فوق عار الموبقات
فقبلك في الورى صرعت نفوس لثورتها على المستقبحات
ألم تعصف رياح الشرّ عصفًا بأعلام الهدى والمكرمات
أثينا جرعت سقراط سما وكان لمجدها خير البناة
وجدك كم تأذى من قريش وضاق بمشركين ومشركات
أذى القربى كما قالو قديما أمر من السيوف المرهفات
ولكنّ النبي أذلّ شركًا وكان له الإله من الحماة
ووالدك العظيم قضى بسيف الخيانة وهو يخشع في الصلاة

فمن دمك الزكي ومن دمائهم ... جميعًا فاض ينبوع الهبات
هو الإيمان فوق الموت، يأتي ... -إذا حققته- بالمعجزات
مذابح كربلاء سفحت قلب السـ ... ـماء على جبين النيرات
فشع من الدم المهراق فجر ... تلاشى عنده ليل الحياة
فكم ظهرت بتربة كربلاء البطـ ... ـولة من فتى أو من فتاة
وكم من ثائرين قضوا جنودًا ... لأجل الحقّ، أو من ثائرات
ومن متمردين على ضلال ... وطغيان ومن متمردات
شهيد الحقّ ! علمنا صمودًا ... بوجه الشرّ يهزأ بالممات
ألم تك مارد التاريخ دينًا ... وفي الأهوال عنوان الثبات
فيا سبط الرسول! أنر دجانا ... وأشرق في الليالي الحالكات
فأنت وآلك الأبرار صرتم ... قرابين العلى والمحرقات
أطل من الخلود على ثرانا ... وعلمنا دروس التضحيات
وحقق وحدة الوطن المفدى ... وجنبه شرور المحادثات

مصطفى جواد[1]

ألقيت على جثمان فقيد العلم الدكتور مصطفى جواد[2] لدى مروره بكربلاء

في يـوم نـعـيـك وهـو يـوم مظلم ... وبـه لـقـد نـفـذ الـقـضـاء المـصـدم
بـالـصـبر لـذنـا وهـو حـصـن للفتى ... وحـــوادث الـدنـيـا عـلـيـنـا تهجم
هـون ولا تخـشَ الـفـوازع في الـدنـا ... مـهـمـا يـصـب عـلى المـواطـن مـرزم
رزئـــت بـمـوتـك أنـفـس ملـتاعة ... لـمـا بـهـا حـل المـصـاب الأعـظـم
إن الـزمـان كـمـا عـهـدت نـوائـب ... وصروفـه تـؤذي الـنـفـوس وتـؤلم
وإذا جنحت إلى الـرثـاء فمقولي ... قـد كـاد يحـرقـه الـقـريـض المـضرم
فـالـيـوم لا تحـزن فـإن صباحنا ... لـيـل بـآفـاق الـــورى متجهم
وحـيـاتـنـا مـــلأى بـكـل رزيـــة ... والحـــر فـيـهـا سـاخـط مـتـبرم
والشعب يندب فيك علمًا زاخرًا ... ولانـــت فـيـه الـفـارس المتـقـدم
إذ إن فـقـدك قـد أثـار شجوننا ... والـدهـر يعبس في الحياة ويبسم
ومحـافـل الأدبـــاء بـعـدك أثكلت ... لم لا وأنـــت لـسـانـهـا والمـخـذم
ورســـالـــة أديـتـهـا بـأمـانـة ... تـبـقـى لجـهـدك في الحـيـاة تـترجـم

---

(١) سلمان هادي الطعمة، مصطفى جواد، مجلة العرفان، المجلّد الستون، العدد الثامن، تشرين الأوّل ١٩٧٢م، ص١٢٥٥-١٢٥٦.

(٢) [مركـز تـراث كربلاء] هو لغوي ومدرس وشـاعر عراقي. ولد في بغـداد. عام ١٩٠٤م، درس في بغـداد والقاهرة ثمّ في جامعة السـوربون في باريس، وعمل مدرّسًـا في مختلف مراحل التعليم، آخرهـا دار المعلّمين العالية. وكان عضوًا في المجمعين العربيين في دمشـق وبغداد. توفّي في بغداد. عـام ١٩٦٩م، ويُعَـد أحد علماء العربية البارزين في العراق، له مؤلفات حول سُـبُل تحديث اللغة وتبسيطها. للتفاصيل ينظر: همسات محمد حسن جواد، مصطفى جواد لغوياً، اطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد: كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٠).

يـا نـكـبـة جـلـت مـصـيـبـتـهـا الـتـي ... فـيـهـا تـظـل نـفـوسـنـا تـتـألم
فـلـقـد خـسـرنـا فـيـك مجـدًا خـالـدًا ... يـعـنـو لـه هـام الـزمـان ويجثم
في كـل يـوم في الـعـراق رزيـة ... تـذكـي الهـمـوم بـأكـبـد تتحطم
يـبـكـي عـلـيـك الـرافـدان تـأسـفًـا ... وبـكـل قـلـب لـوعـة تـتـضرم

رسل الثقافة[1]

تحية لوفد مؤتمر الأدباء العرب[2] الذي زار كربلاء

يا وفد حياك النضال الأكبر ... وصبا لمقدمك الفرات النير
وهفت على الوادي البشائر طلقة ... باللطف تعبق والمودة تزخر
فاستلهمت وحي القريض عواطف ... قد هزها يوم اللقاء الأزهر
أنتم بناة الفكر في هذا الحمى ... ومنابع بسنا الحجى تتفجر
بكم المواطن تستعين إذا طغى ... خطب ولف الشرق غيم أكدر
وبكم زها وجه العراق وكيف لا ... يزهو وأنتم فجره المتنور
فالأفق لولا نوركم لا يزدهي ... والأرض لولا سعيكم لا تثمر
والعلم سيفكم الذي في حده ... يرتد طيش الغادرين ويخسر
فإذا نهضتم للكفاح أمامكم ... هبت نفوس كالليوث تزمجر
و إذا دعوتم فالعيون شواخص ... والعزم يرعد في الصدور ويهدر
تغفو العيون عن الضلالة والعمى ... وعيونكم ترعى الحياة وتسهر
حي الثقافة، والثقافة مصدر ... ثر يسجله الكفاح الأوفر
يا موكب الأدباء هب لي منطقًا ... فإلى لقاك قلوبنا تتحسر

---

(١) سلمان هادي الطعمة، رسل الثقافة، مجلة العرفان، المجلّد الواحد والستون، العدد الخامس، آيار ١٩٧٣م، ص٧٥٦-٧٥٧.

(٢) [مركز تراث كربلاء] عقد مؤتمر الادباء العربي للمرة الاولة في تونس الاولى عام ١٩٧٣م، ينظر: عبد الرحمن مجيد الربيعي، ضلال تونسية، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت)، ص ٣.

قدت السفينة، والغيوم كثيفة ... والموج يطغى والعواصف تزأر
وحملت أعباء الثقافة صامدًا ... لا تنثني فزعًا ولا تتقهقر
وجلوت آفاق المعارف فازدهت ... لم لا وأنت دليلها المتبصر
سجلت في التاريخ غر صحائف ... ستظل مشرقة ولا تتستر
يا صفوة الأحرار ذلك وفدكم ... دنيا بألوان الثقافة تعمر
نزل السرور المحض حيث نزلتم ... وسعى يقبلكم ولاء مبهر
خير الضيوف بكربلاء حللتم ... غر الجباه ونعم هذا المنظر
فعلى لقائكم الحبيب تحية ... أزكى من الطل الشفيف وأطهر

فقيد الشعر[1]

(ألقيت في حفل تأبين الشاعر المرحوم السيّد مرتضى الوهاب[2] الذي أقيم في صحن الحسين عليه السلام من قبل أدباء كربلاء).

مواقيت الزمان لها اعتبار ... وعمر المرء ليس له قرار
فضوء الفجر يهتك ستر ليل ... وفي ظلماته يطوي النهار
ويعرف ذاك علم دون ريب ... ويحكمه نظام واختبار
ومن أجل البرية رهن حكم ... يصوبه ممات واحتضار
ويجهل كل عبد ذاك دومًا ... فأعمار طوال أو قصار
ورب الخلق أعلم من سواه ... يكون لوحده فيها اقتدار
إذا حلت منيتنا لتطوي ... أمانينا فما منها الفرار
فكم وارت كرامًا تحت ترب ... ومن أقرانهم خلت الديار؟
ومنهم(مرتضى) الأدب المعلى ... مؤرخه وشاعره الفخار
تأمل سامعي أدواح شعر ... له صنعته أفكار غزار
كأنك قد شممت به عبيرًا ... لزهر منه فوحه ازدهار

---

(١) محمّد علي عباس، فقيد الشعر، مجلة العرفان، المجلّد السادس والستون، الأعداد الثامن والتاسع والعاشر، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأوّل ١٩٧٩م، ص٨٩٤-٨٩٥.

(٢) [مركز تراث كربلاء] اديب وشاعر كربلائي، ولد فيها عام ١٩١٦م، اكمل دراسته الاولية في مدارس كربلاء، بعدها سافر الى خارج العراق ليواصل عطاءه العلمي، امتازت اشعاره بتعدد موضوعاتها، توفي عام ١٩٧٣م. ينظر: صادق ال طعمة، الحركة الادبية المعاصرة في كربلاء، (كربلاء: مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠١٤)، ج١، ص٤٧.

وجنات من الريحان تبدو ... به والطير يشدو والهزار
وأنهار بماء الورد تجري ... وعطر منه يجنى والثمار
كان الحور يسعين ابتهاجًا ... لأفراح وتجمعهن دار
ويقعد فوق أرؤسهن زهر ... أكاليلًا ويطبقها احمرار
يتحصن وبشرهن يزيد حسنًا ... على وجه فيبدو جلنار
ويلبسن الثياب مزركشات ... و تلتمع[1] القلائد والسوار
كأن بها عواطفها فتطغى ... بإصرار فيذويها اصفرار
وهذا الشعر واقعه حياة ... فتنعدم الحياة ولا يضار
فقيد الشعر يا من كنت تسمو ... بروحك والحياة بها اختيار
فكنت وفي مسارك حيث تبدو ... تهيم بك المشاعر والوقار
على مهل تخط الدرب مشيًا ... لتحمل ثقل فكر يستشار
وفي عينيك تزدحم المعاني ... فيحويها قصيد وابتكار
فقيد الشعر في أحلى صفات ... فأنت أسيرها وهي الإزار
مضيت بعفة وسمو قصد ... ولم يقربك في دنياك عار
فكنت مجاهدًا وعزيز قوم ... وكنت مكرمًا ولك اعتبار
وما أحلى الجهاد إذا تجلى ... ليكشف ظلمه وهو المنار
وللشعراء دور في التسامي ... لسان الشعب هم وهم الأوار
فقيد الشعر والدنيا سبيل ... فطورًا لا حبًا وبه انحسار
وللشعراء أرحبه مجالا ... فهم صلحاؤه وهم العثار
ففي أشعارهم تبنى الأماني ... ويهدمها انطواء وانحدار

(١) وجود خطأ في أصل النص(وتلمتع) وتمّ التعديل ليستقيم المعنى(تلتمع).

كمثل الماء يروي كل زرع ... ويهلكه انقطاع وانغمار
فقاطرة الحديد تسير طوعًا ... بلا عقل ويدفعها البخار
ففيه قوى توجهه لخير ... ومنها الشر عقباه انفجار
وذلك من جماد فيه فعل ... وتأثير وشأن واختبار
فكيف بكائن يحيا بعقل ... وتفكير وبطبعه المسار
فقيد الشعر عفوًا إن شعري ... تناول متنه أمرًا يثار
وإن لحفلنا هذا مقال ... يقال بموضع ونه أطار
نؤبن من طواه الترب طرًا ... بحزن فالحقيقة تستعار
فكيف يؤبن الشعراء فذا ... وحيًا بالبنان له يشار
أليس العلم والأفكار تبقى ... ولا تبلى ويخشاها الدمار
ولكننا على العادات نسعى ... تخلدها رواسبها الكثار
وعمر المرء يبدأ حيث يفنى ... فيحييه تراث واعتبار
ويدفن كل فرد في فعال ... له والخير صانعه الجوار
رعاك الله في لحد طهور ... فطابت تربة بك والقرار

حلم[1]

ذكريات جلسة على نهر الحسينية في كربلاء

حتى إذا ستر المدينة برقع الليل الحزين
وتلاطمت في جوها ظلم الكآبة والشجون
و هفت إلى النوم الطيور ولذن بالعيش الحنون
وترى البيوت الواجمات تضج بالصمت المهين
فهناك سرت مع الرفاق نتيه في مرح ولين
نمشي ولا شيء يدنس لذة العيش الأمين
نمشي ويكنفنا الهوى عبر الخمائل والغصون
و إذا المقاهي الضاحكات تفيض بالسحر المبين
حيث البساتين الملاح وعند ورد الياسمين
حيث الفرات وماؤه ينساب عذبًا في سكون
وقد ابتدرنا للكراسي الخاضعات إلى الزبون
و تحملتنا عند شاطئ النهر يزخر بالفتون
واذا المصابيح ارتسمن بصفحة الماء المعين
فبدت تشع جميلة وتتيه في زهو ولين
فتهز روعتها القلوب سننظر ملؤ العيون

(١) صالح هادي الخفاجي، حلم ذكريات جلسة على نهر الحسينية في كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد التاسع والستون، العددان الثالث والرابع، آذار ونيسان ١٩٨١م، ص١٤٨.

يوحي إلى الشعراء آلاف الخواطر والفتون
ثم انطلقنا وادعين يلفنا فرح المجون
نمشي ونرفل بالنعيم الطلق والحلم الحنون
نمشي مع النهر الجميل وتحت آلاف الغصون
تتبادل الشد والطروب ونحتسي خمر اللحون

الولادة[1]

اليوم نولد من رمالك كربلاء ... واليوم نكتب في سجل الأوفياء
للسبط يشرق ساطعًا متوهجًا ... للصدر ينبض عزةً شممًا إباء
للسبط تستجدي البطولة جرحة ... وبكفّة تزهو زهور الكبرياء
للصدر غيّبه المكان ولم يزل ... في وجنة التاريخ رمزًا وافتداء
للدين يتّجر الكبر باسمه ... وباسمه تغتال كل الأنبياء
لدموع أم في الجنوب تأزرت ... بالليل وارتسمت بحبر من شقاء
قمطت بأوردة الرجاء وليدها ... واستصرخت عبثًا ضمير الأقوياء
للأرض تهتك تستباح وكفها ... لم يثنهِ النكران يومًا عن عطاء
اليوم تولد من عيون ترابنا ... من مهجة الأحجار من مجد الدماء
سكبت على جرح الجنوب فأينعت ... أنشودة ووصية «لا للبكاء»
ونعم لموت يستحيل سنابلا ... في صفقة الأيّام في روض البقاء
اليوم نرسم في السماء كواكبًا ... برّاقة تعطي الضياء إلى الضياء
وتخط في صدر الخلود حكاية ... عن شرّد لم يعرفوا طعم الهناء
ذاقوا الترحل والنزوح وكوفئوا ... بقنابل تجتث طيب الأبرياء
بقنا بل من أخوة تهدى لهم ... من رفقة في الصف أو من أصدقاء
صبوا على روض الصداقة حقدهم ... فتناثرت عقدًا دماء الشهداء
وعقيدة ومسيرة رغم الردى ... الله ما أقسى عقوق الأصدقاء

(١) أبو العلاء، الولادة، مجلة العرفان، المجلّد السبعون، العدد الخامس، آيار ١٩٨٢م، ص٨٤.

اليوم نولد يا زمان طفولتي يا أمسي المزروع في غضب الشتاء
شجرًا ربيعي الجذور فهللي يا أرضي الثكلى فقد غاب المساء
وأطل فجر البائسين وصوحت أمل السنابل واستفاق الشرفاء

من وحي عاشوراء[1]

أراعـك مـن صرف الـزمـان شـؤون ... وهـاجـك شـوق في الـضـلـوع دفين
ولا زلـت مشغول الـفـؤاد بـما جرى ... عـلـيـك ومـا يجـري فـأنـت حـزيـن
فـلا تبتئس يـا قـلـب فـالخطب كله ... يهـون خـلا خـطـب فـلـيس يهـون
لـه أبـدًا في صفحة الـقـلـب شاهد ... خـطـوط أسـى لم تـنـدمـل وغـضـون
مصاب لآل البيت ما انفك جرحه ... إلى الآن يـنـزو والـسـنـون سنون
أتـذكـر يـا هـذا مـصـارع فتية ... تـعـاورهـم يـوم الـطـفـوف شـؤون
فـهـذا بـحـد المـرهـفـات مبضع ... وذاك بـخـطـي الـرمـاح طـعين
وذلـك مـذبـوح الـوريـد مـن القفا ... رهـين بـلى أخـنـى عـلـيـه مـنـون
وهـذا حسين الطهر يشهد والهًا ... بـدور تمـام الحـسـن كـيـف تبين
كـتـائـب جـاءت تشـتـفـي بقتاله ... مـن الـغـيـظ والـغـلّ الـقـديـم كمين
لـوى متن أقصاها عـلى متن مـا دنا ... وراح يـشـق الـصـف وهـو ركـين
رمـى القلب منهم وانثنى فيمينهم ... يـسـار تـولّى والـيـسـار يـمـين
ونـادى منادي القوم يا قـوم دونكم ... حـسـيـنًـا فـلا يـبرز إلـيـه قـريـن
ولا يـدنـون إلّا ودون لـقائه ... سـهـام تـشـنّـى أو يجـنّ جـنـون
تـوالى عليه النبل مـن كـل جانب ... فـذا مـسـتـوٍ صـدقٌ وذاك شطون
ومـا هـي إلّا سـاعـة خـرّ بعدها ... حـسـين وكـل بـالحـمام رهـين

(١) يحيى شامي، من وحي عاشوراء، مجلة العرفان، المجلّد الرابع والسبعون، العددان السابع والثامن، أيلول، تشرين الأوّل ١٩٨٦م، ص١٥٦-١٥٧.

فـلـلـه أظـعـان لآل محـمـد ... حـرائـر أبـكـار تـسـاق وعـون
يقلّبن أبصارًا من الحرّ والظما ... وراء قراح الماء وهو معين
أآل رسول الله تمسي نساؤهم ... سبايا وقد أكدى بهن ظعون
ويقتل آل البيت ظلمًا وينتخي ... من الزّهو أشقاها ويطعن دين
ويحمل رأس السبط آهٍ على القنا ... إلى بلد فيه العزيز مهين
فيا أرض هلّا شفك الحزن والأسى ... وزلزلت هولًا لا سقتك مزون
ولا كنت يا دهر الدهارير ساعة ... فإنك بالآل الكرام تخون
فلا تسألي يا هند ما بال لوعتي ... وأيّ هوى بين الضلوع أصون
وما سرّ تطوافي بطوس وكوفة ... على جدث ترنو إليه عيون
وما أنت في تلك المقامات عاكفًا ... وأيّ عرى دين أراك تدين
أدين بدين الحق يا هند فاعلمي ... بأني على حسب الوصيّ أمين
لآل رسول الله قد شدّني الهوى ... وحبال ولاء لا يبتّ متين
فيا صاح إن شمت العراق وجئته ... وحدثت حدّث فالحديث شجون
ويا نفس إن ضاقت عليك رحيبة ... وقطّب من ليل الهموم جبين
فعوجي على أرض الطفوف بكربلاء ... رويدك حيث الهينمات أنين
وحيث بليغ الصمت والصمت ناطق ... هنالك والصم الصلاب تلين
ديار أناخ الآل يومًا برحلها ... فأزعجهم عنها نوى وشطون
مجالس حلم ليس للجهل عندها ... فتون ولا للموبقات لحون
بها محكم التنزيل ينشال آيه ... فصولًا فصولًا والحياء مصون
سقى الله قبرًا بالغريين غرسه ... وجاد ثراه صيّب وهتون
ولا زلت يا قبر الحسين مثابة ... لقلبي ما هاج الفؤاد حنين

هيهات منا الذلة[1]

وقف النهى في لحظة مذهولا ... مستفسرًا عما رآه سؤولا
فلقد رأى سبط النبي بخطوه ... يعدو إلى ساح الجهاد عجولا
لبس الردى ثوبا زهت ألوانه ... فغدا لموقفه الزمان جميلا
يا قلبي لا تعجب لموقف عزة ... فالسبط كان وما يزال نبيلا
فلقد رأى والياً يخادن قرده ... يهوى الغنا والرقص والتطبيلا
ويعاقر الخمر المحرّم شربها ... كيما يهز برأسه ويميلا
ما همه دينا ولا هو يبتغي ... في ملكه للمكرمات سبيلا
والسبط لا يرضى الصغار لنفسه ... والله لا يرضى الحسين ذليلا
فلهذه وقف الحسين بكربلا ... متفاخراً في دينه ليقولا
ان الدعي ابن الدعي مركز ... بين اثنتين ويطلب التعجيلا
ماذا سيختار الذي بلغ العلى ... وبروحه كان الفخار نزيلا ؟
ما بين سلة نفسه مع أهله ... أو أن يكمل عمره مخذولا
نادى فأيقظ للزمان يراعه ... حتى يسجل موقفاً مسؤولا
هيهات منا ذلة مبذولة ... لمداهن، للظلم بات خليلا
الله يأبى والرسول وأنفس ... طهرت وروت بالعفاف غليلا
إن كان ديني ليستقم في مقتلي ... يا موتُ جرد سيفك المصقولا

---

(١) فاضل عباس سرور، هيهات منا الذلة، مجلة العرفان، المجلّد الثامن والسبعون، العددان الثالث والرابع، آيار حزيران١٩٩٤م، ص١٧٢-١٧٣.

واســـودت الـدنـيـا ونـــادت أهلها نـوحـوا فقد أضـحى الحسين قتيلا
وتباركت أرض الطفوف وشرفت فـــدمـــاؤه روت هـــنـــاك رمـــولا
وجـــرت نـــهـــور مـــن دمـــاء أحبة عـقـد الـضـيـاء لـصـنـعـه إكـلـيـلا
يـبـلى الـــزمـــان وكـــربـــلاء مـنـارةً تـغـزو مـع الـعـلـيـاء جـيـلاً جيلا

قصيدة

قانا[1] وقافلة كربلاء[2]

باسم الله وبعونه

قانا الجليل! لقد جلّت بك الخطب ... من زمرة، حدّثت عن جورها الكتبُ
قانا ! وحقك، فالأقلام عاجزة ... تنوء في وصفك الأفكار والخُطَبُ
قد أعجز الخطب عقل المبدعين فلا ... نثر يجود، ولا شعر، ولا أدب
تجلجلت فيك آيات المسيح على ... حثالة، دأبها الطغيان والكذبُ
في بيتك ! الكرب والبلوى، مجددة ... تجسّدت عندك الأحزان والكربُ
فالأهل أهلك يا قانا إذا ذكروا ... والبيت بيتك، بل أصحابك الصحبُ!

قانا العروس!

قانا العروس! هلمّي وارقصي وجعًا ... في عرسك اليوم !؟ لا حذوٌ ولا طربُ
صبّي الكؤوس!؟ كؤوس العرس راعفة ... بالدمع والدم، لا خمر ولا عنب
في عرسك اليوم؟ لا شذوٌ ولا فرحٌ ... سوى الدموع: من الآفاق تنسكبُ

---

(١) [مركز تراث كربلاء] وهي قرية صغيرة تقع في جنوب لبنان، استهدفتها اسرائيل بغارات جوية متعددة سميت ب" عناقيد الغضب" ، وذلكم في شهر نيسان من عام ١٩٩٦م . للتفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية.مجزرة قانا ar.wikipedia.org /wiki تاريخ الولوج ٣٠/ ١٢/ ٢٠١٩.

(٢) أحمد سعد، قانا وقافلة كربلاء، مجلة العرفان، المجلّد الثمانون، العددان الثالث والرابع، آيار وحزيران ١٩٩٦م، ص١٤٦-١٤٨.

لم يمهروك أكاليل الورود سوى طوق من الشوك؟ لا غارٌ ولا ذهبُ
وما الزغاريد؟ إلا أنّةٌ وشجى وما الشموع؟ سوى الأشلاء تلتهب
شجو التراتيل، بالتكبير مرتفعٌ توحّدت حولك، الأجراس والقببُ!

(١) أحفاد صهيون !؟

أحفاد صهيون !؟ آفات الشعوب فهم عقارب نزّ منها السم والعطبُ
من بؤرة الشر والأجرام كم نهشوا ! من منقع الدم والآثام كم شربوا !
لم يعبدوا الله، في حلٍ وفي حرمٍ لأن ربّهم الدينار والذهبُ
تلك العناقيد؟ قد صبّت بهم حمما صواعقًا عصفها الغسلين واللهبُ
أين الطواغيت من عادٍ ومن إرمٍ فمثلما ذهبت أيامهم ذهبوا !
للبغي يوم، ويوم للطغاة فلا جور يدوم، وللأيام منقلبُ!

جيران قانا!

يا أهل قانا! وصديقين، يا جبلا بالبطم والتين والزيتون يحتجب
يا أهل زبقين! يا شقراء عاملة يا من إليكم، تناهى العلم والأدب
أهل الجنوب! ويا أشبال حيدرة حسب الشهادة، أنتم أهلها النجب
تقدّست أرضكم، في عرسها وعلت تألقت بعلاها الأنجم الشهب
سطّرتم المجد! للأجيال ملحمة لم يمحها الدهر والآجال والحقب
قدّمتم الدم، قربانًا وتضحية فكنتم خير من ضحّوا، ومن قربوا !

وفود الحجيج إلى ثالث الحرمين

من ربوة التين والزيتون، قد وفدوا من طور سينين، والبطحاء[1]، قد وكبوا

(١) الآية الكريمة التي ترمز إلى فلسطين واليمن ومصر والجزيرة العربية.

من الفراتين، من أرض الطفوف أتوا ... لم يثنهم عنك، لا بيد ولا هُضَب
من غوطة الشام، والشهباء، من جبل[1] ... يسمو به الشرق، بل تسمو به العرب
هاك الحجيج! إلى مسعاك محرمة ... حطت لديك، وطافت حولك الركب
أمسيت للعرب والأديان جامعة ... تجمّعت حولك الأعجام والعرب !

الجنوب على الصليب

يا أرض عامل! يا مهد الفداء ويا ... طودًا عليه تهاوى الحقد والغضب
يا جيرة الخير! يا جارات معركة ... يا خير من مهروا العليا ومن وهبوا
بالأمس معركة من جورهم نكبت ... واليوم قانا بذاك العذر تنتكب
إن يقتلونا فما في شرعهم عجب ... فكم من الرسل ! قد آذوا ! وكم صلبوا!

(١) جبل قاسيون عرين الأسد.

المحتويات

مقدّمةُ مركزِ تُراثِ كَربَلاء ٥
الفَصْلُ الأَوَّلُ: التَّارِيخُ وَالسِّيَاسَةُ ١١
صفحة من تاريخ كربلاء ١٣
الخطبة الإصلاحيّة للعلّامة المصلح الشّيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء في كربلاء ٢٠
الشيعة في العراق ٣١
خلاصة الأنباء ٤٠
متصرف لواء كربلاء أحمد زكي بك الخياط ٤٠
المراسلة والمناظرة ٤١
افتراءات(المس بيل) على التاريخ ٤١
خلاصة الأنباء(الملك غازي) ٥٧
خلاصة الأنباء(ملك العراق) ٥٧
خلاصة الأنباء(من أنباء العراق) ٥٨
كربلاء ٥٩
سلطان البهرة ٧٨
حوادث دامية في تاريخ العراق المجهول ٧٩
رسالة خطية مدونة ٧٩
صفحات مجهولة من تاريخ كربلاء ٩١
الفوضى في كربلاء عام ١٩١٦م ٩١
صفحات مجهولة من تاريخ كربلاء ٩٧
غرس بذور الوحدة الوطنية في كربلاء ١٠١
١) دور الحركة الإسلامية في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية ١٠٦
٢) دور الحركة الإسلامية في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية ١٣٧
٣) دور الحركة الإسلامية في مقاومة الاحتلال والمشاريع الإنكليزية ١٥٥

الفَصْلُ الثّانِي: الْأَدَبُ وَالتُّرَاثُ الشِّعْرِيّ **١٦٩**
فريدة كربلاء ١٧١
مشرقية كربلاء ١٧٤
نداء إلى أهالي كربلاء ١٧٦
مصرع الحسين ١٨٠
ذكرى الحسين ١٩٢
ذكرى الحسين **١٩٤**
الحركة الأدبيّة في كربلاء **١٩٦**
الحسين الخالد ١٩٩
الأدب الحديث في كربلاء ٢٠١
حديث الشعر والأدب ٢٠٤
دمعة على أبي الطوس **٢٠٨**
حي الوصي الطهر ٢٠٩
أبو الشهداء ٢١٢
أخي عباس ٢١٤
النشاط الأدبي في كربلاء ٢١٧
أيها الشهيد الأبي ٢٢١
الأشواق الحائرة ٢٢٣
إلى شهيد كربلاء ٢٢٨
مصطفى جواد ٢٣١
رسل الثقافة ٢٣٣
فقيد الشعر ٢٣٥
حلم ٢٣٨

الولادة..... ٢٤٠
من وحي عاشوراء..... ٢٤٢
هيهات منا الذلة..... ٢٤٤
قصيدة..... ٢٤٦
قانا وقافلة كربلاء..... ٢٤٦

إصداراتنا

١. **أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ٢٠١٣م.

٢. **العبَّاس قمر بني هاشم عليه السلام.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ٢٠١٣م.

٣. **كربلاء في عهد العباسيّين.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ٢٠١٣م.

٤. **محاسن المجالس في كربلاء.**
تأليف: السيّد سلمان هادي آل طعمة.
مراجعة وتدقيق وتقديم: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م.

٥. **قرآنيو كربلاء المقدَّسةِ الجزء الأول.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٦. **الخطّ والخطّاطون في كربلاء الجزء الأول.**
تأليف: مركز تراث كربلاء والسيّد سلمان هادي آل طعمة.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٧. **فهرس الوثائق الكربلائيَّة في الأرشيف العثمانيّ (أربعة أجزاء).**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٨. **كربلاء في مذكّرات الرحّالة.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٨هـ- ٢٠١٦م.

٩. **علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيِّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ.**
تأليف: الشيخ الدكتور عماد الكاظميّ.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

١٠. **القرآءات القرآنيَّة في مخطوطات السيِّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ.**
تأليف: الشيخ الدكتور عماد الكاظميّ.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

١١. **ندوات مركز تراث كربلاء التراثيَّة.**
إعداد: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

١٢. **كربلاء في الشعر اللّبناني.**

تأليف: عناية أخضر.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٣. **ديوان الشيخ محمَّد تقي الطبريّ الحائريّ.**

تحقيق: السيِّد سلمان هادي آل طعمة.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٤. **سكَّان محافظة كربلاء -دراسة في جغرافيَّة السكَّان-.**

تأليف: الدكتور عبد عليّ حسن الخفّاف.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٥. **الشيخ محمَّد تقي الشيرازيّ الحائريّ ودوره السياسيّ من عام ١٩١٨- ١٩٢٠م.**

تأليف: د. علاء الصافيّ.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٦. **صحافة العتبات المقدَّسة.**

إعداد: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٧. **المرجعيَّة الدينيَّة ودورها في بناء الدولة العراقيَّة.**

تأليف: الشيخ الدكتور عماد الكاظميّ.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٨م.

١٨. **موسوعة تراث كربلاء المصوَّرة (ثلاثة أجزاء).**

إعداد: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٩. **رسالة في الشبهة المحصورة.**

تأليف: السيِّد محمَّد حسين بن محمَّد عليّ بن محمَّد إسماعيل الحائريّ الشهرستانيّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٠. **رسالة في تحقيق معنى الألف واللام**

تأليف: الشيخ محمَّد تقي الهرويّ الحائري.

تحقيق: الشيخ محمّد جعفر الإسلاميّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢١. **شيخ العراقين الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ الحائريّ.**

تأليف: الشيخ حامد رضائي.

ترجمة: حسن علي حسن مطر.

اختصره وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٢. **فقه الحديث عند المحقّق البحرانيّ.**

تأليف: الشيخ أمين حسين بوري.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٣. **يوم الطف.**

تأليف: الشيخ هادي النجفيّ.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٤. **رسالة في نفي حجّيّة مطلق الظنّ.**

تأليف: الشيخ محمّد تقيّ الهرويّ الحائري.

تحقيق: الشيخ محمّد جعفر الإسلاميّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٥. **رجال الشيخ الأنصاري (ثلاثة أجزاء).**

تأليف: الشيخ مرتضى الأنصاريّ.

تحقيق: الشيخ حسين حلبيان.

مراجعة وضبط: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٦. **أجوبة المسائل الثلاث.**

تأليف: الشيخ يوسف البحرانيّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٧. **علم الهداية في غياهب الظلمات لإدراك الأحكام الشرعيّة.**

تأليف: الشيخ عبد الوهّاب الشريف القزوينيّ الحائريّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٢هـ- ٢٠٢٠م.

٢٨. **كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شرح المختصر النافع.**

تأليف: السيد محمّد بن عليّ الطباطبائيّ الحائريّ الشهير بـ(السيد المجاهد).

راجعه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٢٩. **مختصر كتاب ثواب الأعمال.**

تأليف: الشيخ تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ الكفعميّ العامليّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٣٠. **الشمعة في أحوال ذي الدمعة.**

تأليف: السيّد هبة الدين الشهرستانيّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٣١. **ذخائر المآل في مَدح المصطفى والآل دِيوان السَّيِّد حُسَينِ الرَّضَويِّ الحَائريِّ(ت ١١٥٦هـ)**

تأليف: السَّيِّد حُسَينِ الرَّضَويِّ الحَائريِّ(ت ١١٥٦هـ).

تحقيق واستدراك: الدكتور سعد الحدّاد.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

٣٢. **رَتْقُ الفُتوقِ في مَعرِفَةِ الفُروقِ.**

تأليف: الشَّيخ تقيّ الدِّينِ إبراهيم بن عليٍّ الكَفعَميّ (ت ٩٠٥هـ).

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٣٣. **الزُهرة البارقة لمعرفة أحوال المجاز والحقيقة.**

تأليف: السيّد محمّد باقر الشفتيّ.

تحقيق: مكتبة مسجد السيّد حجّة الإسلام قدّس سرّه.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

٣٤. **كربلاء في مجلَّة العرفان. (ثلاثة أجزاء)**

تأليف: مركز تراث كربلاء.

المطبعة : دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

سنة الطبع : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م.

٣٥. **مجلّة الغاضريَّة - فصليَّة ثقافيَّة.**

تصدر عن مركز تراث كربلاء

٣٦. **مجلّة تراث كربلاء - فصليَّة محكَّمة.**

تصدر عن مركز تراث كربلاء.

٣٧. **حولية تراث كربلاء المخطوط**

تصدر عن مركز تراث كربلاء.

قيد الإنجاز

١. **تقريرات الأُصـول من دروس السيِّد إبراهيم القزوينيّ الحائريّ.**
بقلم: تلميذه الشيخ مـهـدي الكجوري الشيرازي.

٢. **توضيح المقال في بيان أحوال ثلاثة من الأشياخ والرجال.**
تأليف: الشيخ أحمد بن علي مختار الجرفادقائي الحائريّ.

٣. **حجّيّة الظنّ.**
تأليف: السيّد محمّد الطباطبائيّ المجاهد.

٤. **الدرّة الحائريّة.**
تأليف: السيِّد علي نقي الطباطبائيّ.

٥. **الدرّة في العام والخاص.**
تأليف: السيِّد علي نقي الطباطبائيّ.

٦. **الرسالة المحمَّديَّة في أحكام الميراث اللّابديَّة.**
تأليف: الشيخ يوسف البحرانيّ.

٧. **الرسائل الرجاليّة.**
تأليف: الشيخ محمّد عليّ بن قاسم آل كشكول الكربلائيّ.

٨. **رسالة في إجزاء الغسل عن الوضوء.**
تأليف: السيّد محمّد رضا الأعرجيّ الفحّام.

٩. **شرح الكفاية.**
للشيخ عبد الحسين الرشتيّ.

١٠. **علماء مدينة كـربلاء المقدَّسة.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.

١١. **كتاب الإقرار.**
تأليف: الشيخ محمَّد حسين القزوينيّ.

١٢. **مدارك العروة الوثقى.**
تأليف: السيِّد محمَّد رضا الفحَّام.

١٣. **موسوعة السيِّد محمَّد إبراهيم القزوينيّ.**
تأليف: السيِّد محمَّد إبراهيم القزوينيّ الحائريّ.

١٤. **موسوعة إمام الحرمين الهمدانيّ الحائريّ.**
تأليف: إمام الحرمين محمّد بن عبد الوهّاب الهمدانيّ الحائريّ.

١٥. **نهاية الآمال في كيفيَّة الرجوع إلى علم الرجال.**
تأليف: الشيخ محمَّد تقي الهرويّ الحائري.